الجامعة اللبنانية
كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية
الفرع الأول



متغيّرات الجيوبوليتيك بعد العام 1990
نظريّة البرّ أنموذجاً

رسالة لنيل شهادة ماستر(٢) بحثي في العلاقات الدوليّة والدبلوماسيّة

إعداد
حسن توفيق صفا

لجنة المناقشة

الدّكتور علي محمود شكر	**الأستاذ المشرف**	**رئيساً**
الدّكتور خليل علي غزاوي	**أستاذ مساعد**	**عضواً**
الدّكتور عادل علي خليفة	**أستاذ**	**عضواً**

٢٠١٩-٢٠٢٠

المقدّمة

تتحكم بالعلاقات الدّوليّة مجموعة من المنطلقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ترسم طبيعة هذه العلاقات وتبدلاتها. وتستند هذه المنطلقات الى مصالح الدولة، لرسم قواعد جديدة على الساحة الدّوليّة تخدم اهدافها القومية وتضمن تفوقها وتطور قوّتها وقدرتها. مع الوقت انضوت العلاقات الدّوليّة كظاهرة ساسية ضمن اطار العلوم السياسية التي تشكل احد فروع العلوم الانسانية وتولد عن ذلك مجموعة من النظريات. وخلال القرن العشرين، ومع التطورات التي عرفها المجتمع البشري ضمن هذا السياق، انبثقت الجغرافيا السياسية كإطار للدراسة مشكّلة احد فروع العلاقات الدّوليّة، والذي يعنى برصد العلاقة بين عامل المكان ودوره في النظام السياسي. وتفرعت عن دراسة الجغرافيا السياسية علوم جديدة، قائمة بذاتها كالجيوبولتيك، الجيواستراتيجية، والجيو اقتصاد.

وقد اخترنا هذا الموضوع كعنوان لرسالة الماستر (٢) للبحث في نظريات الجيوبولتيك (في البر، البحر، الجو) ورصد تطوراتها نظرياً وتطبيقياً من خلال التجربتين السوفياتية/الروسية والأميركية، كون القوتين الآنفتي الذكر شهدتا تجربة يمكن من خلالها معرفة نقاط النجاح والفشل فيما خص العوامل المحركة للدور الجيوبوليتيكي لكل منهما، وبالتالي انعكاسها على العلاقات الدّوليّة. وتكمن اهمية هذا العمل في تفنيد النظريات الجيوبوليتيكية، وتسليط الضوء على نظريات البر في الجيوبوليتيك، ومن ثم ربطها بالتجربتين السوفياتية/الروسية والأميركية والوصول الى مكامن القوة والضعف في هذه النظريات بناءً على التجربتين والصراع الجيوبوليتيكي المعاصر.

ومن أجل معالجة موضوعنا سننطلق من ان التطورات التقنية المتسارعة منذ القرن العشرين كان لها الاثر الكبير في اثبات او نفي فعالية نظريات البر في الجيوبوليتيك، وذلك من خلال تحديد مكامن القوة والضعف في هذه النظريات الجيوبوليتيكية، وذلك عبر رصد التجربتين السوفياتية/الروسية والأميركية، ومن ثم تجربة القيادة الاحادية الأميركية للعالم، اضافة الى صراع المصالح المعاصر على الساحة الدولية.

فقد شهد العالم بعد الحرب العالمية الثانية (مرحلة خلال الحرب الباردة) انقساماً حاداً بين معسكرين، أميركي ليبرالي وسوفياتي اشتراكي. وقد سعى كل من هذين المعسكرين الى جذب الدول للانضمام اليها، واتخذت اساليب هذا السعي مجموعة من الاشكال مثل المساعدات الاقتصادية والاتفاقيات الثنائية وصولاً الى الاحلاف العسكرية. وعلى الرغم من ان قليلاً من البلدان بقي خارج هذا الانقسام، إلّا ان التنافس الدولي بين القوتين الكبرتين كان أكثر وضوحاً في مناطق معينة.

وفي هذا الاطار شكلت اوراسيا[1] المنطقة الأكثر تنازعاً عليها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. حيث يمكن الاشارة الى العديد من اوجه الصراع على هذه المنطقة في كل مرحلة من مراحل النظام العالمي الحديث. فخلال الحرب الباردة تجلت بوضوح معالم الصراع في اوراسيا بين القوتين السوفياتية والأميركية، بدءً من رمزية جدار برلين وتقسيم المانيا الى شرقية وغربية، مروراً بالصراع العربي – الإسرائيلي وصولاً الى ازمة الكوريتين. والملاحظ ان نزاع الدول الكبرى على اوراسيا استمر بعد الحرب الباردة على الرغم من بعض التبدلات في الدول المعنية وطبيعة هذا النزاع وحدّته. فالصراع العربي الإسرائيلي استمر خلال الحرب الباردة وبقي بعدها، بل لا زال قائماً حتى اليوم، اضافة الى ازمة الدرع الصاروخي للناتو والسعي الى ضم دول الاتحاد السوفياتي سابقا الى الحلف المذكور. اما في الصراع العالمي المعاصر والمتمثل بسعي قواً، على رأسها روسيا والصين، لمشاركة الولايات المتحدة الاميركية في الهيمنة العالمية، فلا زالت شواهد النزاع بين القوى الكبرى على اوراسيا كثيرة منها الازمة الجورجية، الأزمة الأوكرانية وشبه جزيرة القرم، محاولة حصار إيران واستيعاب تركيا، وصولاً الى ما سمي بالربيع العربي وخاصة الأزمة السورية.

فرضية البحث:

وضع المفكرون الجيوبوليتيكيون مجموعة من النظريات حول كيفية وصول القوى الكبرى الى السيادة العالمية. وقد بُنيت السياسات الخارجية للدول الكبرى، وخاصة الاتحاد السوفياتي/روسيا والولايات المتحدة، انطلاقاً من المبادئ والأسس التي أشارت اليها هذه النظريات. ان عدم سيطرة الاتحاد السوفياتي بشكل كامل على منطقة قلب العالم والهلال الداخلي اللتان تمحورت حولهما نظرية البر في الجيوبوليتيك كان سبب عدم تمكنه من الوصول الى السيادة العالمية.

إشكالية البحث:

ما مدى ثبات أسس نظريات البر في الجيوبوليتيك على ضوء التجربتين السوفياتية/الروسية والاميركية؟ كيف تبدلت ادوات الصراع الجيوبوليتيكي مع التطور الذي شهده العالم؟ وما هي ابرز ملامح الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر بناء على هذه الادوات والقوى الجديدة التي يمكن ان تلعب دوراً على الساحة الدولية؟

أهمية البحث:

تكمن الاهمية العملية لهذا البحث في تسليطه الضوء على السياسات الخارجية للدول الكبرى انطلاقاً من مرتكزات نظرية البر في الجيوبوليتيك، والإشارة الى مواضع التغيير التي طرأت على الجيوبوليتيك في ظل أدوات السيطرة المعاصرة، وكيف انعكس ذلك على النظام العالمي في ظل الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر.

---

[1] اوراسيا جغرافياً هي المنطقة التي تضم قارتي آسيا وأوروبا، حيث يتم الاشارة الى هاتين القارتين باسم واحد في اغلب الدراسات الجيوبوليتيكية لما تحويه هذه المنطقة من ممرات مائية وعمق برّي استراتيجي اضافة ضخامة مواردها الطبيعية وخاصة الطاقية.

أما الاهمية العلمية فتكمن في عرض لابرز نظريات الجيوبوليتيك، ورصد تغير السياسات الخارجية للدول الكبرى انطلاقاً منها، ما يسهّل عمل الباحثين في العلوم السياسية والعلاقات الدّوليّة في تحليل الازمات الدّوليّة وإدارتها من الدول الكبرى استشرافاً لما قد تحوي هذه السياسات في المستقبل القريب والبعيد.

صعوبات البحث:

تتمثل الصعوبات التي واجهت اعداد هذا البحث في كثرة الأطر التحليلية من منطلقات سياسية، حيث تكون بمعظمها منحازة الى الطرف الذي تنتمي اليه لابراز صحة السياسات التي ينتهجها لتحقيق مصالحه القومية. اضافة الى كثرة الازمات التي يمكن وضعها في اطار الصراع على النفوذ العالمي بين الدول الكبرى وتشعب اهتمامات الاخيرة في التفاصيل الكثيرة لهذه الازمات. كما أن تكتّم الدول الكبرى على الاهداف الحقيقية من سياساتها الخارجية، يصعّب مهمة الباحث في اختيار الازمات التي يمكن دراستها والاعتماد عليها لوضع اطار نظري لهذه السياسات الخارجية.

منهج البحث:

لقد استخدمنا في هذا البحث المنهج التحليلي لربط المعلومات حول بعض الازمات الدولية بالاهداف الجيوبوليتيكية، وذلك للوصول الى مقاربة فيما يتعلق بأثر تبدل النظام العالمي وتحوّله الى الاحادية القطبية على نظريات البر في الجيوبوليتيك، اضافة الى تبدل ادوات ومقومات السيطرة في ظل الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر. كما تم الاعتماد على المنهج المقارن للمقارنة بين السياسات الخارجية للاتحاد السوفياتي/روسيا والولايات المتحدة الاميركية.

تقسيم البحث:

من اجل تقديم اجابة عن الاشكاليات المطروحة ووضع الفرضية موضع الاختبار، تم تقسيم البحث الى فصلين وكل فصل الى مبحثين. وقد عالجنا في الفصل الاول ظهور علم الجيوبوليتيك ومتغيراته، فتناولنا في المبحث الاول انبثاق الجيولوليتيك من الجغرافيا السياسية وتطوره كعلم قائم بذاته، وفي المبحث الثاني سلطنا الضوء على ابرز النظريات في الجيولوليتيك. أما الفصل الثاني فقد تطرقنا خلاله الى مستقبل الجيوبوليتيك في ظل التجربتين السوفياتية/الروسية والاميركية، فتناولنا في المبحث الاول النفوذ السوفياتي خلال الحرب الباردة والروسي بعدها، اضافة الى النفوذ الاميركي خلال الفترات ذاتها. اما في المبحث الثاني، فقد عالجنا ثبات اسس نظريات البر في الجيولوليتيك بناء على التجربتين الروسية والاميركية، وتبدل ادوات السيطرة في الصراع الدولي المعاصر، اضافة الى ملامح الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر وابرز القوى والمناطق المعنية به بشكل مباشر.

الفصل الأول: ظهور علم الجيوبوليتيك، ومتغيّراته بعد الحرب الباردة

أدّت دراسة العوامل والمقومات الجغرافية للمناطق تأثيرها على الشّعوب والمجموعات البشريّة فيها، وعلى انماط السّياسات الخارجيّة للدّول والكيانات السّياسيّة، الى ظهور علم الجغرافيا السياسية. فانبثقت عن الجغرافيا الطبيعية، بجهود المفكرين والفلاسفة، مجموعة من المفاهيم المؤثرة على الحياة السياسية. مما أنتج الجغرافيا السياسية كصلة ربط بين الجغرافيا الطبيعية والعلوم السياسية.

وقد اهتم المفكرون والمنظرون بعد ظهور الجغرافيا السياسية بهذا العلم الجديد باعتباره الاطار الذي يتناول تأثير جغرافيا الدولة من موقع وموارد طبيعية، على سياساتها الداخلية والخارجية. فكثرت التنظيرات في هذا المجال، وتطور بشكل كبير ضمن فترة زمنية قصيرة نسبياً. ومن مجمل هذا التطور كان ظهور الجيوبوليتيك. فبعد ان اهتمت الجغرافيا السياسية بتأثير العوامل الجغرافية (ضمن حدود الدول والكيانات السياسية) على السياسات الدولية، توسع نطاق الدراسة خارج الحدود السياسية للدول ليشمل دراسة ما تحتاجه هذه الدول جغرافياّ، لتنمو وتزداد قدرة وقوة، فظهر على اساسه علم الجيوبوليتيك.

هذا الاهتمام بالجيوبوليتيك وقبلها بالجغرافيا السياسية، أدى الى بروز العديد من النظريات التي حاولت ربط الجغرافيا بالسياسة الخارجية للدول سواء أكان تأثير جغرافيا الدولة على سياستها أم أهمية أقاليم مجاورة أو بعيدة لتحقيق المصالح القومية للدول، لا سيما الكبرى منها. وقد عُرفت النظريات الموضوعة في الجيوبوليتيك بالتركيز على عامل توليه أهمية على غيره من العوامل. فبرزت نظريات البر التي نادت بأهمية بقع محددة من الأرض للسيطرة العالمية. في المقابل، اشتهرت نظريات البحر التي أولت الأهمية للبحار والممرات المائية. ومع الثورة التقانية (ثورة التكنولوجيا) وثورة الاتصالات، ظهرت نظريات الجو التي ركزت على أهمية التفوق والسيطرة الجوية وبعدها الفضاء، والتهديد والاستهداف عن بعد عبر الطائرات والصواريخ العابرة للقارات.

وعلى الرغم من انبثاق الجيوبوليتيك عن الجغرافيا السياسية، إلا أن فوارق عديدة وهامة تكمن بين العلمين تجعل كلاّ منهما علماّ قائماّ بذاته. ابرز هذه الفوارق يتجلى في دينامية الدولة، حيث تنظر الجغرافيا السياسية الى الدولة كمساحة ساكنة لا تتغير، في حين يعتبر الجيوبوليتيك الدولة كائن حي ينمو ويتطور. إلا أن الارتباط التاريخي بين العلمين صعّب عملية ايجاد تعريف واحد لكل منهما بشكل منفرد، فنجد أكثر من تعريف للعلمين، بعضها يتشابه الى حد بعيد، لذا لازلنا نشهد البعض يضعهما في الخانة ذاتها وتحت العناوين نفسها.

لقد مر الجيوبوليتيك بمراحل كثيرة، فقد تم ايلاؤه الكثير من الاهتمام أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ليصل الى حد المحاربة والمهاجمة بعد الحرب العالمية الثانية اثر الاقتناع بأن هذا العلم هو منطلق الفكر النازي. وقد أدى هذا الهجوم على الجيوبوليتيك الى استبعاده على غير صعيد. ففيما خص

السياسات الخارجية للدول، لم يكن مقبولاً أن ترسم أي من الدول تلك السياسات انطلاقا من أسس جيوبوليتيكية، لان الدور العملي لهذا العلم كان مرفوضاً كلياً. تكرر الامر كذلك على الصعيد العلمي، حيث أُبعد هذا العلم من المناهج التعليمية في الجامعات والمعاهد، وأُلغيت كل مقرراته وأغلقت المجلات التي كانت تُعنى به.

وعلى الرغم من تهميش الجيوبوليتيك خلال الحرب الباردة، وابتعاد الدول عن الافصاح عن اي ارتكازات جيوبوليتيكية لسياساتها الخارجية، بقيت ممارسات الدول الكبرى لا سيما الولايات المتحدة الاميريكية والاتحاد السوفياتي وبعدها روسيا، تدل على انها تنطلق من أُطرٍ جيوبوليتيكية. صحيح ان اي من هاتين القوتين لم يأت على ذكر الجيوبوليتيك في رسم الاستراتيجيات والسياسات الخارجية، لكن كتابات ابرز المؤثرين على صنع القرار فيها (مثل هنري كيسنجر* وزبيغنيو بريجينسكي** والكسندر دوغين***)، اضافة الى تحليل نمط تحرك وتغيّر سياساتها الخارجية تدل على ان المعطيات الجيوبوليتيكية كانت ولا تزال في طليعة المرتكزات التي بنيت عليها السياسات الخارجية للدول الكبرى.

مع انهيار الاتحاد السوفياتي بدأ الحظر على الجيوبوليتيك يتراجع، فشهد هذا العلم بعد الحرب الباردة انطلاقة كبيرة على الصعيدين العلمي والعملي. فقد أُعيد تدريس مادة الجيوبوليتيك في الجامعات والمعاهد كمادة أساسية في الدراسات السياسية والاستراتيجية. وفي المقلب الاخر، عاد الاهتمام بالجيوبوليتيك على الصعيد العملي، حيث لم تعد الدول الكبرى تخفي ارتكاز سياساتها الخارجية على حسابات جيوبوليتيكية. وقد أدت عودة الاهتمام بالجيوبوليتيك الى تطور كبير في التنظير والبحث العلمي الجيوبوليتيكي من جهة، وزيادة الاعتماد عليه من الاستراتيجيين والمخططين من جهة ثانية.

بناء على كل ما تقدم، لا بد من الاضاءة على تطور الجغرافيا السياسية وانبثاق الجيوبوليتيك عنها، اضافة الى تعريف كل من العلمين وتحديد أوجه الاختلاف بينهما. كما أنه من الضروري المرور على تطور الجيوبوليتيك والمحطات التي أثرت على بنائه كعلم ثابت، مروراً بأبرز النظريات التي تم تداولها. وبما أن موضوعنا يتمحور حول نظرية البر، لا بد من التركيز على أبرز ما جاء في هذه النظريات.

---

* هنري كيسنجر Henry Kissinger(١٩٢٣- ...): سياسي ودبلوماسي وجيوبوليتيكي اميركي من اصل الماني، يعد من ابرز الشخصيات التي ساهمت في صياغة السياسات الخارجية الاميركية. تولى منصب مستشار الامن القومي للرئيس نيكسون ثم وزير خارجية الولايات المتحدة، كما عمل استاذا للعلاقات الدولية في جامعة هارفرد. حاز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٣. له مجموعة من الكتب اهمها "الدبلوماسية".

** زبيغنيو بريجينسكي Zbigniew Brizinski (١٩٢٨-٢٠١٧): مفكر وسياسي وجيوبوليتيكي اميركي من اصل بولندي، عمل استاذا للعلاقات الدولية في عدة جامعات اهمها هارفرد، ثم مستشاراً للرؤساء كينيدي وجونسون وكارتر. تعتبر افكاره الجيوبوليتيكية ذات تأثير كبير على السياسة الخارجية الاميركية، وله في هذا المجال العديد من الكتب والمؤلفات ابرزها "رقعة الشطرنج الكبرى".

*** الكسندر دوغين Alexander Dugin (١٩٦٢-...): محلل سياسي واستراتيجي وفيلسوف روسي، يعد من ابرز المؤثرين على السياسة الخارجية الروسية الحديثة. يعرف بتأييده الكبير لنظرية القوة الاوراسية.

المبحث الأول: تطور الجيوبوليتيك كجزء من الجغرافيا السياسية

أثّر كل من الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك على الدول منذ نشأتها، فعلى الرغم من كونهما علمين حديثين، إلا أن منطلقاتهما قديمة قدم الحروب التي هدفت دوماّ الى التوسع الجغرافي في سبيل تحقيق المصالح القومية والوطنية العليا للدول والكيانات السياسية.

لقد حاول مفكرو وعلماء الجغرافيا السياسية في البداية تسليط الضوء على الاثار المجتمعية، الاجتماعية، والسياسية لتغيّر الانماط الجغرافية. فبرزت النظريات التي ربطت بين مزاج وخصائص الشعوب من جهة، والطبيعة من حيث الموقع الجغرافي والمناخ من جهة أخرى. ثم تطورت النظريات أبعد من التاثير المباشر على الشعوب، الى تأثير العناصر الجغرافية نفسها على السياسة الداخلية والخارجية للكيانات السياسية والدول، وهو ما شكل جوهر علم الجغرافيا السياسية.

تطور علم الجغرافيا السياسية سريعاّ، وانبثق عنه الجيوبوليتيك الذي اهتم بالمجالات الجغرافية كافة دون الاقتصار على جغرافيّة البلد أو الكيان السياسي دون غيره. ان الاهتمام الكبير الذي لقيه هذا العلم منذ ظهوره، أدى الى وضع عدد من النظريات التي قاربت العلاقات الدولية والسياسات الخارجية من منطلقات جيوبوليتيكية، كما جعله يمر بمراحل عديدة ليصل الى ما هو عليه اليوم. ولعل أهم هذه المراحل كان نهاية الحرب الباردة عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، لانها شكلت منطلقا جديدا للعلاقات الدولية بعد التبدل الكبير الذي طرأ على الساحة الدولية وعودة الاهتمام بالجيوبوليتيك بعد التهميش الذي تعرض له هذا العلم عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية.

بناء على ما تقدم سوف نتطرق في هذا المبحث الى ظهور علم الجغرافيا السياسية وتطوره وصولاً الى الجيوبوليتيك المعاصر، مرورا بأبرز محطات التطور التي أدت أولا الى ظهور الجيوبوليتيك، وأثر الحربين العالميتين على هذا العلم، وأخيرا نهاية الحرب الباردة وتأثيرها على الجيوبوليتيك. كما سنقوم بتعريف كل من الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك وتحديد عناصر كل منهما بغية تسليط الضوء على أهميتهما كعلمين منفصلين. لتغطية هذه الأفكار سوف نتناول في الفقرة الأولى تبلور الجيوبوليتيك انطلاقاً من الجغرافيا السياسية وتطوره وصولا الى نهاية الحرب الباردة. أما في الفقرة الثانية فسوف نتناول مدارس الجيوبوليتيك وما وصل اليه التنظير في هذا العلم بعد عودة الاهتمام به بعد الحرب الباردة.

الفقرة الأولى: تبلور الجيوبوليتيك حتى نهاية الحرب الباردة

تطوّرت الجغرافيا السياسية بشكل كبير منذ ظهورها حتى انبثق عنها الجيوبوليتيك، الذي لعب دوراً هامّاً في صياغة العلاقات الدولية في فترة الحربين العالميّتين، ومن ثم بعد الحرب الباردة نظراً لأهميته كمرتكز عملي لانطلاق أهم السياسات الخارجية لا سيما للدول الكبرى. إلا أن الجيوبوليتيك لم ينشأ كعلم مستقل بذاته إلا بعد تطوّره انطلاقاً من الجغرافيا السياسية، لذلك وجب علينا قبل الشروع في شرح نظريات الجيوبوليتيك أن نعرّج على الجغرافيا السياسية وتطورها وصولاً الى الجيوبوليتيك، اضافة الى تقديم تعريف لكل من العلمين، وهو ما سوف نتناوله في هذه الفقرة من دراستنا.

أوّلاً: تطور الجغرافيا السياسية

صحيح أن ركائز علم الجغرافيا السياسية لم تتبلور إلا مع نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن دلالات الفكر الجغرافي السياسي في التاريخ القديم والمتوسط جلية وقديمة قدم علمي الجغرافيا والسياسة. لذلك يمكن رصد هذا المنهج الفكري ومتابعة تطوره عبر الازمان المختلفة حتى قبل ظهور علم الجغرافيا السياسية مع فريديريك راتزل (١٨٤٤-١٩٠٤)[*].

خلال العصور القديمة، تظهر افكار الجغرافيا السياسية في بعض كتابات أرسطو(٣٨٣ق.م.-٣٢٢ ق.م.)[**]، ففي رسالته "السياسة" أوضح أن العنصرين الأساسيين للنموذج المثالي للمدينة هما "السكان والطبيعة التي تتواجد فيها المدينة باعتبارها الأهم في تحديد قوة المدينة."[٢] كما تشير دراساته الى تميّز سكان المناطق المتماثلة بسمات متشابهة، في اشارة واضحة الى اعتقاده بتأثير الأقاليم على سياسة الدول. كاعتباره أن موقع الإغريق الجغرافي "جعلهم يمتلكون القدرة على التطور السياسي. كما لهم القدرة على حكم الأمم الأخرى."[٣] وفي سياق قريب لما تحدث عنه أرسطو، قال هيرودتس (٤٨٤ق.م.-٤٢٥ق.م.) [***] "أن سياسة الدولة تعتمد على جغرافيتها"[٤]، أي أنه اعتقد بأن لجغرافيا البلد أثراً كبيراً على سياساتها التي تحدد معالمها الأساسية. إن ما سبق يدلّ على الأهمية التي أولاها باحثو العصور القديمة لتحليل طبيعة وموقع الدولة لاظهار تأثيراتها على قوة وسياسات الدول.

أما خلال العصور الوسطى، فقد دخلت أوروبا في العصور المظلمة، في المقابل شهد العالم الاسلامي نهضة فكرية ملحوظة على الكثير من الصعد والمستويات كانت من بينها أفكار في الجغرافيا السياسية. من

---

[*] فريديريك راتزل Friedrich Ratzel (١٨٤٤-١٩٠٤): باحث الماني، يعد مؤسس علم الجغرافيا السياسية عبر كتابه الاشهر "الجغرافيا السياسية".

[**] ارسطو (٣٨٣ق.م.-٣٢٢ ق.م.): باحث وفيلسوف يوناني، اشتهر بأفكاره السياسية وهو تلميذ افلاطون.

[٢] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ٢٠١٣،ص ٢٢٧

[٣] م.ن.، ص ٢٢٩

[***] هيرودوتس او هيرودوت (٤٨٤ق.م.-٤٢٥ق.م.): مؤرخ يوناني اشتهر بوصفه للاماكن التي زارها حول العالم.

[٤] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٦ ، ص ١٦

هنا يمكن تسليط الضوء على عبد الرحمن ابن خلدون(١٣٣٢-١٤٠٦)[*] الذي ربط بين الانسان والوطن موضحاً أن الانسان البدوي يختلف عن الانسان المتمدن من حيث طبيعته، فالأول تربطه بأقرانه مصالحه الرعوية الزراعية، في حين يتشارك الانسان المتمدن مع أقرانه بالطبيعة الأرضية الواحدة ما يعطيهم صفات متشابهة[٥]، اضافة الى اعتقاده أن الموقع الجغرافي يعطي سكانه سماتاً محددةً، كإشارته الى أن سكان مناطق معينة يحملون صفات عامة محددة مثل ميل سكان الشواطئ للحرية.

بعد ذلك وفي عصر النهضة، برز عدد من الباحثين الذين تكلموا في الجغرافيا السياسية دون تسميتها. فأفكار جان بودان(١٥٣٠-١٥٩٦)[**] أتت مشابهة لافكار ابن خلدون وأرسطو حيث أشار الى أن الملامح القومية للدولة تتحدد أساساً تبعاً لمناخها وطوبوغرافيتها. أما مونتسكيو(١٦٨٩-١٧٥٥)[***] فقد أشار الى أن طباع الشعوب السياسية تتأثر بشكل كبير بموقعها نسبة لخط الاستواء، حين قال أن "الحرية والديمقراطية تزدادان كلما زاد البعد عن خط الاستواء.[٦] وأضاف مونتسكيو في كتابه الرابع عشر من مجموعة "روح القوانين" أفكاراً حول تأثير الجغرافيا في التباين السياسي والسلوك البشري.[٧]

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ظهرت ملامح الجغرافيا السياسية في أفكار بعض الباحثين من حيث الربط بين الحضارات وموقعها. فتكلم كارل ريتر(١٧٧٩-١٨٥٩)[****] عن حياة الحضارات واختلافاتها حسب مواقعها. أما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد أثّرت أفكار تشارلز داروين(١٨٠٩-١٨٨٢)[*****] الثورية على أفكار معظم باحثي ذلك الوقت، وهو ما يمكن أن يفسّر بداية ظهور فكرة الدولة ككائن حي في ذلك العصر من بعد ابن خلدون، بالأخص مع راتزل، والتي أحدثت تطوراً كبيراً على الجغرافيا السياسية وساهمت بشكل كبير في ظهور الجيوبوليتيك فيما بعد. وقد اشتهر راتزل بأنه أول من ادخل فكرة المجال الى الجغرافيا السياسية. وبناءً على أفكاره برزت بداية الجيوبوليتيك والخلط بين المفهومين. فيكاد يجمع الباحثون على أن راتزل هو مؤسس الجغرافيا السياسية بواقعها الحالي، حيث "انتقلت مجمل الآراء والافكار التي سبقته الى صياغة جديدة ظهرت في قواعد محددة من حيث ارتباط الدولة بالعامل الجغرافي"[٨]، وفي الوقت عينه الأساس الفكري لانطلاقة الجيوبوليتيك كعلم مستقل. ومن هنا يمكن القول أن ظهور الجغرافيا السياسية كمفهوم

---

[*] عبد الرحمن ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦): فيلسوف ومفكر عربي اسلامي، له اثر كبير في علم الاجتماع والسياسة. وبقي كتابه "المقدمة" من اهم المراجع حتى يومنا.

[٥] خليل حسين، **تاريخ الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى**، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢١٨-٢٣٠

[**] جان بودان (١٥٣٠-١٥٩٦): قانوني وفيلسوف سياسي فرنسي، استاذ القانون في تولوز، وقد اشتهر في نظريته حول السيادة.

[***] مونتسكيو او شارل لوي دي سيكوندا Montesquieu (١٦٨٩-١٧٥٥): قاض وأديب وفيلسوف وسياسي فرنسي.

[٦] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م. س.، ص ٢٣٢

[٧] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م. س. ، ص ١٧

[****] كارل ريتر Karl Ritter (١٧٧٩-١٨٥٩): جغرافي الماني، استاذ الجغرافيا في جامعة هومبولدت في برلين، ومنظّر في اسس الجغرافيا التجريبية.

[*****] تشارلز داروين Charles Darwin (١٨٠٩-١٨٨٢): عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، اشتهر بنظرية التطور التي تكلمت عن اصول مشتركة لكافة الكائنات الحية.

[٨] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م. س. ، ص ١٧

أتى في أواخر القرن التاسع عشر مع راتزل في كتابه الشهير "الجغرافيا السياسية" عام ١٨٧٩. وبعد ذلك انصب الاهتمام على هذا المفهوم ليصبح في فترة وجيزة علماً قائماً يتمتع بخصائص وركائز واضحة.[٩]

واستمر التنظير في الجغرافيا السياسية مع بدايات القرن العشرين مع باحثين مثل رودلف كيلين(١٨٦٤-١٩٢٢)[*] وكارل هاوسهوفر(١٨٦٩-١٩٤٦)[**] وغيرهم. وضمن الاطار نفسه، يمكن رؤية تأثير الموقع الجغرافي على الطبيعة السياسية التي تتميز بها الجتمعات البشرية في أفكار الألماني كارل شميدت(١٨٨٨-١٩٨٥)[***]. ففي كتابه عام ١٩٤٢ بعنوان "الأرض والبحر"، يشير شميدت الى العلاقة بين التصلب بالآراء والمحافظة في الصيغ التشريعية والأخلاقية في مجتمعات الدول القارية بحكم تأثير "صلابة ورسوخ الأرض" وثبات طرق المواصلات، في تتمتع المجتعات البحرية بالحرية والتجديد والتقلب بفعل انفتاح البحر.[١٠]

واكتسبت الجغرافيا السياسية الى جانب الجيوبوليتيك أهمية كبرى في فترة ما بين الحربين العالميتين. وعلى الرغم من التهميش الذي حصل للجيوبوليتيك بعد الحرب العالمية الثانية وربط الجغرافيا السياسية به، والذي دفع بالكثير من الباحثين الى اعتبار التعامل مع أي موضوع جغرافي سياسي محظور، بقي الاهتمام العلمي بهذا العلم. فنجد بعض المؤلفات التي تناولت الجغرافيا السياسية مثلاً دوغلاس جاكسون[****] الذي عرّف الجغرافيا السياسية عام ١٩٦٤ على أنها " دراسة الظاهرة السياسية في محتواها المساحي"[١١]، اضافة الى تعريف ريتشارد هارتسهورن(١٨٩٩-١٩٩٢)[*****] عام ١٩٦٠. وللسبب عينه جرى الابتعاد بشكل كبير وملحوظ عن التنظير في الجغرافيا السياسية في أوروبا.

إلا أن اهتمام الأميريكيين بالجغرافيا السياسية استمر في تلك الفترة فأُعيد ادخال مقرراتها سريعاً الى المناهج التعليمية دون الجيوبوليتيك. كما ان الاهتمام الأوروبي بهذا العلم لم ينقطع كلّياً نظراً لإيمانهم بأهميته، فتم البحث فيه تحت "اسماء مختلفة مثل (جغرافيا المصالح القومية). ومع نهاية السبعينات توسعت دائرة اهتمامات الجغرافيا السياسية لتشمل مجالات متعددة مثل الدراسات الانتخابية، تغيير الحدود الادارية، وتوزيع السكان.[١٢]

---

[٩] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م. س.، ص ٢٣٤-٢٤٠

[*] رودولف كيلين Rudolf Kjellen (١٨٦٤-١٩٢٢): عالم سياسة وسياسي سويدي، عُرف بتأثره بافكار راتزل وريتر، وهو اول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيك.

[**] كارل هاوسهوفر Karl Haushofer (١٨٦٩-١٩٤٦): ضابط وجغرافي وسياسي الماني، اعتبرت أفكاره اساس الفكر التوسعي النازي لهتلر.

[***] كارل شميدت Karl Schmid (١٨٨٨-١٩٨٥): محام ومؤرخ ,باحث سياسي الماني، اشتهرت كتاباته بالميل نحو التفسير الجيوبوليتيكي للأحداث السياسية. ينتمي للمحافظين الالمان، وكان من المؤثرين على الفكر النازي، واشتهر لتنظيره في الممارسة الفعالة للقوة السياسية.

[١٠] الكسندر دوغين، **أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي**، ط١، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٢١

[****] دوغلاس جاكسونDouglas Jackson : باحث سياسي أميركي.

[١١]الكسندر دوغين، م. س.، ص ٢٥٢

[*****] ريتشارد هارتسهورن Richard Hartshorne (١٨٩٩-١٩٩٢): جغرافي اميركي، اشتهر بدراسته للجغرافيا وعلاقتها بالمجتمعات البشرية.

[١٢]الكسندر دوغين، م. س. ، ص ٢٥٦-٢٥٨

ثانياً: الجيوبوليتيك حتى نهاية الحرب الباردة

كان الباحث السويدي كيلين أول من استخدم مصطلح الجيوبيوليتيك، إلا أنه وعلى غرار الجغرافيا السياسية، فالأفكار الجيوبوليتيكة يمكن رصدها عبر التاريخ. فالجيوبوليتيك ظهر كعلم ذو خصائص محددة في القرن التاسع عشر وذلك للضرورات العلمية للبحث في الظواهر السياسية، وللضرورات العملية لاستعماله كأساس لبناء الاستراتيجيات والسياسات الخارجية، إلا أن شواهد التفكير الجيوبوليتيكي عبر التاريخ كثيرة.

فالممالك القديمة مثل الدولة المصرية القديمة ودول سومر وأكاد وبابل وأشور*، والتي بنيت في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين استخدمت، اعتمدت سياسة بناء المعسكرات على حدود دولها البعيدة والنائية، واهتمت بالامتداد والسيطرة على أراض واسعة من الصحاري والجبال والاراضي المفتوحة غير المأهولة وغير القابلة للحياة. وذلك لنقل معارك دفاعها عن دولها الى خارج مراكزها. لذلك شكلت الهضاب والصحاري اهمية جيوبوليتيكية كبرى لهم، فاتّبع المصريون سياسة قوامها أن "الدفاع عن مصر يبدأ من أراض بعيدة عنها، أي من منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط".[١٣]

أما الاغريق، فبسبب اهتمام الدول (المدن) بالتجارة، فقد شكلت المناطق المشاطئة والممرات المائية خاصة على البحر المتوسط أهمية جيوبوليتيكية لهم، حيث سعوا الى السيطرة على هذه المناطق لضمان حماية مصالحهم الاستراتيجية القائمة على التجارة والمنافسة التجارية. في المقابل نرى الأثر الجيوبوليتيكي في أفكار باحثي الرومان مثل اشارة سترابون(٦٣ ق.م.-٢٣م)** الى "العالم ذو الأهمية"، واهتمامه بالاراضي ما خلف هذا العالم على الرغم من كونه غير مأهول. وكذلك الجغرافي الروماني بليني(٢٣م-٧٩م)*** الذي دعا الى توسيع بقعة السيطرة الرومانية الى الممرات البرية التي اولاها اهتماماً كبيراً، مع اشارته الى العوائق الطبيعية التي قد تقف في وجه هذا التوسع، والتي حددها بالمسطحات المائية التي تقطع الطرق البرية كنهر الراين والدانوب والفرات والنيل.

أما في العصور الاسلامية فظهرت الأهمية الجيوبوليتيكية للمناطق من خلال تقسيم العالم الى قسمين، أوروبا من جهة وأفروآسيا من جهة ثانية (عالم مسلم وعالم مسيحي)[١٤]. والفاصل بينهما البحر الأسود والبحر الابيض المتوسط اللذان حظيا باهتمام جيوبوليتيكي كبير من الباحثين الاسلاميين أمثال ابن خلدون وابن

---

* حضارات قديمة لبلاد ما كانت تعرف بـ"ما بين النهرين"، وهذه المنطقة تقع في جنوب غرب آسيا بين نهري دجلة والفرات، أي في العراق، سوريا، وتركيا حالياً.

[١٣] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م. س.، ص ٦٥

** سترابون او سترابوStrabo (٦٣ ق.م.-٢٣م): هو مؤرخ وجغرافي وفيلسوف اغريقي.

*** بلينيوس الاكبر او بليني Plinius (٢٣م-٧٩م): من اشهر المؤرخين والجغرافيين الرومان، كتاباته الجغرافية والطبيعية والتاريخية كان لها اثر كبير على الحضارة الرومانية.

[١٤] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م. س.، ص ٦٧

بطوطة وابن حوقل والمقدسي[****]، خاصة مع ازدهار التجارة والرحلات الاستكشافية والغزوات وحركة النقل. فقد كان الاهتمام الاسلامي حينها في السيطرة القارية مع السيطرة التجارية على هوامش البلدان القارية. ثم تتالت التطورات والاهتمامات الجيوبوليتيكية بعدها وتغيرت حسب الاهتمام السياسي للدول كل في حينها:[١٥]

أ- على أثر اكتشافات كريستوفر كولومبوس، فاسكو دي غاما، وفرناندو ماجلان[*] تغيرت ايضا النظرة الى البقع الأرضية الأكثر أهمية، فبرزت الاهتمامات الجيوبوليتيكية في اعتبار أراضي أوروبا الغربية وخاصة الساحلية منها الأكثر أهمية نظراً لحمايتها المائية من جهة، وقربها من المسطحات المائية التي تسهل عمليات الاستكشاف والاستعمار الجديد في وقتها.

ب- اعتبر اوغست كونت(١٧٩٨-١٨٥٧)[**] ان اوروبا تشكل بذاتها البقعة الأكثر أهمية وهو ما دفعه الى الدعوة الى الاتحاد بين الدول الأوروبية لتشكل الثقل الجيوبوليتيكي و"البقعة الأرضية المهمة". كما أشار ريتر الى أهمية العلاقة بين الانسان والدولة والوسط الطبيعي، ونظر الى العالم كقسمين، الأرض (القارات) والماء (المحيطات)، وأضاء على أهمية السيطرة على الحدود التي تفصل بينهما.

وازدهر الجيوبوليتيك بعد هذه المراحل جرّاء الاسهامات الفكرية التي قامت على أفكار راتزل في المجال الحيوي للدول، وفي حياة الدول ككائنات حية، ومساهمات كيلين في مجالات ابرزها المجال الحيوي، وأفكار ماكيندر وماهان وسبايكمان مع النظريات البرية والبحرية. فأفرز الجيوبوليتيك ما عُرف بنظريات القوة القارية والقوة البحرية، اللتين تخوضان صراعاً لا ينتهي من أجل السيطرة على العالم.[١٦]

وهكذا اتضحت معالم نظريات البر والبحر والصراع بينهما وتفضيل كل من الباحثين الواحدة على الاخرى حسب الضرورة الاستراتيجية التى تخدم مصالح دولهم. فاشتهر الجيوبوليتيك وتطور سريعاً مع بدايات القرن العشرين، وخاصة خلال الحربين العالميتين، وأخذ الحيز الاكبر من الاهتمام في تلك الفترة، حيث استُخدم كمنطلق لأكثر السياسات الخارجية توسّعاً وأهم الاستراتيجيات للدول الكبرى سعياً للسيطرة على العالم. ثم تعرض الجيوبوليتيك بعد الحرب العالمية الثانية لعملية تهميش، وتم التعامل معه لوقت طويل كأحد أدوات التفكير التوسّعي التدميري. لذلك تراجعت الدراسات حوله وسُحب من المناهج التعليمية في المدارس والجامعات والمعاهد. حتى أنه لم يكن مقبولاً على الصعيد العملي أن تُبنى أي من السياسات أو الاستراتيجيات على الأسس الجيوبوليتيكية (أو على الأقل الإجهار بذلك).

[****] من اشهر الرحالة العرب الذين اشهروا بكثرة تنقلاتهم وسفرهم بين مختلف المناطق في الدولة الاسلامية، وتسجيل انطباعاتهم.

[١٥] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م. س.، ص ٦٩٨، ٦٩٩-٧١٣

[*] من ابرز البحّارة والمستكشفين الاوروبيين الذين عاشو في القرنين الخامس والسادس عشر.

[**] اوغست كونت August Kont (١٧٩٨-١٨٥٧): عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي.

[١٦] ابراهيم شاكر، **"جيوبوليتيك الشرق الاوسط والنظام الاقليمي الجديد"**، مجلة الحقوق والعلوم، عدد ١٣، كلية الحقوق العلوم السياسية والادارية بيروت، ٢٠١٧، ص ٢٣١

إلا أن السياسات الخارجية للدول الكبرى كانت تدل على أن التفكير الجيوبوليتيكي لم يغب أبداً في مراحل وضع الاستراتيجيات، وعند التفكير بالمصالح القومية. ويُبَرَّر ذلك من خلال العودة القوية للجيوبوليتيك، عملياً وعلمياً، بعد زوال أبرز مخلّفات الحرب العالمية الثانية، نقصد بذلك انهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة.

ثالثاً: تعريف الجغرافيا السياسية

كما يشير اليه اسمه، وبما انه احد فروع الجغرافيا البشرية، يقوم علم الجغرافيا السياسية على الربط بين علمين هما الجغرافيا والسياسية. إلّا ان دور الجغرافيا السياسية كعلم لا يقتصر بآلية أو إطار لربط علمين قائمين (الجغرافيا والسياسة) فحسب، فمع تطور الجغرافيا السياسية باتت تتمتع بخصائص وأركان جعلت منها علماً قائماً بذاتها. لذلك نجد أن كلّ تعاريف هذا العلم تدور حول الإطار الذي يجب فيه درس جغرافيا الوحدة السياسية، وتأثيرها على سياسية هذه الوحدة بشكل او بآخر. وكغيره من العلوم النظرية، كثرت وتنوعت تعريفات علم الجغرافيا السياسية. ولم يستقر تعريفه على مفهوم موحّد يُجمع عليه الباحثون. إلّا ان الخطوط العريضة التي تحكم هذا العلم تكاد تكون واضحة، أي ان ركائزه الاساسية يمكن الاشارة اليها كقاسم مشترك بين مختلف التعريفات المعروضة.

تشير بعض التعريفات الى فهم الجغرافيا السياسية على أنها التأثير المباشر للجغرافيا على السياسة الخارجية. وبالتالي تقتصر هذه التعريفات على الاشارة الى ان المقومات الجغرافية التي تتمتع بها الدولة، من موقع وتضاريس وموارد، هي العنصر الاكثر تأثيراً على السياسة الخارجية لهذه الدولة. حسب هذه التعريفات يمكن أن نرى أنها تنادي بالحتمية الجغرافية، حيث أن وجود مقومات معينة لا بد وأن تؤدي الى نتائج محددة.

في هذا السياق يشير دوغلاس جاكسون الى الجغرافيا السياسية بأنها "دراسة علاقة الظواهر السياسية في حقائقها التوضيحية من خلال تحليل للحدود ومشاكلها والتنظيمات الجغرافية الناتجة عن تطبيق السلطة الحكومية او الوجود السياسي للدولة."[١٧] وفي تعريفه اشارة واضحة للارتباط الوثيق بين الدول والنطاق الجغرافي الذي تمارس عليه هذه الظاهرة السياسية السيادة. كذلك نرى ان هناك من يقول "ان المعطيات الجغرافية المختلفة (موارد، موقع، تضاريس ...) باعتبارها من عوامل قوة الدولة، تلعب دوراً حتمياً في توجيه سياسية الدولة الخارجية."[١٨]

---

[١٧] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م. س.، ص ٢٢

[١٨] حسين ضاهر، **معجم المصطلحات السياسية والدولية**، مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠١١، ص ١٢٥

كما يشير لويس الكسندر (١٩٢١-٢٠١٢) * الى دور الجغرافيا في تحديد شخصية الدولة في قوله ان الدولة هي ظاهرة فريدة في النظام السياسي الدولي، وكل دولة ظاهرة فريدة من حيث المقومات الطبيعية للاراضي التي تشكلها بالدرجة الأولى.[١٩] أما بالنسبة للجيوبولتيكي الفرنسي استيفان روزييه(١٩٥٩-٠٠٠) **، فيقول أن الجغرافيا السياسية هي "وصف دراسة الاطار السياسي (أي اراضي الدولة، وموقعها السياسي، وشبكات مواصلاتها وعلاقاتها، ومحاورها الجغرافية، وأمكنتها الرمزية...)."[٢٠]

بعض الباحثين لم يعط الجغرافيا السياسية نطاقا واسعا للدراسة، فأشاروا الى اهمية الجغرافيا السياسية في مجال وضع الاطر التي تفسر نقاط القوة والضعف في الظواهر السياسية وتسمح لهذه الاطر بوضع ضوابط محددة ترسم اوجه الخلاف والشبه بين مختلف الاقاليم والظواهر السياسية. فنجد من احاط الجغرافيا السياسية بكونها تنحصر في دراسة الظاهرة السياسية في اطار الاراضي مثل كاسبرسون Kasperson وباشيون Pacione.[٢١]

في المقابل، ذهبت تعريفات أخرى الى العلاقة الجدلية بين الجغرافيا وسياسات الدول، فاستغنت بدورها عن الحتمية الجغرافية لتضع الجغرافيا بمثابة المؤثر الذي يعطي الدولة امكانيات يمكن لها استغلالها أو تجاهلها. فيتوافق تعريف معجم روبير للجغرافيا السياسية مع هذه الفكرة حين حددها بأنها "دراسة العلاقات بين المعطيات الطبيعية للجفرافيا وسياسة الدول."[٢٢] كما يخلص تعريف آخر للجغرافيا السياسية بأنها "علم دراسة تأثير الجغرافيا في حياة الدول وسياستها إنطلاقاً من معطيات المكان.."[٢٣] وأشار سول برنارد كوهن(١٩٢٥-٠٠٠)* الى ان الجفرافيا السياسية هي دراسة العلاقات الدولية من منظور جغرافي.[٢٤] كما اشار جون اغنو(١٩٤٩-٠٠٠)** الى انها دراسة الافتراضات والمفاهيم الجغرافية التي تدخل في صناعة السياسة الدولية.[٢٥] في التعاريف المشار اليها، ليس هناك ما يدل على افتراض وجوب أن تؤدي المعطيات الجغرافية الى نتائج حتمية بل هناك اشارة الى وجود علاقة بين الجغرافيا والسياسة تُعطي الدولة امكانات يمكن استغلالها.

كما استُعملت الجغرافيا السياسية كعلم للمقارنة بين مختلف الاقاليم والدول، لدراسة التباين والتقارب في الظواهر السياسية في مختلف الاقاليم، كما فعل هارتسهورن. وفي سياق متصل لما قاله هارتسهورن حول الجغرافيا

---

* لويس الكسندر Lewis M. Alexander (١٩٢١-٢٠١٢): باحث واكاديمي جغرافي اميركي، ساهم في وضع قانون البحار في الامم المتحدة، ونال عام ١٩٨١ تكريماً من جمعية الجغرافيين الاميركيين لانجازاته في الابحاث العلمية والتعليم.

19 Lewis M. Alexander، world political patterns، second eiditon، Rand Mcnally company، Chicago,1963، P36

** ستيفان روزييه Stephane Rosiere (١٩٥٩-٠٠٠): باحث واكاديمي جغرافي فرنسي، وعضو اللجنة الوطنية الفرنسية للجغرافية.

٢٠ ابراهيم شاكر، م،س، ص ٢٣٢

٢١ خليل حسين، **الجفرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٢٢٥ - ٢٢٦

٢٢ حسين ضاهر، م.س.، ص ١٢٥.

٢٣ عدنان السيد حسين، **الجفرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٢٢

* سول برنارد كوهين Saul B. Cohen (١٩٢٥-٠٠٠): اكاديمي وباحث أميركي في الجغرافيا البشرية.

24 Saul Bernard Cohen، **Geopolitics of the world system**، Rowman + littlefield publishers inc.،U.K.،2003،P11

** جون اغنو John Agnew (١٩٤٩-٠٠٠): باحث واكاديمي في الجغرافيا السياسية، بريطاني وأميركي الجنسية.

25 Saul Bernard Cohen, opcit, P11

السياسية، يمكن القول ان "الجغرافيا السياسية تبحث في دراسة العلاقة بين الانسان والارض مع التأكيد على العلاقة بين العوامل الجغرافية والمتغيرات السياسية."[٢٦] وهذا المنطلق الفكري اشبه بمنطلق الحتمية الجغرافية التي تفترض نتائج محددة لامتلاك مقومات جغرافية معينة.

وفي سياق متصل، فإن اهتمام الجغرافيا السياسية ينصب على دراسة الوحدات السياسية كوحدة تتمتع بشخصية وسمات اقتصادية واجتماعية لها نظام سياسي، حيث تنمو داخل اطارها المحدد(حدودها). ويركز على اهميتها في ابراز شخصية الدولة كظاهرة متكاملة، حيث للجغرافيا السياسية دور كبير في تقييم الوحدات الادارية داخل الوحدات السياسية.[٢٧]

تُبرز التعريفات المتعددة، الاختلاف الواضح بين الباحثين حول طبيعة علم الجغرافيا السياسية والأطر التي تغطيها. فالكل يجمع على ان هذا العلم يقوم على تحليل جغرافيا الاراضي التي تقوم عليها الوحدة السياسية، ولكن الاختلاف يقع حول المجالات التي يغطيها ويدرسها هذا العلم. فمنهم من حصر اهتمام الجغرافيا السياسية بتوصيف وضع الظواهر السياسية الموجودة في مكان معين، ومنهم من ذهب لربط مباشر بين اقاليم محددة تعطي سمات خاصة للظواهر الموجودة فيها، والقسم الآخر ذهب الى عمليات المقارنة بين مختلف المناطق الجغرافية وتأثيرها على الظواهر السياسية فيما خص الوحدات الادارية الداخلية (كالعواصم والتقسيم الاداري)، والسياسيات الخارجية والاستراتيجية السياسية الخاصة بهذه الدول.

لكن كما سبق وذكرنا في بداية هذه الفقرة، فعلى الرغم من اختلاف التعريفات للجغرافيا السياسية، إلّا ان نقاطا اساسية تبرز كقاسم مشترك بينها جميعا، قد تصلح للقول بأنه تعريف مقبول لها. فعلى ضوء كل ما سبق، يمكن القول بأن **الجغرافيا السياسية هي فرع من فروع الجغرافيا البشرية، عنصر دراستها هو الدولة كظاهرة سياسية، حيث يُنظر اليها ضمن حدود جغرافية محددة، تنمو وتنضج وتتراجع ضمنها ولا تتخطاها. كما يمتد اهتمام الجغرافيا السياسية الى العلاقة المباشرة بين جغرافيا موقع الدولة (تضاريس، حدود، موارد، موقع) وسياستها الداخلية والخارجية، وتأثير هذه العلاقة على الامكانات والخصائص التي يمكن للدولة ان تستمدها من جغرافيتها.**

رابعاً: تحديد مفهوم الجيوبوليتيك

يعدّ الجيوبوليتيك تطوراً للجغرافيا السياسية، فقد انبثق عنها أواخر القرن التاسع عشر وشكل علماً قائماً بذاته. إلا أن طبيعة هذين العلمين المترابطة أدت الى سهولة الخلط بين المفهومين. ففي الوقت الذي يتفق فيه الباحثون على ان كلاً من الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك يشكل علماً منفصلاً، لا نزال نجد من يخلط بينهما

[٢٦] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص٢٢٥
[٢٧] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٢٢٣-٢٢٥

أو يشير الى احدهما كمرادف للعلم اللآخر. ولعلّ السبب الابرز لهذا اللغط الحاصل هو أخطاء الترجمة والتعريب التي غالباً ما يقع فيها المترجمون اثناء تعريب كتابات أجنبية، فأحياناً يقوم المترجم/ة بترجمة كتاب أو بحث خارج نطاق اختصاصه/ها، فيضيع اثناءها الكثير من المصطلحات والمفاهيم. وخاصة ان أغلب الكتابات القديمة والحديثة حول الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك هي كتابات أجنبية تم تعريبها.

وكما هو الحال بالنسبة لمفهوم الجغرافيا السياسية، لم يستقر الباحثون على تعريف موحّد للجيوبوليتيك. فمن خلال البحث والقراءة يمكن التوقف على عدد كبير من التعريفات للجيوبوليتيك تم تقديمها من مفكرين وباحثين وكتّاب. وعلى الرغم من بعض الاختلافات الجوهرية او السطحية بين هذه التعريفات، فإنه بالامكان الإشارة الى مجموعة من المقومات والركائز التي تجعل من الجيوبوليتيك علماً قائماً بذاته. لذلك سنعرض مجموعة من الآراء حول تعريف الجيوبوليتيك وصولاً الى وضع تعريف للجيولوليتيك على ضوئها، يمكن القول أنه يحمل ركائز العلم الأساسية.

إن الإطار الذي احاط بمفهوم الجيوبوليتيك لم يكن ثابتاً، بل أن المفهوم نفسه استعمل في سياقات لها معانٍ ثلاث[٢٨]:

أ. مركز الجيوبوليتيك هو قوة الدولة المستمد من الطبيعة التي تشكل المجال الجغرافي للدولة، وهو المعنى القريب من الجغرافيا السياسية.

ب. الجيوبوليتيك هو الجغرافيا السياسية التطبيقية، أي ان الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك شقين لعلم واحد، يُعنى الأول بالمبادئ والنظريات في حين يكون الجيوبوليتيك هو الشق التطبيقي.

ج. الجيوبوليتيك هو السياسة الوطنية المتأثرة بالوسط الطبيعي، وهو المعنى الواسع للجيوبوليتيك كونه يحمل مجالات واسعة غير محددة من الأطر.

وبالتالي فالجيوبوليتيك يتعامل مع تحليل العلاقات الدولية في ضوء تركيب الاوضاع الجغرافيّة والمصالح القومية أو الوطنية. وهذا يفسّر قول ماكندر بأن "لكل قرن جيولوليتيكيته"[٢٩] نظراً لاختلاف المصالح وطرق وامكانات تحصيلها وتحصينها خاصة مع التطور في المجالات التكنولوجيّة والالكترونيّة والإنترنت والأسلحة.

تقوم مجموعة من تعريفات الجيوبوليتيك على فكرة أنه العلم الذي ينطلق من كل العوامل والمقدرات والمقومات التي تمتلكها الدولة، الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية والتكنولوجية، من أجل تحديد المصلحة الوطنية لهذه الدولة، والانطلاق منها لرسم السياسات الخارجية.

---

[٢٨] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيكا**، م.س.، ص٦٩٢

[٢٩] م.ن.، ص٦٩٤

وقد كان الباحث السويدي كيلين اول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيك وعرّفها بأنها علم الدولة كجسم جغرافي متجسد في المكان، مضيفاً اليه اربعة مصطلحات تكون مكوّنة لهذا العلم وهي الإيكوبولتيكا (دراسة الدولة كقوة اقتصادية)، الديموبولتيكا (دراسة الدوافع الديناميكية)، السوسيوبولتيكا (دراسة الجانب الاجتماعي)، الكراتوبوليتيكا (دراسة صيغ الحكم والسلطة).[٣٠] ويضمر ربط كيلين الجيوبوليتيك بهذه المصطلحات الأربعة، اشارة واضحة للقاعدة الواسعة من المنطلقات التي يحويها هذا العلم برأيه.

ان معجم روبير الكبير يعرف الجيوبوليتيك بأنه "دراسة العلاقات بين المعطيات الطبيعية للجغرافيا وسياسية الدول غير المكتمل." [٣١] وذلك لأن الجيوبوليتيك لا يُرجع سياسة الدولة الى الوسط الطبيعي فقط كما هو مشار اليه، انما يضم العوامل الطبيعية الثابتة فضلاً عن الطاقات الاقتصادية والتكتيكية. وقد ورد في تعريف مجلة الجيوبوليتيك الالمانية عام ١٩٤٨ أن "الجيوبوليتيك هو علم علاقة الارض بالعمليات السياسية وأن موضوعها يقوم على قاعدة جغرافية عريضة ولا سيما على الجغرافيا السياسية التي هي علم الكائنات السياسية في مكانها وبيئتها"[٣٢]. وعبارة "موضوعها يقوم على قاعدة جغرافية عريضة" والحاقها بـ"لا سيما الجغرافيا السياسية"، تشير الى وجود عوامل أخرى الى جانب الجغرافيا.

كذلك يوضح الجيوبوليتيكي الروسي الكسندر دوغين أن الجيوبوليتيك قائم على ربط مقومات عديدة الى جانب جغرافية الدولة، لخلق منهج سياسي للدولة المعنية. فقال دوغين أن "الجيوبوليتيك يعيد تركيب المناهج التقليدية للبحث ويشتمل على مجمل العلوم المترابطة من سوسيولوجيا واستراتيجيات عسكرية وسياسية واقتصاد وانتروبولوجيا اضافة الى الجغرافيا."[٣٣]

وفي هذا السياق، يقول سول برنارد كوهن أن الجيوبوليتيك هو "تحليل تفاعل المقومات الجغرافية مع العملية السياسية."[34] موضحاً أن المقومات الجغرافية لا تقتصر على الحدود السياسية والجغرافية للدولة بل تتضمن المقومات العالمية والاقليمية، وان العملية السياسية تكمن في القوى العالمية والداخلية الذين يؤثرون على السّلوك الدولي. كما ان هناك رأي يقول أن الجيوبوليتيك ليس محكوماً بالعامل الجغرافي كعامل وحيد، أي أنه يتعدى تفسير هذا العلم ليشمل تفسير اسباب النزاعات والتحالفات عبر عوامل اخرى مثل المصالح وموازين القوى الاقليمية والدولية المتغيرة في السياق التاريخي.[٣٥]

---

[٣٠] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٣٨-٤٠

[٣١] شارل زورغيب، **الجيولوليتيكا المعاصرة مناطق الصدام**، ترجمة عاطف علبي، ط١، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت ١٩٩٣، ص١١

[٣٢] عدنان السيد حسين، **الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص٦٢

[٣٣] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٣٨-٤٠

[34] Saul Bernard Cohen, **opcit**, p11,12

[٣٥] ابراهيم شاكر، م.س.، ص٢٢٩-٢٦٦

وفي سياق آخر، نجد أن بعضاً من الباحثين يربطون بين الجيوبوليتيك والقوة على الصعيد العالمي بشكل مباشر. فعند هؤلاء، يتعدّى الجيوبوليتيك المعطيات الجغرافية وغير الجغرافية للدولة، ليكون أداة ربط وتفاعل بين كل هذه المعطيات والسياسات المختلفة وصولاً للقوة التي تكون غاية الدول. فقد أعطى الجنرال غالوا(١٩١١-٢٠١٠)* تعريفاً للجيوبوليتيك يربط السياسة بالجغرافيا بالقوة. حيث قال لدى اختتام محاضراته في "الجغرافيا والجيوبوليتيكا وقوى البر والبحر" عام ١٩٨١ أن الجيوبوليتيك هو "دراسة العلاقات بين نهج سياسة القوة المأخوذة بها على المستوى الدولي والإطار الجغرافي الذي تمارسه فيه"[٣٦]. وتعريف الجنرال غالوا يتشابه الى حد بعيد مع تعريف كولن غراي(١٩٤٣-٠٠٠)* الذي قال "يقصد بالجيوبوليتيك العلاقة التي تقدم بين القوة والسياسة الدولية والإطار الجغرافي"[٣٧].

بالإضافة لما سبق، ورد تعريف للجيوبوليتيك عن معهد ميونيخ للجيوبوليتيك، الذي يعود تأسيسه للجيوبوليتيكي هاوسهوفر، مفاده ان الجيوبوليتيك هو النظرية التي تبحث في قوة الدولة، التطورات السياسية، والمجال الحيوي، كلها بالنسبة للأرض، كما أنه هو الاساس لكفاح الدولة للحصول على المجال الحيوي.[٣٨]

وفي هذا السياق، نجد أن الجيوبوليتيك استُخدم كمرتكز لاكتساب الدول القوة على الساحة الدولية من خلال تعزيز أهمية منطق القوة في السياسة الدولية. وفقاً لهذا المنطلق يكون الجيوبوليتيك "مفهوم سياسي مضلل يستعمل في المصطلحات الجغرافية لايجاد مرتكز لسياسة غزو واستيلاء الحكومات القوية على اراضي الغير بالاستناد الى الظروف الطبيعية الجغرافية وخصائص السكان العنصرية".[٣٩] وقد طال اهتمام الجيوبوليتيك مجالات أخرى، حيث استُخدم كمرتكز ليس فقط لاكتساب الدول القوة على الساحة الدولية، بل تعداها الى تبرير البحث الدائم للدول عن التوسع وفرض الهيمنة على غيرها من خلال الدفاع عن أهمية منطق القوة في البحث عن سبل حماية الدولة لنفسها.

وقد استعمل وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية الأسبق هنري كسنجر (وهو من أبرز وأهم من شارك بإعداد السياسات الخارجية الأميركية خلال الحرب الباردة، حتى أن تأثير أفكاره وسياساته بقي ملحوظاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة) مصطلح الجيوبوليتيك للإضاءة على اهمية التوازن العالمي، والمصالح الوطنية الدائمة في عالم يتميز بتوازن القوى.[٤٠] إن إستخدام كسنجر للجيوبوليتيك في هذا السياق

* بيار ماري غالوا Pierre Marie Gallois (١٩١١-٢٠١٠): جنرال في القوات الجوية الفرنسية، وجيوبوليتيكي فرنسي عُرف لدوره الكبير في تأسيس الترسانة النووية الفرنسية.

[٣٦] شارل زورغيب، م.س.، ص١١

* كولن س غراي Colin S. Gray (١٩٤٣-٠٠٠): جيوبوليتيكي اميركي بريطاني، واكاديمي يدرس الدراسات الاستراتيجية والجيوبوليتيك. عمل مستشاراً للدفاع في الحكومتين الاميركية والبريطانية، وهو عضو المركز الوطني للسياسة العامة الاميركي.

[37] Colin Gray, **Geopolitics of the nuclear Era: Heartland, Rimlands and the technological revolution**,1977, p:13

[٣٨] عدنان السيد حسين، **الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص٦٣

[٣٩] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيكا**، م.س. ، ص٦٩٣-٦٩٤

[40] Klaus Dodds, **Geopolitics very short introduction**, Oxford university press inc., New York,2007, p 38

يحمل دلالات كبرى حول علاقة علم الجيوبوليتيك بمنطق القوة والسيطرة وتحقيق المصالح الوطنية خارج الحدود السياسية والجغرافية، متخطياً بذلك اهمية الموارد الطبيعية والجغرافية الى اهمية امتلاك عناصر القوة في مناطق أخرى، خارج الحدود السياسية للدولة، تحقيقاً للأهداف الوطنية.

وفي السياق عينه، أشار جون اغنو الى ان الجيولوليتيك اهتم في بداية ظهوره على الدلالات والممارسات الجغرافية التي ترسم السياسة الدولية. لكنه أضاف ان هذا التعريف خضع عدّة مرّات للتطوير والتغيير طوال السنوات التي لحقت ظهور علم الجيوبوليتيك[41]

فعبارة الجيوبوليتيك اليوم، كما يقول أغنو، تستعمل للإشارة الى ظواهر مثل النزاعات الحدودية، هيكلية الاقتصاد العالمي، وأنماط الانتخابات الجغرافية على البقعة الدولية. كما أضاف أن السياسة مقسمة اليوم الى ثلاث طبقات: الطبقة العالمية الدولية التي تعنى بعلاقات الدول، الطبقة الوطنية داخل كل دولة، والطبقة الإقليمية. وأظهر ان الجيوبوليتيك يتم تطبيقه على المستوى العالمي نزولاً، أي ان التطبيقات تكون عالمية لكن الاهداف تطال الطبقات الاخرى. ولاهتمام أغنو بالجيوبوليتيك اعطاه تعريفاً بأنه العلم الذي يحاول "تفسير احتمالات (أو امكانات) دولة معينة بالعلاقة مع احتمالات وامكانات الدول الاخرى كما تتم رؤيتها ضمن الظروف العالمية التي تضع الحدود على امكانات نجاح الدول على الصعيد العالمي."[٤٢]

من الجدير القول ان الجيوبوليتيك كان وسيبقى الطريقة الفضلى للنظر واستنباط مصالح وطبيعة علاقات الدول لاسيما الكبرى منها، ووسيلة ومنهج تخطيط استراتيجي تقوم عليه ابرز السياسات الخارجية للدول المؤثرة في مشهد العلاقات الدولية. فالدوافع الجيوبوليتيكية تكاد تكون الأهم، التي من خلالها تُرسم الاهداف السياسية والاقتصادية ومخططات الهيمنة التي تُبقي الدول الكبرى في الطليعة على الساحة الدولية، أو تُغيّبها عن لعب دور فاعل في النزاعات الدولية التي غالباً ما يتم من خلالها فرض المصالح القومية للدول الكبرى.

على ضوء ما تقدم يمكن لنا ان نخلص لنقول ان **الجيولوليتيك هو العلم الذي ينظر الى الدولة كظاهرة سياسية عضوية حيّة، عليها أن تنمو خارج حدودها السياسة وفقاً لمصالحها المتغيرة. فهو علم يربط بين أطر إمكانات الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، مع السياسات الخارجية لهذه الدول بغية تحقيق المصالح القومية، فيغدو عاملاً مؤثراً بشكل كبير في العلاقات الدولية ودافعاً هاماً لصناعة الاستراتيجيات الدولية الكبرى والسياسات الخارجية للدول، انطلاقاً من جوهر البحث عن زيادة القوة بشكل أساسي، وتمهيداً لتمكين الدولة من التمدد عبر التوسع أو فرض الهيمنة أو السيطرة أو التأثير على غيرها من الأقاليم، تفادياً لإضعافها أو السيطرة عليها.**

---

[41] John Agnew, **Geopolitics**, Routledge, New York & London,1987, p2-7

[42] John Agnew, opcit, p2-7

خامساً: الفروقات بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك

لا يزال الخلاف قائماً بين الباحثين حول تعريف كل من الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك والتمييز بينهما، فيبقى النقاش مفتوحاً حول مدى التطابق والاختلاف بين هذين المفهومين دون الوصول الى أجوبة جازمة. إلّا أنه مما لا شك فيه أن ظهور الجغرافيا السياسية كمفهوم وكعلم كان سابقاً للجيوبوليتيك، ومع تطوّر هذا العلم وازدياد الاهتمام به ظهرت مجموعة من المقاربات الجديدة له كان أبرزها الجيوبوليتيك. ولعل طبيعة الجيوبوليتيك كعلم منبثق عن الجغرافيا السياسية إضافة الى عامل الترجمة والتعريب، هو ما سهّل عملية اللغط بين العلمين.

ان التحليل الدقيق الذي يهدف الى التمييز بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك مهم جداً. وذلك لتوخي الدقة العلمية في التعاطي مع علمين قائمين كلّ على حدى، وللتمكن من الدراسة الموضوعية لأي من الملفات إنطلاقاً من ثوابت وركائز واضحة ومتينة وغير مبهمة.

ومن خلال ما تقدم من تعريفات للجغرافيا السياسية والجيولوليتيك يمكن تبيان الفروقات التالية:

أ- تنظر الجغرافيا السياسة الى الدولة كظاهرة سياسة ضمن حدودها كوحدة استاتيكية. بينما يعالجها الجيوبوليتيك ككائن عضوي ينمو، غالباً لتوسيع رقعة سيطرته، بهدف تحقيق المصالح القومية وإن لم يفعل فهو معرّض للإنهيار.

ب- تتناول الجغرافيا السياسية الخصائص الجغرافية داخل الدولة من تضاريس وموارد وحدود، وتدرس تفاعل هذه الخصائص مع الحياة السياسية للدولة وتأثيرها على السياسات الداخلية والخارجية لها. في حين يدرس الجيوبوليتيك ما هو ضروري للدولة، وإن لم يكن داخل حدودها، وبالتالي فتأثيره على السياسات الخارجية والداخلية للدولة يكون بقدر ما هو ضروري للحفاظ على المصالح الوطنية والقومية. فيدخل الجيوبوليتيك في الحسبان عند وضع الاستراتيجيات والسياسات عبر النظر في جميع المقومات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية الى جانب الجغرافية.

ج- اهتمت الجغرافيا السياسية بتبيان القوة الجغرافية للدولة من خلال تحليل المنطلقات الجغرافية الداخلية، أي من حيث امتلاكها لعناصر القوة انطلاقاً من موقعها الجغرافي بشكل اساسي. بينما اقترن الجيوبوليتيك بتسليط الضوء على القوة السياسية الدولية والقومية من منطلقات البحث الدائم عن اسباب هذه القوة اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً، وبشكل اساسي خارج الاطار الجغرافي للحدود السياسية للدولة المعنية.

د- ترسم الجغرافيا السياسية الواقع الحالي والحاضر للدولة كظاهرة سياسية انطلاقاً ممّا كانت عليه وما تملكه، اي من منطلقات تاريخية جغرافية. في المقابل، ينصب اهتمام الجيوبوليتيك على وضع تصورات

مستقبلية لحالة الدولة عبر "التوسع الجغرافي القومي والاستعماري من خلال تغيير حدود الدولة على حساب غيرها من الدول، ومن خلال بناء تحالفات تعزّز نفوذها الاقليمي والعالمي."[٤٣]

على الرغم من حداثة علمي الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، إلا أن شواهد حضور مقوماتهما برزت على مر التاريخ. وقد استمر التطوير والبحث والتنظير في هذين العلمين حتى يومنا الحالي. تجدر الاشارة الى أنه لا مؤشرات تُنذر بالابتعاد عن هذه الأفكار التي غالباً ما تؤخذ كانطلاقة لرسم الاستراتيجيات والسياسات الخارجية للدول. وعلى الرغم من وجود مجموعة من التعريفات لكل من العلمين، إلا أنه من الممكن الخلوص الى تحديد ركائز مشتركة بينها تصلح لوضعها كتعريف لكل منها. وبما أن الجيوبوليتيك قد انبثق عن الجغرافيا السياسية، كان لزاماً على كل باحث التدقيق في الفوارق بين العلمين من أجل عدم الوقوع في خطأ الخلط بينهما أو استعمالهما بمعنى واحد.

بعد التهميش الذي لحق بالجيوبوليتيك بعد الحرب العالمية الثانية لاعتباره المنطلق الفكري للسياسات النّازيّة العدوانيّة، عادت أهمية الجيوبوليتيك العلمية والعملية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة، فكيف تطور هذا العلم بعد الحرب الباردة وصولاً الى يومنا الحالي؟ وما هي أبرز المتغيّرات التي لحقت به؟ وكيف تبلورت أبرز المدارس الجيوبوليتيكية على الصعيد العالمي؟

---

[٤٣] ابراهيم شاكر، م.س.، ص٢٣٣

الفقرة الثّانية: المدارس الجيوبوليتيكية المعاصرة

ان الشواهد الدولية على الصراعات الجيوبوليتيكية في التاريخ الحديث والمعاصر كثيرة، فالأزمة التي أدارتها الولايات المتحدة الأميركية في بنما حملت في طياتها اهدافاً جيوبوليتيكية واضحة تمثلت بالسيطرة على القناة. كما ان اعادة ترسيم الحدود لدول الاتحاد السوفياتي السابق بعد انهياره، ونشر الدروع الصاروخية والسعي الى ضم اعضاء في الاتحاد السوفياتي السابق الى حلف الناتو، ما هو الا محاولات لكسب النفوذ في مناطق تخدم اهدافها الجيوبوليتيكية. أضف الى ذلك الصراع العربي الاسرائيلي القائم على أهداف توسعية اسرائيلية، ظاهرها عقائدي ايديولوجي وباطنها جيوبوليتيكي، بحثاً عن مصادر مائية وامتداد لتوسيع المجال الحيوي وابعاد مناطق الصراع عن حدود مناطقها المأهولة والحيوية.

لذلك فانه من المهم تسليط الضوء على واقع الافكار الجيوبوليتيكية المعاصرة ومتغيراتها، التي انبثق عنها مجموعة من المدارس الفكرية الجيوبوليتيكية الحديثة التي أثرت بشكل كبير على صياغة السياسات الخارجية للدول الكبرى. وابرز هذه المدارس هي تلك التابعة للقوى المؤثرة على المشهد الدولي. لذلك سنعمد في هذه الفقرة الى تسليط الضوء على ابرز التعريفات الجديدة للجيوبوليتيك، والاشارة الى ابرز المدارس الجيوبوليتيكية على الصعيد العالمي، التي تنطلق منها اكثر السياسات الخارجية تأثيراً في الصراعات، والتي تفسر واقع العلاقات الدولية المعاصرة.

أولاً: تعريف الجيوبوليتيك المعاصر

يعود الجيوبوليتيك المعاصر في اصله الى القرن الماضي مع كارل ريتر، اللذي تحدث عن علاقات متبادلة بين الانسان والدولة والمحيط الطبيعي. وقد قام ريتر بتقسيم العالم الى قسمين اساسيين هما الارض (القارات) والماء (المحيطات)، والحدود بينهما هي دائرة عظمى تبدأ من البيرو حتى جنوب اسيا. ثم قام بتقسيم اليابسة الى عالم قديم وعالم جديد، حيث يتشابه القديم بمناخه في مناطقه المختلفة، بينما يتميز الجديد بالتباين المناخي. ذلك كون الاول يمتد على خطوط العرض أكثر من الطول والآخر العكس. [٤٤]

ومن هنا انطلقت المدارس الجديدة في الجيوبوليتيك حيث ظهرت مجموعة من النظريات التي امتازت بها افكار بعض القوى الجيوبوليتيكية دون غيرها. حيث بدأت افكار الاتحاد والتحالفات تظهر، مشددة على اهمية المناطق الاقليمية للدولة، من اجل تحقيق الاهداف القومية للدول المتدخلة عبر سياسات خارجية منطلقة من دوافع جيوبوليتيكية. ونرى ذلك جلياً في الكثير من الافكار حول الاسباب الحقيقية للنزاعات الحديثة والمعاصرة، فعلى سبيل المثال "موقع العالم العربي في وسط العالم القديم يعطيه أهميته الجيوبوليتيكية القائمة

---

[٤٤] محمد رياض، **الاصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٥٨-٦٠

على كونه جسر التواصل بين القارات الثلاث، وخصوصاً موقع مصر وفلسطين، كما ان موقع تركيا باعتبارها حارسة مضيقي الدردنيل والبوسفور له وزنه الجيوبوليتيكي في الحرب والسلم معاً."[٤٥]

يقوم الجيوبوليتيك المعاصر على الاقليمية أكثر من العالمية. حيث أنه بعد الحرب العالمية الثانية مهد توازن القوى وتوازن الرعب والردع للابتعاد عن الحروب الشاملة بين القوى الكبرى خوفا على مستقبل البشرية جمعاء، فانتقل الاهتمام الى حروب الوكالة والتحالفات الاقليمية. لذلك يقوم الجيوبوليتيك المعاصر على الحسابات الاقليمية ودراسة المناطق بنطاقها الاقليمي لتحديد الاهداف الجيوبوليتيكية للدول.

فقد أصبحت هذه الافكار الاقليمية الاساس الذي قام عليه الجيوبوليتيك المعاصر. تقوم هذه الانماط الاقليمية على اشكال توزيعات اليابسة والماء وخطوط فصلها عن بعضها. وبرزت أفكار جيوبوليتيكية تركز على الكتلة القارية المؤلفة من اسيا واوروبا وافريقيا معا، حيث تشكل ٥٦٪ من مساحة اليابسة العالمية وتضم ٨٤٪ من سكان العالم، وهي محاطة بمساحات مائية كبيرة؛ ومنها انطلق ماكيندر في فكرة جزيرة العالم. وفي المقابل ظهرت افكار جيوبوليتيكية ركزت على النصف الشمالي من الكرة الارضية، حيث اوراسيا وافريقيا الشمالية واميركا الشمالية والوسطى، والتي تشكل ٦٠٪ من مساحة اليابسة و٤٠٪ من السكّان، ومحور هذه الافكار هي المسطحات المائية والمجالات الجوية التي تربط اوراسيا بأميركا. في السياق عينه برزت الافكار التي تركز على المحيط الاطلسي كرابط بين الاميركيتين واوروبا وافريقيا، وذلك استنادا الى ما يحويه من كثافة في خطوط المواصلات البحرية والجوية.[٤٦]

ومع تطور الجيوبوليتيك، لم تعد النظرة الضيقة والعامة التي نادت بها مدارس الجيوبوليتيك التقليدية وحدها تهيمن على التفكير الجيوبوليتيكي. فأُعطيَ الجيوبوليتيك المعاصر مضامين أكثر اتساعاً لكنها أكثر تخصصاً. وذلك بمعنى الابقاء على أسس الجيوبوليتيك الذي كان قائماً، لكن مع التدقيق في تفاصيل كل منطقة على حدا مع ما تحويه من اهمية جيوبوليتيكية وتأثيرها على السياسة الخارجية للدول الواقعة في هذه المنطقة وغيرها، اضافة الى تأثيرها على واقع العلاقات الدولية من حيث الرغبة بالتدخل لامتلاك القدرة التأثيرية على القرار في تلك الدول، وذلك من خلال "التركيز على المظهر الجغرافي للعلاقات الخارجية بما هي تشمل من علاقات سياسية واقتصادية واعلامية وثقافية."[٤٧]

عام ١٩٨٣، وخلال اجتماع الاختصاصيين الأول للعلاقات الدولية لحلف الأطلسي في بروكسل، تم استعراض اهمية الجيوبوليتيك وضرورة اعادة احيائه وتسليط الضوء على ركائزه، عبر العمل على اعادة احيائه

---

[٤٥] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٦٤

[٤٦] خليل حسين، **تاريخ الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى**، م.س.، ص ٧٠٧-٧١٣

[٤٧] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٦٤

كوسيلة تستخدم النظريات السياسية والدبلوماسية اضافة الى التكنولوجيا العسكرية، واعادة جذب الرأي العام واصحاب القرار الى ضرورة الجيوبوليتيك.[٤٨]

ومع انهيار الاتحاد السوفياتي، وتراجع الصراع الايديولوجي المعلن، كان لا بد من ايجاد اطار جديد تتحرك بموجبه الدوافع الجيوبوليتيكية للدول الكبرى. فقد امتازت مرحلة الحرب الباردة بصراع ظاهره ايديولوجي بين معسكري الرأسمالية والشيوعية، وباطنه جيوبوليتيكي سياسي لتقاسم النفوذ والسيطرة على العالم بين القوتين الكبرتين في العالم، الولايات المتحدة الأميركية من جهة والاتحاد السوفياتي من جهة ثانية. فعلى مر التاريخ، لم تعلن الدول أهدافها الجيوبوليتيكية بشكل علني وصريح، بل خبّأت دوافعها الحقيقية وراء شعارات وعناوين عريضة تكون هي اساس الصراع، ومن خلفها تجلت أهدافها الجيوبوليتيكية والجيوستراتيجية.

فالمدرسة الالمانية ارتكزت على تفوق العرق الجرماني لبناء سياساتها التوسعية، في حين برزت الزعامة التاريخية لبريطانيا العظمى وفرنسا في هاتين المدرستين كمرتكز لانطلاق سياستيهما الاستعمارية. وخلال الحرب الباردة تم تسليط الضوء على الصراع الايديولوجي بين الرأسمالية والشيوعية. أما منذ أواخر القرن العشرين، فقد ظهرت بشكل جلي ظاهرة الارهاب وسياسات محاربته. من هنا "فالعالم يشهد اليوم محاولة انتاج معادلة ثنائية صدامية تقسم العالم من جديد بأوهام إيديولوجية جديدة، بين معسكر ديمقراطي ليبرالي من جهة، ومعسكر الآخرين، المعادين للديمقراطية والليبرالية من جهة ثانية"[٤٩] لكن الهدف الجيوبوليتيكي لا زال ثابتاً وهو بحث كل من الدول الكبرى عن زيادة نفوذها.

لقد انتجت نهاية الحرب الباردة مجموعة من المقاربات الجديدة للجيوبوليتيك. فرأى فرانسيس فوكوياما(١٩٥٢-٠٠٠)* في نظريته نهاية التاريخ، أن انتصار الغرب بافكار الليبرالية والسوق الحرة على الماركسية–اللينينية سيؤدي حتماً الى دولة عالمية حيث لا يعود للجيوبوليتيك اي اهمية كون الفوارق الجغرافية لن تعود ذات اهمية. وقد اشار الى أن انهيار الاتحاد السوفياتي كان آخر انهيار لاخر أسس "اللاعقلانية" التي شكلت عوامل تطور التاريخ.[٥٠]

اما روبرت كابلن(١٩٥٢-٠٠٠)** فقد اشار الى جيوبوليتيك الفوضى، حيث قسم العالم بعد الحرب الباردة الى الشمال الغني والجنوب الفوضوي. وهو ما يشير اليه الرئيس بوش الاب في خطابه امام الكونغرس عام حين قال ان العالم يتجه نحو نظام عالمي جديد١٩٩٠. لكن اي من هذه النظريات اثبتت ديمومتها نظرا الى

---

[٤٨] شارل زورغيب، م.س.، ص١٣
[٤٩] ابراهيم شاكر، م.س.، ص ٢٣٢
* فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama (١٩٥٢-٠٠٠): كاتب واكاديمي اميركي، اشتهر بنظريته نهاية التاريخ التي حاجج فيها ان التطور الاجتماعي وصل الى المرحلة الاخيرة.
[٥٠] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٦٩
** روبرت كابلن Robert D. Kaplan (١٩٥٢-٠٠٠): كاتب وباحث أميركي، وجيوبوليتيكي اميركي من اشهر اعماله مقال كتبه عام ١٩٩٤، تحت عنوان "The Coming Anarchy" ، والذي شبّهه النقّاد بمقال هانتنغتون حول صراع الحضارات.

حالة عدم الاستقرار الذي شهده العالم اضافة الى عدم تمكن الولايات المتحدة من تحقيق كامل اهدافها في الكثير من المحافل ابرزها العراق، افغانستان، الصومال وهاييتي.[٥١] ان ما سبق يتوافق مع تعريف جديد للجيوبوليتيك بتقديمه "كخطاب ذي طموحات تأسيسية مميزة للعالم حيث تستخدم الاستعارات والصور المرئية في عملية صنع قصص وبناء صور للسياسة الدولية."[٥٢] من هنا يمكننا القول أن الاطار الايديولوجي الجديد لتحرك وتنفيذ الأهداف الجيوبوليتيكية اليوم، ينضوي تحت الصراع الدولي لمكافحة الارهاب.

في سياق متصل بالبعد الايديولوجي المستخدم عند الحديث عن الجيوبوليتيك، نجد استغلالاً للدين والاعراق وغيرها من عوامل التمييز بين مختلف الجماعات البشرية، لتحقيق الهداف الجيوبوليتيكية. أضاف الى مجموعة الاهتمامات الخصائص الدينية والعرقية وغيرها. في هذا السياق اصبح الجيوبوليتيك "بمنزلة إطار معرفي مناسب لفهم طبيعة الصراع القائم بين القوى السياسية التي تقدم نفسها كممثلة لمنظومات دينية مختلفة."[٥٣]

من هنا يعرّف الجيوبوليتيك المعاصر بأنه المرجع للخارطة العالمية المقسمة الى اصقاع واقاليم تتمتع بظروف متشابهة عبر استخدام تعابير مثل العالم الثالث والدول المارقة ومحور الشر وما الى هنالك، والتي تساعد على تقسيم العالم الى مناطق حسب السياسات المراد صياغتها.[٥٤]

بناء على ما تقدم، يمكن القول بأن تعريف الجيوبوليتيك المعاصر لم يتغير في الجوهر عن الجيوبوليتيك التقليدي. لكن بالامكان رصد المتغيرات التالية:

أ- توسيع دائرة الاهتمام الى مجالات جديدة لاستخدامها في التأثير على السياسات الخاصة بالدول سعيا لتحقيق الاهداف القومية، مثل الاعلام والدين والاعراق. ما يُعتبر تغييراً في الادوات، وهو ما سنتناوله في الفصل الثاني من البحث.

ب- الانتقال الى الاهتمام بالاقليمية والتخصصية الجيوبوليتيكية أكثر من النظرة العالمية الشمولية التي كانت سائدة في افكار الجيوبوليتيك التقليدي.

ت- استخدام الجيوبوليتيك للسياسات السلمية والعسكرية على حد سواء، في السعي الى كسب المناطق والاقاليم ذات الاهمية الجيوبوليتيكية، بعد ان كان متهماً بالدعوة الى العدائية في ظل الجيوبوليتيك التقليدي.

ثانياً: المدرسة الغربية الاميركية (الأطلسية)

[51] Saul Bernard Cohen, opcit, P27

[٥٢] حسام مطر، **"الخيار الأوراسي وسؤال الأمن والهوية في غرب آسيا"**، المستقبل العربي، العدد ٤٦٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٧، ص١٢٠

[٥٣] يوسف حسيني، **"دور الكنائس في الصراع الروسي-الأوروبي (جيوبوليتيك الدين)"**، السياسة الدولية، العدد ٢٠٣، مؤسسة الأهرام، مصر، ٢٠١٦، ص١٢

[54] Klaus Dodds, opcit, p 4,5

لقد تأثرت المدرسة الجيوبوليتيكية الاميركية بشكل كبير بافكار نيكولاس سبيكمان(١٨٩٣-١٩٤٣)* الذي أسس نظرياته وأفكاره عبر تصحيح أفكار هالفورد ماكندر(١٨٦١-١٩٤٧)**. وكما فعل سبيكمان، قام اتباعه بالارتكاز على تصحيح افكاره من اجل تطوير نظرياتهم. من هنا انطلق ماييننغ، وهو تلميذ سبيكمان، في نصه بعنوان "قلب العالم واراضي الاطار في التاريخ الاوراسي" عام ١٩٥٦، ليقسم منطقة الاطار RIMLAND الى ثلاثة اقسام: الاولى تضم الصين، منغوليا، فييتنام الشمالية، بنغلادش، افغانستان، اوروبا الشرقية بما فيها روسيا، ودول البلطيق وهي الدول المائلة عضوياً الى منطقة قلب العالم. القسم الثاني يضم كوريا الجنوبية، بورما–الهند، العراق، سوريا، يوغوسلافيا وهي الدول المحايدة جيوبوليتيكيا. أما القسم الثالث فيضم اوروبا الغربية، اليونان، تركيا، ايران، باكستان، تايلاند وهي الدول الاطار. كما اشار ماييننغ الى ان المقاييس الجيوبوليتيكية يجب ان تضع في الحسبان التوجه الوظيفي للسكان والدولة، وليس فقط العلاقة الجغرافية الصرف للارض باليابسة والبحر.[٥٥] وهنا يظهر جلياً الافكار المشابهة لافكار البوسيبليزم للفرنسي بول فيدال دي لا بلانش(١٨٤٥-١٩١٨)***، الذي رفض الحتمية الجغرافية رابطا استغلال اي دولة للامكانات الجيوبوليتيكية الا من خلال الرابط بين المقومات الجيوبوليتيكية والاستغلال الصحيح لها من قبل سكان الارض.

كما عمل وليام كيرك**** على تطوير نظرية الاطار RIMLAND بالاعتماد على تحليل ماييننغ الثقافي–الوظيفي. وفيها أكد كيرك على ان الحضارات الشاطئية التي تنطلق منها الدفقات الثقافية تلعب الدور الجيوبوليتيكي الاهم. ثم تبعه الاميركي سول كوهين في كتابه "الجغرافية والسياسة في عالم مجزأ"، وأضاف اليه بأنه يمكن تقسيم كل اقليم من الكوكب الارضي الى اربعة قطاعات جيوبوليتيكية هي: الوسط الخارجي البحري (المائي)، النواة القارية البعيدة عن الشاطئ، الحزام المتقطع (وهي القطاعات الشاطئية الموجهة الى داخل القارة او منها)، واخيرا المناطق غير المرتبطة جيوبوليتيكيا بهذه المجموعة.[٥٦]

وقد التقط الاستراتيجيون والجيوبوليتيكيون الاميركيون أمثال هنري كيسنجر منظومة الاحزمة المتقطعة، حيث رأى أن السياسة الاستراتيجية للولايات المتحدة الاميركية لا بد لها أن تقوم بربط اجزاء المناطق الشاطئية المتقطعة في كل موحّد، لكي تفرض الاطلسية هيمنتها الكاملة على الاوراسيا السوفياتية، وهو ما عرف بنظرية الربط أو الـLINKAGE. ومن الناحية العملية تظهر هذه السياسة في الحرب الفييتنامية، وتفعيل العلاقات

---

* نيكولاس سبيكمان Nicolas J. Spykman (١٨٩٣-١٩٤٣): باحث جيوبوليتيكي اميركي هولندي المولد. كان احد المؤسسين للمدرسة الواقعية الكلاسيكية الاميركية ومن ابرز المؤثرين على سياستها الخارجية. استاذ االعلاقات الدولية ومدير معهد العلاقات الدولية في جامعة ييل، وهو صاحب نظرية الاطار في الجيوبوليتيك.

** هالفورد ماكندر Halford J. Mackinder (١٨٦١-١٩٤٧): جغرافي وكاتب بريطاني يعد مؤسس نظرية البر في الجيوبوليتيك. من ابرز كتاباته "المحور الجغرافي للتاريخ" الذي على اساسه بنيت نظرية البر.

[٥٥] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٤٨

*** بول فيدال دي لا بلانش Paul Vidal De La Blanche (١٨٤٥-١٩١٨): جغرافي فرنسي كان مهتماً بشؤون الالزاس واللورين الجغرافية، واشتهر بنظرية البوسيبيلزم او الاحتمالية.

**** وليام كيرك William Kirk : باحث جغرافي، وهو تلميذ سبيكمان وعُرف بتأثره بأفكاره.

[٥٦] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٤٩

الاميركية الصينية، ومساندة النظام الايراني السابق الموالي لاميركا، ودعم القوميين المعارضين في اوكرانيا ومناطق البلطيق وما الى ذلك.[٥٧]

وفي اطار علاجه لنظريته صراع الحضارات، يشير صامويل هانتنغتون(١٩٢٧-٢٠٠٨)* الى أن انتصار الولايات المتحدة الاميركية في الحرب الباردة وانتشار الفكر الليبرالي الديمقراطي لا يعني أن العولمة قد انتصرت، ولا يعني أن "الامركة" قد دخلت حيز التنفيذ على الصعيد العالمي. فخلافاً لما اعتقده فوكوياما في نظريته نهاية التاريخ، يرى هانتنغتون أن العولمة وانتشار الثقافة الاميركية الغربية ستؤدي الى رد فعل عكسية حيث تبرز النزعات العرقية والثقافية والدينية لدى مختلف الامم مثل الكونفوشيوسية، الاسلام، السلافية الارثوذكسية واليابانية وغيرها. ويكون الخطر الجيوبوليتيكي كبيراً على الولايات المتحدة اذا ما نجحت هذه النزعات بالنهوض او التكتل بوجهها.

لذلك وجه هانتنغتون الولايات المتحدة الاميركية جيوبوليتيكياً تجاه معادلة "الغرب بمواجهة الآخرين" WEST AGAINST THE REST. وبموجبها قدم عددا من النصائح للحؤول دون تشكيل تكتل جيوبوليتيكي موزون بمواجهة الولايات المتحدة الاميركية، كان ابرزها:[٥٨]

أ- ضمان توثيق التفاعل الثقافي الغربي خاصة بين اوروبا واميركا الشمالية والسعي الى تكامل الحضارة الغربية.

ب-تأمين علاقات وثيقة مع روسيا واليابان.

ج- محاربة التطور العسكري للدول الكونفوشيوسية والاسلامية.

د- استغلال النزاعات في العلاقات بين الدول الكونفوشيوسية والاسلامية والعمل على تعميق هذه الخلافات.

هـ-ضمان التفوق العسكري الغربي في الشرق الاقصى وجنوب غرب اسيا.

من هنا نرى أن نظرية هانتنغتون تنطلق من اسس المدرسة الجيوبوليتيكية الكلاسيكية، والتي تنظر الى الدولة عبر الفلسفة العضوية التي تمتاز بخصائص النظر الى البنى الاجتماعية والدول كصيغ حياة وليس كتكوينات آلية بحتة، وذلك من التشديد الذي يفرضه هانتغنتون على الثقافة والفروق الحضارية على أنها العوامل الاهم في تحديد الاهمية الجيوبوليتيكية.[٥٩]

---

[٥٧] الكسندر دوغين، م.س، ص ١٤٨-١٥٠

* صامويل هانتنغتن Samuel Huntington (١٩٢٧-٢٠٠٨): باحث جغرافي سياسي اميركي، واكاديمي ومستشار. عمل لاكثر من نصف قرن كمدير لمركز جامعة هارفرد للعلاقات الدولية. عُرف بنظرية صراع الحضارات.

[٥٨] الكسندر دوغين، م.س.،ص ١٦١

[٥٩] م.ن.، ص ١٥٨-١٦٢

لقد كان للثورة التكنولوجية في الغرب الاثر الكبير على المدرسة الجيوبوليتيكية الغربية، حيث ظهرت افكار الجو والاثير باستخدام المجال الجوي والفضاء خدمة للاهداف الجيوبوليتيكية. فالتطور التكنولوجي للغرب سبق بأشواط التطور في الشرق وهو ما أدى بشكل مباشر الى تطوير الافكار الجيوبوليتيكية الغربية من الاعتماد على نظريات البحر بشكل اساسي، ليصبح الاعتماد الاكبر على نظريات الجو.

وقد استطاع الاتحاد السوفياتي السابق اللحاق بالسباق الجوي للولايات المتحدة الاميركية عبر استنفار كافة مقدراته الداخلية، لكن اللحاق السوفياتي بالغرب كان فقط على صعيد الطيران، ولم تتمكن الصناعة العسكرية والتكنولوجية السوفياتية من مجاراة الغرب على صعيد الفضاء. وفي هذا السياق يشير كارل شميدت الى أن الجيوبوليتيكا الجوية والفضائية هي التطور الطبيعي والامتداد التلقائي للجيوبوليتيك البحري الذي كان يتميز به الجيوبوليتيك الغربي. فمن جهة أزال جيوبوليتيك الجو الفروقات بين اليابسة والبحر، حيث اختصر المسافات وقلص حجم الاعتماد على اليابسة خاصة مع دخول حاملات الطائرات على الصعيد العملي، ومن جهة أخرى فتطور جيوبوليتيك الجو هو المسار الطبيعي لتطور جيوبوليتيك البحر كونه يعتمد على وسيط الهواء للانتقال المباشر دون حواجز، كما هو الحال بالنسبة للمياه.[٦٠]

ثالثاً: المدرسة الاوروبية

تميزت مدارس الجيوبوليتيك الانكليزية والالمانية التقليدية بأنها سعت الى ايجاد مبررات وأسس للسيطرة العالمية والهيمنة على العالم، ويبرز ذلك من خلال نظريات البر والبحر والصراع الدائم بينهما، وحتمية الجغرافيا في كتابات باحثين معروفين أمثال هاوسهوفر وماكندر وغيرهم.

حديثاً، لم يقم الفرنسيون بتفسير عدائي للجغرافيا السياسية كما حصل مع المدرسة الجيوبوليتيكية الالمانية، فتميزت المدرسة الفرنسية بالحفاظ على جوهر الجيوبوليتيك الذي تحدث عنه راتزل وكيلين من بعده. من هنا نرى كتابات في الجيوبوليتيك ذات محتوى معتدل ابرزها نظرية "البوسيبيلزم" (possibilism) للباحث الفرنسي دي لا بلانش التي تحدثت عن امتلاك الدول لـ"احتمالات" او امكانات لحيازة مقدرات القوة، وأدخل العنصر البشري الى المعادلة حيث اشار الى انه يعود للتصرفات البشرية ان تحوّل الامكانات الجغرافية الى مقومات قوة وان الاخيرة ليست حتمية لمجرد وجودها.

ويرتبط النشاط الجيوبوليتيكي المعاصر في اوروبا بأعمال الباحث ايف لاكوست(١٩٢٩-٠٠٠)* الذي اسس عام ١٩٧٦ مجلة "هيرودوت" التي اصدرت النصوص الجيوبوليتيكية لاول مرة بصورة دائمة في اوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. لم يتفق لاكوست مع النظرة العضوية للجيوبوليتيك التقليدي، فرأى أن الجيوبوليتيك

---

[٦٠] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٥٤-١٥٦

* ايف لا كوست Yves Lacoste (١٩٢٩-٠٠٠): جغرافي وجيوبوليتيكي فرنسي ومؤسس مجلة الجيوبوليتيك الفرنسية عام ١٩٧٦.

عليه ان يكون موضعياً أكثر منه عالمياً. لذلك تحول الجيوبوليتيك لدى لاكوست الى مجرد أداة لتحليل حالة محددة. وعليه أطلق تعريفا جديدا للجيوبوليتيك بأنه لا يعود بعد ذلك تفكيراً قارياً يقوم على الثنائية الحضارية الجغرافية الكونية الراسخة والمقترنة بالنظم الايديولوجية الشمولية بل يغدو استخداماً لبعض الانماط المنهجية التي كانت قائمة لدى علماء الجيوبوليتيك في سياقها العام ولكن تؤخذ في هذه الحالة كشيء مستقل ذاته.[٦١]

وانطلاقا من افكار لاكوست انتشر في اوروبا ما اصطلح على تسميته بالجيوبوليتيك التطبيقي الذي يعد منهجاً تحليلياً لمواضيع داخلية محددة بالموضوع والمكان. واعتبر لاكوست أن الجيوبوليتيك الالكتروني أهم أدوات وفروع الجيوبوليتيك التطبيقي. حيث أولى الاهتمام الاكبر لوسائل الاعلام، وبالاخص التلفاز، كأداة جيوبوليتيكية توصل المعلومات المراد ايصالها وبالطريقة التي تناسب المرسِل الى بقية السكان والمناطق. فأعطى مثل ساكن العاصمة الذي ترده تقارير عن منطقة أخرى بعيدة عنه لم يتسنَّ له أن رآها قبلاً، فكل ما يعلم هو ما يعرض عليه، وبالتالي يصبح المراسل التلفزيوني جيوبوليتيكياً بحكم وظيفته.

لكن الجيوبوليتيكي الروسي الكسندر دوغين يرى أن الجيوبوليتيك التطبيقي ليس جيوبوليتيكاً، وذلك لانه اعتبرها "مجرد منهجية تحليلية سياسية، سوسيولوجية، لا أكثر...... فالحديث يجري في حقيقة الحال حول منظومتين علميتين لا تقرب بينهما الا المصطلحات وبعض المنهجيات. وبتجاهل الثنائية الجيوبوليتيكية (البر والبحر) واعتبارها امراً تجاوزه الزمن أو غير موجود، تكف الجيوبوليتيكا التطبيقية عن أن تكون جيوبوليتيكا بالمعنى الحقيقي للكلمة وتغدو شكلاً من اشكال المنهجية الاحصائية–السوسيولوجية."[٦٢]

الا انه برزت في اوروبا مدرسة جيوبوليتيكية تتشارك مع الافكار القارية التقليدية الكثير من المبادئ الاساسية، وهي مدرسة اليمينيون الجدد. وقد ظهرت هذه المدرسة اساسا في فرنسا مع الان دو بنوا(١٩٤٣-...)*. واليمينيون الجدد يختلفون كثيرا عن اليمينيين التقليديين، مما ادى الى اتهامهم من اليساريين بأنهم مجرد مناورة تكتيكية. لكن ثباتهم على نهج تفكيري واحد للفترة الطويلة منذ منتصف السبعينات برهن أنهم فكر قائم مستقل عن اليمين واليسار.

ان اختلافهم الابرز عن اليمينيين التقليديين يكمن في نظرتهم الى الاهمية الجيوبوليتيكية. ففي حين يشدد اليمينيون التقليديون على أهمية تقوية الدولة القومية والنظر الى حاجاتها الجيوبوليتيكية، يرى اليمينيون الجدد أن "التاريخ قد تجاوز مبدأ الدولة–القومية المركزية، وان المستقبل وقف على الآماد الكبرى... ولا ينبغي أن يكون تجمع مختلف الدول في حلف سياسي نفعي، بل دخول المجموعات الاتنية ذات الابعاد المختلفة في

---

[٦١] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٧٥
[٦٢] م.ن.، ص ١٧٧
* الان دي بنوا Alain De Benoist (١٩٤٣-...): صحافي فرنسي وفيلسوف سياسي، يعد من ابرز المؤسسين لفكر اليمينيين الجدد.

"امبراطورية فيدرالية" موحدة على اسس متساوية."[٦٣] فحسب اليمينيون الجدد لا بد ان يكون التفكير الجيوبوليتيكي الاستراتيجي مركزا على دول موحدة استراتيجيا على اساس الوحدة الثقافية، مع تعددية اثنية.

أما المدى الكبير الذي أخذ اهتمام دي بنوا فقد كان أوروبا، حيث رأى أن الاصل الهندوأوروبي الواحد للشعوب الاوروبية تشكل التاريخ المشترك، وتوجهات الحاجة الى التكامل الاقتصادي والاجتماعي هو ما يحتم المستقبل المشترك المتمثل بالمصير القاري لاوروبا التي أسماها "اوروبا الموحدة ذات المئة راية." لذلك نجد اختلافه الجوهري مع الجيوبوليتيك الاطلسي، الذي ينظر اليه كمفهوم جيوبوليتيكي تاريخي يرفض التقاليد الاتنية والروحية التي تطرح المعايير المادية والكمية للوجود، وليس كمفهوم جيوبوليتيكي قاري قائم على أساس التاريخ الواحد ذو الاصول الثقافية كأوروبا. من هنا دعى بنوا الى بناء أوروبا كامبراطورية فيدرالية في مواجهة الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية. [٦٤]

من هنا تطورت المقولة الاوروبية الكلاسيكسة "لا الغرب، لا الشرق، بل أوروبا" مع بنوا لتصبح "أوروبا قبل كل شيء ومن الافضل حتى مع الشرق ولا مع الغرب".[٦٥] وقد تترجمت هذه المقولة عمليا من خلال الدعوة الى التحالف الاوروبي مع الصين في مواجهة الامبرياليتين، الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة، ومن ثم تحولت للدعوة الى الاتحاد مع روسيا في مواجهة الاطلسية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

الى جانب اليمينيون الجدد، برز البلجيكي جان تيريار(١٩٢٢-١٩٩٢)* الذي قاد فكرة "أوروبا الفتية" منذ بداية الستينات في عموم أوروبا. ان افكار تيريار مشابهة الى حد بعيد لافكار اليمينيين الجدد، حيث تكلم عن الآماد الكبرى واعتبر أن الجيوبوليتيك القاري هو ما يجب أن يوحد أوروربا ويقودها استراتيجيا، مشددا على أن اوروبا ستخسر كل قواها وأهميتها اذا لم تتوحد. لكن الخلاف الاساسي الذي ميز تيريار عن اليمينيين الجدد كان دعوته الى بناء امبراطورية أوروبية موحّدة الى أبعد حدود الاتحاد بحيث تصبح كلها دولة قومية واحدة، لا فيدرالية ذات توجه اقليمي كما دعا اليه اليمينيون الجدد.

لكن في نهاية التسعينات طرأ بعض التحول على نظريات تيريار، حيث تحليل الوضع الجيوبوليتيكي أوصله الى الاقتناع بان حجم اوروبا ليس كافيا لمواجهة الولايات المتحدة الاميركية والجيوبوليتيك الاطلسي. وعليه فان الشرط الاساسي للتحرر الاوروبي هو في الاتحاد مع روسيا. وانتقل مخططه الجيوبوليتيكي الذي

---

[٦٣] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٧٧

[٦٤] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٧٩-١٨٢

[٦٥] م.ن.، ص ١٨١

* جان تيريار Jean-Francois Thiriart (١٩٢٢-١٩٩٢): سياسي بلجيكي تبرأ في الستينات من افكاره النازية والفاشية القديمة، وأيد افكار اقامة اتحاد اوروبي.

تضمن مناطق ثلاث اساسية هي اوروبا، الغرب وروسيا، الى مخطط يتضمن اثنتين فقط هما الغرب والقارة الاوروبية.[٦٦]

رابعاً: المدرسة الروسية

يعد بيتر سافيتسكي(١٨٩٥-١٩٦٨)* اكثر الجيوبوليتيكيين الروس الذين تركوا بصمة على المدرسة الجيوبوليتيكية الروسية. وقد انبثقت افكار سافيتسكي عن اعمال مؤيدي السلافيانوفيل، وهم ممثلو احد اتجاهات الفكر الاجتماعي في روسيا القرن التاسع عشر وبدايات العشرين، حيث يضفون هالات القداسة على روسيا القديمة ومجتمع الفلاحين.

تتمثل فكرة سافيتسكي الاساسية بأن خاصية التوسط التي تتمتع بها روسيا هي اساس تفردها التاريخي، وهي ما يجعل روسيا تكوينا حضاريا مميزاً. فالموقع المركزي لروسيا لا يجعلها جزءاً من أوروبا ولا امتداداً لآسيا، بل هي واقع جيوبوليتيكي روحي تاريخي مستقل أسماه سافيتسكي روسيا–اوراسيا.[٦٧]

مفهوم روسيا–اوراسيا عند سافيتسكي لا يعني أرضا او قارة او مزيج بين قارات، بل رأى بأنها فكرة انعكست في المجال الروسي لانها تشبه الـHEARTLAND عند ماكيندر. ذلك لأنه فضلاً عن موقع روسيا الجغرافي، والذي يكسبها الاهمية الجيوبوليتيكية كدولة تمتلك الامتداد الكافي لتحمي نفسها وتتوسع، تتكون الثقافة الروسية من مجموعة مكونات آرية، سلافية، بدوية تركية، اضافة الى التقاليد الارثوذكسية. من هنا رأى أن روسيا تمثل قلب العالم الذي تتجسد فيه خلاصة التاريخ الجغرافية والثقافية، وبالتالي فهو يرى روسيا كنمط خاص من الحضارة وليس كدولة قومية.

اضاف سافيتسكي في حديثه عن مركزية روسيا–اوراسيا الجيوبوليتيكية بأن هذا اللقاء الاثني الثقافي تجلى في طوران. حيث اشار ان الظلم المغولي التتري اعطى روسيا–اوراسيا خصوصيتها، حيث تم ابعادها عن مصير اوروبا واكتسبت الفرادة الجيوبوليتيكية التي تمتاز بها، ومن هنا اشتهرت المقولة "لولا التترية لما كانت روسيا."[٦٨]

ويكمل سافيتسكي الشرح عن اهمية موقع روسيا مشيرا الى احتواءها على ثنائية الغابة الاوروبية والسهب الاسيوي، وهو الذي اعطاها عمقا برياً اكسبها مكانتها الجيوبوليتيكية. والشخصية الجغرافية للمجال الروسي، كما اسماها، اكتملت مع تعدد الاتنيات والاعراق الموجودة في المجال الروسي والواعية لوجودها

---

[٦٦] الكسندر دوغين، م.س، ص ١٨٢-١٨٤

* بيتر سافيتسكي Peter Savitsky (١٨٩٥-١٩٦٨): جيوبوليتيكي روسي كان له الاثر الكبير على التفكير الجيوبوليتيكي الروسي، ويعد من اهم الداعمين للتوجه الاوراسي لروسيا.

[٦٧] الكسندر دوغين، م.س، ص ١٢٦

[٦٨] م.ن.، ص ١٢٩

وتكاملها، مما جعل روسيا "بؤرة تطور" ساهمت بشكل كبير في تنمية الحس الوحدوي في المجال الروسي. هذا النوع من التفكير دفعه الى تحليل الاحداث بناءً على نظم آلية المظاهر الطبيعية والثقافية على حد سواء، فتقاطع بذلك مع منهج تفكير الفرنسي دي لا بلانش.[٦٩]

من بعد سافيتسكي برز ليف غوميليوف(١٩١٢-١٩٩٢)** ، وهو تلميذه. وقد قام غوميليوف بتطوير افكار استاذه وتوسع في نظرية روسيا–اوراسيا والفرادة الجيوبوليتيكية التي تتمتع بها هذه المنطقة من العالم، بما تحويه من مقومات جغرافية مميزة، اضافة الى العوامل الحضارية الثقافية التي تتفاعل فيها ضمن الاطار الوحدوي التطويري. وبناء على افكار غوميليوف انبثقت مدرسة جيوبوليتيكية سميت بـ"الاوراسيون الجدد". وقد انطلقت افكار هذه المدرسة من اسس ومنشورات غوميليوف لتؤكد على الفرادة الجيوبوليتيكية التي تتمتع بها روسيا. لكنهم ذهبوا الى توسعة البقعة الاوراسية لتمتد وتشمل روسيا وكافة اوروبا في تحقيق الوحدة الجيوبوليتيكية التي بامكانها الصمود وحيدة والتطور والتوسع، اضافة الى امكانية مجابهة الجيوبوليتيك الغربي (الاطلسي).

وقد فرضت افكار الاوراسيين الجدد مجموعة من النتائج الجيوبوليتيكية انطلاقا من نظرتهم الى اوراسيا الوحدة الجيوبوليتيكية القائمة وفق افكارهم:[٧٠]

أ- تمثل اوراسيا بؤرة تطور ذات قوام سليم، فهي تقوم على ارض شاسعة ممتدة شرقا وغربا وهي شديدة الخصوبة كما تحوي على تشكيل اثني عرقي وثقافي متنوع ومتناغم.

ب-التركيب الجيوبوليتيكي للغابة والسهب الذي يكمن في صلب تركيب الدولة الروسية تجعل منها ممثلا واقعيا للقوة القادرة على السيطرة الثقافية والاستراتيجية على اسيا واوروبا الشرقية.

ج- هذا الموقع المميز والمتناغم للجغرافيا الروسية يؤهل روسيا الى ايجاد تناغم بين الشرق والغرب، على عكس الواقع الغربي (الاطلسي) الذي وبسبب حداثة ومحدودية الثقافة الحضارية المكونة له، سيؤدي بطبيعة الحال الى عدم تناغم وصراع دائم في السعي الى السيطرة والهيمنة على الشرق، وهو الامر الذي يؤدي الى زيادة النزاعات والصراعات.

تتداخل افكار الاوراسيين الجدد مع افكار اليمينيين الجدد من حيث اعتبار التحالف بين روسيا واوروبا يخلق المدى الكبير الذي تحتاجه هذه البقعة، ويعطيها الاهمية الجيوبوليتيكية لتكون المواجه الكفوء للاطلسية. اضافة الى ذلك، ركّز الاوراسيون الجدد على اهمية الحلف الاسلامي–الروسي، مشددين على اهمية موقع ايران ومقوماتها المهمة للتكامل الذي يرونه ضروريا لقوة روسيا. لذلك دعا الاوراسيون الجدد الى الحلف الاستراتيجي مع ايران انطلاقا من التحالف التقليدي بين الحضارتين الاسلامية والروسية، وتقارب الوجهات العقائدية في

---

[٦٩] م.ن.، ص ١٢٦-١٣٤

** ليف غومليوف (١٩١٢-١٩٩٢): مؤرخ وسياسي روسي تقاربت آراؤه مع آراء استاذه سافيتسكي بالنسبة للاوراسية.

[٧٠] الكسندر دوغين، م.س، ص ١٩٦-١٩٧

التصميم على مواجهة الغرب النفعي. كما تقوم فكرة التحالف الروسي الايراني على قاعدة الاهمية الكبرى لموقع ايران في مواجهة الاستراتيجية الغربية على الساحل الجنوبي الغربي من اليابسة الاوراسية. لذلك تعد ايران الحليف الاستراتيجي لروسيا بناء على أن الاستراتيجية الغربية غالبا ما تعتمد على التطويق الذي ينطلق من السواحل لتحقيق الغايات الجيوبوليتيكية.[٧١]

خامساً: المدرسة الصينية

أخذت معضلة بحر الصين الجنوبي اكبر قدر من الاهتمام الصيني والغربي. فالموقع الجيوبوليتيكي المميز لبحر الصين الجنوبي جعل منه مسألة جيوبوليتيكية بامتياز كمجال حيوي ضروري للصين ومنافسيها على حد سواء. وذلك لان سيطرة الغرب على هذا البحر سيكون له تبعات جيوبوليتيكية خطيرة على الصين من ناحية تطويقها او التحكم باطلالتها البحرية والسيطرة على احد اهم ممرات موارد الطاقة لها ولآسيا. لذلك يأخذ الصراع على بعض الممرات المائية في هذا البحر اهمية خاصة، مثل ممر ملقا ومضيق تايوان اللذان يتمتعان بموقع جيوبوليتيكي هام، حيث يعطي المسيطر عليهما قدرة على التأثير في ممرين مائيين مؤثرين على التجارة والصناعة الاسيوية وخاصة الصينية، فيمر عبر مضيق ملقا، على سبيل المثال، اكثر من ٥٠٠٠٠ سفينة سنويا تحمل ربع السلع العالمية من البترول والبضائع الصينية.[٧٢]

بناء على ما تقدم، بدأت الصين منذ أوائل الثمانينات بتغيير العقيدة القتالية لدى جيش التحرير الصيني. فبعد أن كانت العقيدة العسكرية موجهة نحو الحرب الشاملة ضد العدو السوفياتي، والتي تعتمد على المقاومة الممتدة على آجال طويلة والترسانة النووية الموجودة لدى الصين، اصبحت تتجه نحو الحرب المحدودة التي يمكن ان تقع ضمن اطر وحدود معينة ونطاقات صغيرة مثل بحر الصين الجنوبي. لذلك "شددت الرؤية الرسمية التي وضعتها رسمياً اللجنة العسكرية المركزية عام ١٩٨٥... على الحاجة الى الاستعداد لخوض حروب محلية محدودة لا تصلح فيها العقيدة الحربية الشعبية التي تستند الى المقاومة المطولة ولا ترسانة الصين المحدودة."[٧٣]

لذلك لجأت الصين الى ما عرف بـ"الجيوب الذكية"، وهي عبارة عن قوات خاصة لها قدرة قتالية عالية لكنها مركّزة لمهام محددة. وفي منتصف التسعينات، اصبح حوالي ١٥٪ الى ٢٠٪ من الجيش الشعبي الصيني من هذه القوات الخاصة التي تقوم، اضافة الى المهام البرية، بالعمليات المحمولة جواً وبحراً.[٧٤]

---

[٧١] م.ن.، ص ١٩٩-٢٠١

[٧٢] **"مضيق ملقا"**، موقع المعرفة الاكتروني، تم الدخول الى الموقع في ٧ آب ٢٠١٨

Hhttps://m.marefa.org/مضيق ملقا

[٧٣] افيري غولدشتاين، **صعود الصين**، ط١، ترجمة مصطفى قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، ص٦٠

[٧٤] م.ن.، ص ٦١

اضافة الى تدريب القوات الخاصة، برز توجه نحو تطوير القوات الجوية والبحرية بصفتها الاكثر قدرة على تأمين المعركة للقوات الخاصة، وذلك بسبب تأثير التطور التكنولوجي الكبير. وقد استفادت الصين من انهيار الاتحاد السوفياتي لكسب الجيل الجديد من الطائرات المقاتلة، وبدأ انتاج مشترك لمجموعة كبيرة منها اضافة الى انظمة الدفاع الجوي والرادارات.

ان ازمة بحر الصين الجنوبي، والنزاعات حول مجموعات الجزر والارخبيلات، مثل النزاع حول مجموعة جزر سبارتلي مع دول جنوب شرق اسيا، اضافة الى النزاع التايواني والنزاع مع اليابان حول جزر دايو او سنكاكيو، جعل الصين تتجه نحو مواجهة منافسيها في هذا البحر، وذلك من خلال بناء قدراتها على اساس الحرب المحدودة تحت شروط التكنولوجيا المتطورة. خاصة وان التفكير الصيني ينصب في هذا المجال في مواجهة خطر احتمال اتحاد رابطة شعوب دول جنوب شرق اسيا ASEAN في وجهها.

ان الصراع الاميركي الصيني والياباني الصيني يبرز في بحر الصين الجنوبي. فالسياسة الاستراتيجية الغربية (الاطلسية)، والتي تتماشى اليابان معها، تهتم كثيرا في السيطرة على المسطحات والممرات المائية الاستراتيجية. بالمقابل يشكل بحر الصين الجنوبي الاطلالة الاهم للصين على احد اهم الممرات المائية من حيث مرور السفن التجارية وحاملات النفط الى شرق وجنوب شرق اسيا. ذلك فضلاً عن الاهمية العسكرية الكبرى الذي يحتله بحر الصين الجنوبي خاصة مع التوجهات الصينية الى الاعتماد على تطوير آلتها العسكرية البحرية.

وعلى الرغم من تحديث آلة الحرب الصينية، الا انه لا يمكن القول، حتى الآن، أن القوة العسكرية الصينية تستطيع أن تفرض سيطرتها على البحر والممرات الاستراتيجية فيه. لكنها بكل تأكيد باتت تشكل قوة مواجهة لمحاولات السيطرة الاميركية واليابانية عليها، فتضمن بذلك للصين موقعاً في المعادلة الجيوبوليتيكية الكبرى لتلك المنطقة. لذلك نجد ان الصين تقوم بشكل دائم بتطوير تواجدها وفعاليتها في بحر الصين الجنوبي. وفي هذا السياق نجد مثلاً أن انتشار مقاتلات صينية حديثة من طراز سو٢٧، والمسلحة بشكل جيد ومتطور، اضافة الى مجموعة من المدمرات البحرية، يعيد الحسابات للمصالح الصينية ويجعلها من المقررين والمؤثرين في الازمات.[٧٥]

ان الصراع القائم في بحر الصين الجنوبي بين الصين والغرب، هو صراع جيوبوليتيكي صرف. من خلاله يسعى الغرب لحرمان الصين من التمدد نحو دول جنوب شرق آسيا، ومنها الى المحيط الهندي، وبالتالي الوصول الى افريقيا ومن ثم الى المتوسط عبر البحر الاحمر. في حين تحتاجه الصين للنمو وتوسيع نفوذها

---

[٧٥] افيري غولدشتاين، م.س.، ص ٥٩-٧١

العالمي لكي تصل الى مرتبة القوة العالمية، وهو ما يبرز من خلال مبادرة الطريق والحزام التي سنتناولها باسهاب خلال البحث.

كما أدى الدور الاميركي في مواجهة الصين في بحر الصين الجنوبي ودول جنوب شرق آسيا واليابان، الى دفع الصين غرباً تجاه اعادة الحسابات الجيوبوليتيكية مع روسيا واوروبا والتفكير بسبل تحسين العلاقات. كما ان التطور الذي حصل على الآلة العسكرية الصينية، يدل على مدى جدية الصين في التوسع العالمي ولعب دور القوة العالمية ذات النفوذ العالمي. لذلك **تتميز المدرسة الجيوبوليتيكية الصينية بتوجهها نحو الاتحاد شرقاً مع دول جنوب شرق آسيا، في الوقت ذاته غرباً مع روسيا لكسب امتيازات النفوذ الروسي خاصة في الشرق الاوسط بعد الازمة السورية.**

بناء على ما سبق، يمكن الاشارة الى أن النظرة الجيوبوليتيكية التي كانت تقوم على الهيمنة العالمية كهدف أولي ونهائي، حل مكانها استغلال زيادة القوة الاقليمية التي تؤدي الى توسيع النفوذ على المستوى الدولي، في ظل نظرة جيوبوليتيكة باتت قائمة على التوازن والسعي الدائم للبحث عن سبل كسره لصالح جهة على حساب الاخرى.

لم يبق الجيوبوليتيك على حاله منذ ظهوره الى يومنا الحالي، بل تطور هذا العلم بشكل ملحوظ. فانتقل من الاهتمام بأطر العمل من اجل السيطرة الدولية كنظرة شاملة، الى الاهتمام بالميزات الجيوبوليتيكية لمناطق محددة لتحقيق الغاية ذاتها. لذلك يمكن القول أن **جوهر الجيوبوليتيك بقي واحداً، وهو استغلال كل المقومات الاقتصادية والعسكرية والثقافية والموارد الطبيعية لتحقيق مصالح الدولة القومية عبر استغلال عامل الموقع الجغرافي لمنطقة محددة. لكن التغيير الاكبر كان انتقاله من العالمية الى الاقليمية** بعد دخول العديد من الاطراف القادرة على التأثير في المجالات المختلفة، ودخول مجموعة من المدارس الجيوبوليتيكية التي تهدف الى التنظير في كيفية خدمة مدرستها الفكرية عملياً.

لذلك يمكن القول انه **لم يعد التوجه العام لباحثي الجيوبوليتيك المعاصر يقوم على تحديد مواقع محددة للسيطرة على العالم بقدر ما هو قائم على التحليل العميق للمقدرات الجغرافية والعسكرية والاقتصادية والثقافية لاستغلال هذه الكيانات في البحث عن زيادة عامل القوة على الصعيد العملي وعلى صعيد السياسات الخارجية.**

خلاصة المبحث الأول

بناء على كل ما سبق، ان الجغرافيا السياسية، وعلى الرغم من حداثتها كعلم قائم يتمتع بأسس علمية واضحة، تبلورت في القرن التاسع عشر مع راتزل، إلا أن أسس التفكير بربط الظواهر الجغرافية بالظواهر البشرية والسياسية، واضحة في كل مراحل التاريخ المعروف. فيمكن الاشارة الى شواهد هذا التفكير في كتابات وأفكار أرسطو وابن خلدون وبودان، وصولاً الى ظهور هذا العلم بشكل جلي في القرن التاسع عشر، حيث استمر بالتطور عبر مساهمات الباحثين الى حين انبثاق مجموعة من العلوم الاخرى عنه كان اهمها الجيوبوليتيك. ويستمر الاهتمام بالجغرافيا السياسية حتى يومنا هذا، حيث باتت ميادينه التي يهتم بها أكثر اتّساعاً ليضم العلاقة المباشرة بين الموقع الجغرافي والظاهرة السياسية من جهة، والصفات البشرية من جهة أخرى، إضافة الى دخوله في ميادين الانتخابات والتقسيمات الادارية واختيار العواصم وما شابه من جهة ثالثة.

ويُعدّ الجيوبوليتيك احد العلوم التي انبثقت عن الجغرافيا السياسية وغدت علماً قائماً بذاتها. وكما الحال مع الجغرافيا السياسية، فالتفكير الجيوبوليتيكي يمكن رصده عبر التاريخ مع سياسة ممالك بلاد ما بين النهرين القديمة ومصر القائمة على التوسع في الأراضي غير المأهولة من أجل حماية مراكز مدنها المأهولة وسكانها، مروراً بالإغريق ومفكّري العصر الاسلامي واهتمامهم بالشواطئ، وصولاً الى راتزل ومن بعده الباحثين الحديثين والمعاصرين.

ومع ظهور علمي الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، برزت مجموعة من التعريفات التي تناولتهما. ولم يجمع الباحثون على تعريف واضح وموحّد لكل من العلمين، لكن من مجمل هذه التعريفات يمكن الإضاءة على الأسس التي يقوم عليها كل منهما. **فالجغرافيا السياسية تقوم على الربط بين جغرافيا الدولة، وتأثيرها من موقع جغرافي وموارد طبيعية، على قوة الدولة من جهة، وسكان الدولة من جهة ثانية، وعلى السياسات الداخلية والخارجية من جهة ثالثة. أما الجيوبوليتيك فيمكن القول بأنه العلم الذي يبحث عن زيادة قوّة وقدرة الدولة من خلال الاستفادة من كل المقومات الاقتصادية والعسكرية والثقافية وتكريس المقومات الجغرافية لأي منطقة، حتى خارج حدود الدولة، في خدمة الاهداف القومية للدولة.**

وعلى الرغم من كون كل من الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك يشكل علماً بذاته، إلّا أنه لا يزال الخلط بينهما قائماً لا سيما من خلال استخدام احدهما كمرادف للآخر. ولعل السبب الأبرز في هذا الخلط يكمن في أخطاء الترجمة وضياع المفاهيم أثناء ترجمتها، خاصة وأن أغلب الاسهامات في هذين المجالين هي اسهامات أجنبية. لكن بالمقابل يمكن الاشارة الى **عدد من الفروقات التي تتيح التمييز بينهما، ابرزها هي استاتيكية الجغرافيا السياسية وحصر مجال دراستها ضمن الحدود السياسية للدول، وديناميكية الجيوبوليتيك وعدم تقيّده بحدود الدول، بل تخطّيه للحدود في عملية البحث عن زيادة قوّة الدولة وتحقيقها لأهدافها القومية عبر سياسات خارجية تتسم بالتطلّعات خارج الحدود.**

لقد تم ايلاء الجيوبوليتيك اهتماماً كبيراً في أوائل القرن العشرين، ليُهمّش بعد الحرب العالمية الثانية إثر الاعتقاد بأنه اساس الأفكار النازية. فتم ابعاده عن جميع المناهج والمقررات العلمية والمواد التعليمية في الجامعات والمعاهد، وعملياً أُبعد عن أسس صياغة سياسات الدول الخارجية. لكن مع انهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة عاد الاهتمام بالجيوبوليتيك على الصعيدين العلمي والعملي، فعاد كمادة أساسية في المناهج التي تُعنى بالسياسة والعلاقات الدولية اضافة الى انطلاق أغلب السياسات الخارجية للدول من أسس جيوبوليتيكية. لذلك برزت مجموعة من المدارس الجيوبوليتيكية التي يمكن رصدها في السياسات الخارجية للدول كان أبرزها المدرسة الغربية الأميركية (الأطلسية)، المدرسة الأوروبية، المدرسة الروسية والمدرسة الصينية.

وعلى الرغم من التباينات والاختلافات أو التقارب بين مختلف هذه المدارس، إلا أنه من الملاحظ أن توجّهاتها أتت دعماً للأهداف القومية لكل من دولها. ففي حين نرى أن المدرسة الأميركية الغربية قامت على أساس السيطرة على الممرات المائية والمناطق الجيوبوليتيكية التي تتيح لها التحكم بمفاصل التجارة العالمية واحتواء خصومها كدول الاتحاد السوفياتي السابق، وذلك في خدمة تطلّعاتها للهيمنة العالمية والحفاظ على السيطرة أحادية القطب للعالم. نرى التركيز على أهمية المجال الروسي في المدرسة الروسية والدعوة الى توسيع هذا المجال عبر التحالف مع أوروبا واقامة الحلف الروسي الايراني الاستراتيجي. وقد انضمت المدرسة الأوروبية الى نظرة المدرسة الروسية في الدعوة الى الاتحاد في أوروبا، بل تعدّتها الى الدعوة الى الاتحاد مع روسيا لمواجهة التطلعات الغربية. وفي سياق متصل، تقوم المدرسة الصينية على الاهتمام بالتوسع شرقاً وغرباً، وذلك أيضاً في مواجهة السياسات الغربية.

بعد عرض تطور الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك عبر التاريخ وصولاً الى يومنا الحالي، والاضاءة على تعريفيهما. وبعد التطرق الى أبرز المدارس الجيوبوليتيكية التي تنطلق منها أهم وأكبر السياسات الخارجية وأكثرها تأثيراً في العلاقات الدولية، لا بد لنا من الانتقال الى شرح مختلف نظريات الجيوبوليتيك. فما هي أبرز الاسس التي قامت عليها كل نظرية من نظريات الجيوبوليتيك في سبيل تحقيق الأهداف القومية للدول؟ وعلامَ ركّزت كل نظرية في سبيل تحقيق هذه الأهداف؟

المبحث الثاني: نظريات الجيوبوليتيك

تهدف السياسات الخارجية للدول بشكل أساسي الى تحقيق مصالحها القومية، لذلك تكون غايتها الأساسية زيادة قوة الدولة على كافة الصعد الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها، من أجل استخدامها كوسائل لتحقيق الأهداف الوطنية. وتُبنى السياسات الخارجية للدول لا سيما الكبرى منها على مجموعة من الاعتبارات تكون على رأسها الاعتبارات الجيوبوليتيكية، التي تهدف الى توسيع نفوذ الدولة وزيادة قدرتها.

الا ان الجيوبوليتيك ليس علماً جامداً يحتوي على عمليات حسابية تضمن للدولة الوصول الى اهدافها. بل ينضوي هذا العلم على مجموعة من النظريات تلتقي جميعها في ضرورة زيادة نفوذ الدولة، لكن تختلف في وسائل تحقيق هذا الهدف وفي تحديد المناطق التي من شأنها تعزيز قوة الدولة وبالتالي تعزيز قدرتها على فرض نفوذها.

من هنا، فإن تمكن الامبراطورية البريطانية من بسط نفوذها على أجزاء كبيرة من العالم عبر قوة اسطولها البحري، دفع ببعض الباحثين الجيوبوليتيكيين لإعطاء البحر الأهمية الكبرى في السيطرة العالمية. كما ان الرحلات الاسكشافية والاستعمارية التي استخدمت البحر لاكتشاف العالم، والتطور التقاني الذي ادى الى ظهور الغواصات والمدمرات وحاملات الطائرات، والذي زاد من أهمية القوة البحرية العسكرية، كانت من ابرز العوامل التي أدت الى نشأة نظريات البحر في الجيوبوليتيك والتي كان من أبرز روادها الاميركي الفرد ماهان(١٨٤٠-١٩١٤)*.

هذا وأدى اختراع الطائرة ودخولها في كافة المجالات المدنية والعسكرية الى ظهور نظريات الجو في الجيوبوليتيك. فقدرة الطيران على اختصار المسافات وتخطي العوائق الطبيعية، وضع وسيلة جديدة تزيد من قدرة الدول على زيادة نفوذها. كما ان التطور الذي لحق بالصواريخ البالستية والعابرة للقارات اضافة الى الاستغناء عن القواعد الجوية بوجود حاملات الطائرات، والتطور الذي لحق بمجال استكشاف الفضاء ودخول استعمالاته الميادين المدنية والعسكرية، ساهم في دعم ظهور نظريات الجو في الجيوبوليتيك.

ولم يغفل الباحثون والمفكرون الجيوبوليتيكيون اهمية المجال والبعد القاري في زيادة قوة الدول، وتأثيره المباشر على قدرتها لبسط نفوذها. وهو ما ادى الى ظهور نظريات البر في الجيوبوليتيك، والتي تقوم على اعطاء الاولوية للتوسع البري وفرض النفوذ في مناطق محددة لضمان زيادة قوة الدول.

ومن أبرز هذه النظريات نظرية المجال الحيوي التي نادى بها راتزل وكرّسها هاوسهوفر، ونظرية قلب العالم التي تعد أشهر نظريات الجيوبوليتيك والتي وضعها ماكيندر على مراحل، اضافة الى نظرية الاطار

* الفرد ماهان Alfred Thayer Mahan (١٨٤٠-١٩١٤): اميرال بحري ومؤرخ واستراتيجي اميركي، يعد ابرز منظري البحر في الجيوبوليتيك، وهو من اهم الاستراتيجيين الاميركيين في القرن التاسع عشر.

لسبيكمان التي أتت استكمالاً لنظرية قلب العالم. وينطلق اصحاب هذه النظريات من أن قوى البر هي من تحسم مصير الحرب، خاصة بعد التطور الذي لحق في مجال المواصلات البرية لا سيما سكك الحديد والقطار.

اذاً، لم يتفق الباحثون في الجيوبوليتيك على نظريات موحّدة تحدد وسائل القوة وأدواتها، والمناطق التي تُعطي المسيطر عليها مقدرات النفوذ. بل اختلفت النظريات وفق رؤية الباحثين الذين وضعوا افكارهم انطلاقاً من كيفية تأمين زيادة قوة دولهم. الا انه بالامكان الاشارة الى أطر توزعت بينها النظريات في الجيوبوليتيك وهي: نظريات البر، البحر والجو.

بناء على ما تقدم، سوف نعرض في هذا المبحث أبرز الأفكار والنظريات التي خلص اليها بعض الباحثين الجيوبوليتيكين. بداية سنبدأ بشرح النظريات التي أولت الأهمية الجيوبوليتيكية القصوى للبحر والجو، ثم ننتقل لتسليط الضوء على تلك التي قامت بشكل أساسي على أهمية المجال البري. كما سنقوم بتفنيد أبرز الأفكار التي تضمنتها هذه النظريات، وأبرز الانتقادات التي وجهت لها. ومن أجل ذلك، سوف نتناول في الفقرة الأولى أسس نظريتي البحر والجو في الجيوبوليتيك، وأبرز الأفكار التي وردت فيها. أما في الفقرة الثانية فسوف نقوم بتسليط الضوء على ركائز نظرية البر في الجيوبوليتيك.

الفقرة الأولى: أسس نظريتي البحر والجو

تاريخياً اقتصرت أهمية الممرات المائية بما تتيحه هذه المسطحات من زيادة امكانيات الدول على صعيد صيد الاسماك واستثمار الثروة المائية، وتأمين الملاحة التجارية والعسكرية التقليدية، واختصار المسافات. لكن مع تطور أدوات استكشاف البحار والتنقيب عن المعادن واكتشاف النفط والغاز في البحر، اضافة الى ظهور الغواصات وخاصة النووية منها، زادت أهمية المسطحات المائية على الصعيدين الاقتصادي والعسكري.

وقد أدى اختراع الطائرات الى ادخال المجال الجوي الى حسابات السيطرة والقوة. فالتطور الكبير الذي لحق بمجال الطيران ومن بعده استكشاف الفضاء واستخدامهما في خدمة الاهداف الوطنية والقومية للدول، دفع باتجاه ترسيخ اهمية المجال الجوي في صياغة الاستراتيجيات وتحديد الاهمية الجيوبوليتيكية للمناطق، خاصة مع ظهور الاسلحة الذكية والمقاتلات والقاذفات الاستراتيجية. بناء على ما تقدم، لا بد لنا من استعراض ابرز الاسس الفكرية لنظريات البحر والجو في الجيوبوليتيك.

أولاً: أهمية البحر في أفكار الجيوبوليتيكيين

إن التطور الكبير الذي لحق بمجال القطع البحرية وخاصة الغواصات وحاملات الطائرات أدى الى زيادة أهمية القوة البحرية وازدياد الاهتمام بالمناطق التي تتيح الملاحة لهذه القطع. فعلى الرغم من أن دخول الغواصات الى الميدان البحري يعود الى القرن التاسع عشر، إلا أن ظهور النووية منها وتلك القادرة على الابحار لفترة زمنية كبيرة، أعطت هذا السلاح أهمية استراتيجية. ان التطور التقاني، وتفعيل منظومات الكشف البحري والأقمار الصناعية لرصد الغواصات وحاملات الطائرات، لم ينقص من أهميتها. فسرعان ما أدى تطويرها الى تمكينها من التخفي عن رصد الأقمار الصناعية والرادارات البحرية من خلال منظومات الحرب الاكترونية.

وقد أدى التطور الكبير في مجال الطيران، وخاصة ظهور الطوافات وتطوير بعض من أنواعها لمهمات البحث عن الغواصات وتدميرها، الى تراجع أهمية الاخيرة لفترة قصيرة. لكن سرعان ما تم استحداث منظومات دفاع صاروخية مضادة للطائرات والطوافات وقذائفها. مما يدفعنا للقول ان دخول الغواصات وحاملات الطائرات الى المجال العسكري البحري، قد أدى الى اضفاء القدرة للدول على استعمال الطائرات والصواريخ من أحواض البحار وبطريقة متنقلة سريعة ومن أي مكان، عوضاً عن حصر انطلاقها من قواعد أرضية ثابتة ومعروفة.[٧٦]

ولم يغفل الباحثون في الجيوبوليتيك عن أهمية البحر والممرات المائية في صنع السياسات الخارجية للدول، وفي زيادة قوة الدول على الصعيد العالمي. لذلك نرى ان معظم كتابات الباحثين الجيوبوليتيكيين، حتى

[76] Saul Bernard Cohen, opcit, P 23

اصحاب ومناصري نظريات البر في الجيوبوليتيك، تشير الى اهمية المسطحات المائية في سعي الدول لزيادة نفوذها.

في هذا السياق، رأى راتزل أن القوة البحرية ضرورية لأي قوة عالمية تسعى الى النفوذ العالمي. وأشار الى أن بعض الدول الأوروبية مثل بريطانيا حققت قوتها البحرية بحكم موقعها وتطورها الطبيعي، لكن على القوة العظمى الساعية الى النفوذ العالمي أن تقوم بتطوير اسطولها البحري. "فقد أشار راتزل إلى ضرورة أن تقوم كل دولة بتطوير قواتها البحرية، فللبحر أهمية كبيرة في نظره وهذا بالذات ما عبر عنه عنوان كتابه "**البحر، مصدر قوة الشعوب**"، الذي صاغه سنة ١٩٠٠، حيث يرى أن تطوير الأسطول هو الشرط اللازم للاقتراب من وضع "**الدولة العظمى العالمية (Weltmacht).**"[٧٧] ومن خلال افكار وكتب راتزل يتبين اعتقاده أن البحر والقوة العظمى العالمية متلازمان، وهو ما يعد المنطلق الذي بنى عليه العديد من الجيوبوليتيكيين اللاحقين أمثال ماهان مرتكزاتهم النظرية التي تعتبر ان المجال البحري هو العنصر الحاسم في تحديد القدرة على السيطرة.

أما الفرنسي دي لابلانش، فقال أن ألمانيا هي المؤثر الأكبر الذي يمكن أن يؤدي الى الحرب في أوروبا، لكونها القوة العالمية الوحيدة المحاصرة طبيعياً. فقد كان لفرنسا وبريطانيا مستعمراتها في افريقيا وحول العالم، و تستطيع الولايات المتحدة التحرك بحرّية شمالاً وجنوباً نسبة لموقعها وقوتها البحرية، أما روسيا فقد كانت لها غالبية آسيا، في حين ان المانيا دولة قارية بامتياز لا مجال لها للتمدد الّا على حساب القوى العالمية الأخرى. وبالتالي فإن التطوّر الجيوبوليتيكي لها سوف يقود للحرب. من أجل ذلك اعتبر دي لا بلانش أن على فرنسا أن تنضم الى القوى البحرية أي الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا في وجه المانيا عبر الدخول في "**الجبهة المشتركة للقوة البحرية الموجهة ضد الدول القارية.**"[٧٨]

أما هاوسهوفر فرأى أنه لكي تتمكن المانيا من التوسع شرقاً وغرباً وتحقيق السيطرة العالمية في نهاية المطاف، عليها السيطرة على الاتحاد السوفياتي والقضاء على القوة البحرية البريطانية.[٧٩] كما أشار هاوسهوفر الى أن المشاة أو قوى البر هم من يقررون مصير القتال لكنه دعا الى الاهتمام بالقوة البحرية، انطلاقاً من موقع المانيا التي لا تملك منفذاً بحرياً الا عبر بحر الشمال مما يفقده أهميته نظراً لبعده عن الممرا الاستراتيجية، وبالتالي فان ذلك يشكل نقطة ضعف في مجال الدفاع عنها. وأضاف هاوسهوفر أن نهاية الصراع تكون عندما تصل قوى البر الى الشواطئ نظراً الى فقدان القواعد المحدودة لأهميتها تدريجياً.[٨٠]

---

[٧٧] محمد الصياحي، **"فريدريك راتزل"**، منتديات الحوار الجامعية السياسية، ٢٦ أيار ٢٠١٢، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٦ آب ٢٠١٨
http://ahmedwahban.com/aforum/viewtopic.php?f=3&t=26704

[٧٨] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٠٢-١٠٤

[79] Saul Bernard Cohen، Geopolitics of the world system، opcit،P21

[٨٠] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٦٩

وفي عام ١٩٤٢ اصدر كارل شميدت عمله الاهم "الارض والبحر"، وفيه أشار الى أن الفكرين البحري والبرّي ليسا وجهان لحضارة واحدة، بل ان الاختلاف بينهما تاريخي جغرافي وثقافي. فدول البحر انتظرت لتتبلور لديها فكرة مصيرها البحري، وقد استفادت كثيراً من التقدم التقاني لكي تكمل وعيها لمصيرها عند توافر القدرة والامكانات لاستعمال البحار. لذلك دعى شميدت المجتمعات البحرية الى تطوير قدراتها البحرية في مواجهة القوى البرية.[٨١]

وعندما طرح ماكيندر نظرية قلب العالم أمام الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية عام ١٩٠٤، أشار الى أهمية منطقة جنوب الصحراء الكبرى في افريقيا وأسماها "**القلب الجنوبي**"، وأن المنطقة التي تربط القلب الجنوبي بقلب العالم هي الشرق الأوسط. من هنا يظهر الاهتمام بالبحر عند ماكيندر، حيث أشار الى أن **البحر الأبيض المتوسط هو ضمن المنطقة المحورية للجزيرة العالمية أو "نقطة الارتكاز"**، وأن الظروف الدولية جعلت من البحر المتوسط محوراً تجارياً وعسكرياً.

لكن ما يجدر ذكره هو أن اعتقاد ماكيندر كان عكس ماهان، ففي حين رأى ماهان أن الدولة البحرية هي القوة المؤثرة بشكل أساسي، أشار ماكيندر الى أن البحر (في حديثه عن أهمية البحر المتوسط) لا يمكن السيطرة عليه إلا من خلال قوة برية مشرفة عليه تسمح بذلك وتقوم بهذه المهمة.[٨٢] وفي مقال ماكيندر عام ١٩٤٣ "العالم الدائري وانتصار السلام"، ركز ماكندر على الأهمية البحرية التي تشكلها بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية باعتبار أن دولتي جانبي الأطلسي مرتبطتبن من خلال الأساطيل البحرية والاتصالات الجوية وبالتالي لا يمكن اغفالها واصفاً اياها **بحوض الأرض واعتبرها ارض التوازن المضاد للقوة السياسية لقلب العالم.**[٨٣]

كما جاء في نظرية الاطار التي وضعها سبيكمان، أن **الأراضي الساحلية لأوراسيا هي مفتاح السيطرة على العالم.** ضمت هذه الأراضي أوروبا الغربية أي البحرية، الشرق الأوسط، الهند، جنوب آسيا والصين. وتأتي أهمية هذا الاطار في احتوائه على العدد الكبير من السكان ومصادر الثروة اضافة الى استخدام البحر كخطوط حركة أساسية للتجارة والحرب. وقد رأى سبيكمان أن بامكان قوة واحدة، المانيا على سبيل المثال، اذا احتلت أراضي الاطار أن تكمل سيطرتها على العالم، لكنه اشترط لذلك أن تمتلك القدرة البحرية والجوية من خلال القواعد البحرية والجوية في أوراسيا.[٨٤]

---

[٨١] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٢١-١٢٢

[٨٢] سماح مهدي صالح، **"مستقبل الشرق الأوسط وملامح نظام عالمي جديد"**، اشراف الدكتور أمين حطيط، الجامعة الاسلامية في لبنان، اطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠١٨، ص ٣١-٣٢

[٨٣] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٢٨٢

[84] Saul Bernard Cohen, opcit, P 22-23

كما أشار سبيكمان في نظرية الاطار أن على الولايات المتحدة الأميركية أن تقيم قواعد عسكرية في الجزر والبحار المحيطة بكتلة أوراسيا، وأن تمنع أي تعاون أو تحالف أوروبي آسيوي يؤدي الى ظهور اتحاد آسيوي، **خوفاً من وصول الاتحاد السوفياتي أو أي قوة أوراسية الى المياه الدافئة ذات الأهمية الاستراتيجية.**[٨٥]

أما البريطاني جوليان كوربت(١٨٥٤-١٩٢٢)* فقد أعطى الأهمية الكبرى في السيطرة البحرية لفعالية القوة البحرية للدولة وليس حجمها. فعلى عكس ماهان الذي دعا الى توسيع القوة البحرية عبر زيادة أعداد وأنواع القطع البحرية لدى أية دولة بحرية تتطلع الى النفوذ العالمي، فقد رأى كوربت أنه ليس من الضروري في حال تراجع قدرة قوة بحرية معينة أن تحل مكانها دولة أخرى. لذلك دعا الى استخدام قطعٍ بحرية فعّالة ومحدودةٍ عددياً، حيث تكون أفضل وأكثر فعالية وقدرة من توسيع حجم الاساطيل البحرية عددياً. وفي هذا السياق دعا كوربت الى بناء ما أسماه "الأسطول المتواجد" الذي حدده بأنه مجموعة متفرقة من القطع البحرية التي بإمكانها أن تجتمع في أسطول موحّد اذا دعت الحاجة. وتكون وظيفة هذا "الاسطول المتواجد" الإستيلاء على قواعد محددة ومراقبة وحماية المناطق البحرية الحساسة، لا السيطرة وتدمير الأساطيل والقطع البحرية الأخرى، هكذا يكون هذا الاسطول متواجداً وفعّالاً في أي وقت وتحت أي ظرف.[٨٦]

لقد برزت أهمية البحر والقوة البحرية في معظم أفكار الجيوبوليتيكيين، وكانت أساساً لأهم السياسات الخارجية للدول الكبرى. لكن يبقى الأميرال البحري ألفرد ماهان أبرز من سلط الضوء، من خلال أفكاره الجيوبوليتيكية، على أهمية البحر والمسطحات المائية في السعي للسيادة العالمية، حيث ارتبط اسمه بنظريات البحر في الجيوبوليتيك.

ثانياً: نظرية ماهان البحرية

اشتهر الفرد ماهان بأنه الجيوبوليتيكي الأكثر تركيزاً على القوة البحرية في مؤلفاته، فبدأً من كتابه الأول "القوة البحرية في التاريخ ١٦٦٠–١٧٨٣"، مروراً بكتبه "تأثير القوة البحرية على الثورة الفرنسية والامبراطورية ١٧٩٣–١٨١٢"، و "اهتمام اميركا بالقوة البحرية في الحاضر والمستقبل" وصولاً الى "القوة البحرية وعلاقتها بالحرب". يظهر جلياً اهتمام ماهان بالقوة البحرية وتسليطه الضوء عليها كعامل حاسم في العلاقات الدولية من جهة، والنظرة الجيوبوليتيكية من جهة ثانية.

ان اهتمام ماهان بالقوة البحرية بهذا القدر جعل اسمه يرتبط بشكل مباشر بالنظرية الجيوبوليتيكية البحرية. فقد أكد على أهمية التطور البحري في تاريخ الدول، حيث أشار بشكل واضح الى أن **الأهمية الجغرافية**

---

[٨٥] سماح مهدي صالح، م.س.، ص ٣٢

* جوليان كوربت Julian Corbett (١٨٥٤-١٩٢٢): مؤرخ بحري وجيواستراتيجي بريطاني، كان له دور بارز في اعادة هيكلة القوة البحرية البريطانية، لازالت اعماله تدرّس في دراسات الحروب البحرية.

[86] Robert D. Kaplan, **the revenge of geography**, random house, New York, 2012, p 111

الكبرى للدولة لا تكمن في عدد الكيلومترات التي تشكل مساحتها، بل في طبيعة السواحل والموانئ التي تخضع لها.[٨٧]

أشار ماهان الى أن السياسة البحرية لها شقّان: تجاري وعسكري. وتكمن الأهمية الكبرى للسيطرة التجارية، فقد حثّ الدول على الاهتمام ببناء اساطيلها التجارية أولاً، ومن ثم تأتي القوة البحرية الحربية لضمان تنفيذ السياسات التجارية. فيقتصر دور القوة البحرية في حماية التجارة الخارجية للدولة، اضافة الى منع الدول العدوة من امتلاك القوة البحرية التي بامكانها التّأثير على التجارة. كما أن السيطرة البحرية، حسب ماهان، تعطي المتمكن منها القدرة على التحكم بالمساحات الارضية ذات الموقع الاستراتيجي المتحكمة بطرق الملاحة البحرية التجارية والعسكرية. في هذا السياق يرى ماهان أن التحكم بالبحار يتيح السيطرة على القواعد البرية والبحرية الاستراتيجية المحمية بأشكال سواحلها وعمقها الأرضي مثل رودوس وقبرص والسويس وبنما.[٨٨] يتبين مما سبق أن **نظرية ماهان الجيوبوليتيكية تأسست إنطلاقا من القوة البحرية ومصالحها، وأن مفهوم "القدرة البحرية" يعتمد في نظره على حرية "التجارة البحرية" بشكل أساسي، أما الأسطول البحري-الحربي فدوره ضمان تحقيق هذه التجارة.**

وفي معرض تحليله للقوى البحرية، رأى ماهان أن الدول الجزرية التي تتمتع بقوة بحرية كبيرة لها القدرة على التحكم بالعالم. وذلك لأن موقعها البحري يتيح لها تقليص الاهتمام بالوسائل الدفاعية بسبب الموقع الجزري الذي يشكل عامل حماية جغرافي لصعوبة الهجوم عليه إلا من خلال قوة بحرية أخرى، وبالتالي يتحول تركيز الاستثمار في القوة الى الوسائل الهجومية البحرية. واعتبر أنه **من الضروري على الدولة البحرية أن تهتم بالقواعد البرية المنتشرة في الجزر على الصعيد العالمي،** وذلك من أجل التمكن من التحرك السريع في مواجهة الأخطار، اضافة الى السعي لعدم السماح للقوى المعادية بالتواجد في أعماق المحيطات.[٨٩]

واعتقد ماهان بأن **المحيطين الهادئ والهندي هما مفصلين في الحتمية الجغرافية، وذلك بسبب قدرة القوة البحرية التي تستطيع السيطرة عليهما أن تسيطر على الأراضي الأوراسية، والتي سوف تتمكن، بسبب التطور السريع في النقل البري وسكك الحديد، من الانتقال بسرعة وفعالية عبر أراضي أوراسيا.**[٩٠] وأضاف أن القوة البحرية في المحيطات هي الحاسمة في أي مشكلة عالمية، فالموقع البحري المناسب يعطي ميزة سياسية اقتصادية بعيدة المدى، بينما الموقع الحبيس يشكل عيباً نسبياً في الدولة. من هنا **اشترط ماهان للقوة العالمية أن يكون لها التحكم بالبحر.**[٩١]

---

[٨٧] فاطمة موسى، **"التنافس الروسي-الأميركي بعد الحرب الباردة القوقاز/جورجيا (نموذجاً)"**، اشراف الدكتور علي محمود شكر، الجامعة الاسلامية في لبنان، رسالة لنيل دبلوم في العلاقات الدولية والدبلوماسية، خلدة، ٢٠١٨، ص١٩

[88] Saul Bernard Cohen, opcit, P 19

[٨٩] حسام الدين جاد الرب، **الجغرافيا السياسية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢١٥

[90] Robert D. Kaplan, **the revenge of geography**, opcit, p 103

[٩١]فايز محمد العيسوي، **الجغرافيا السياسية المعاصرة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٣، ص ٣٠١

ويرى ماهان أن موقف الدولة ووضعها الجيوبوليتيكي يتحدد من خلال ستة بنود ، تساهم في بناء وتكوين القوة البحرية للدولة التي يجب عليها أن تعمل على تطويرها. ويمكن تلخيص هذه البنود بالتالي:[٩٢]

أ- **الموقع الجغرافي للدولة:** إن عدد المنافذ البحرية للدولة يدخل ضمن الحسابات الجيوبوليتيكية والسياسية التي تلعب دوراً كبيراً في تحديد قوتها وقدرتها. كما أن مدى امكانية وصل هذه المنافذ البحرية ببعضها البعض وقدرتها على التأثير والتحكم بطرق التجارة الرئيسية، اضافة الى امكانية تهديد أراضي العدو عبر الاسطول البحري تشكل نقطة استراتيجية في الموقع الجغرافي.

ب- **التكوين الطبيعي الفيزيائي لشواطئ الدولة:** إن التكوين الجغرافي للشواطئ وطبيعتها تلعب دوراً هاماً في امكانية بناء اسطول تجاري وعسكري مناسب. حيث أن الدول المشاطئة التي لا تسمح طبيعة شواطئها الجغرافية بالاستفادة منها من اجل بناء الموانئ والمرافئ لن تستحوذ على مقدرات القوة والتفوق البحري.

ج-**خصائص الامتداد القاري:** ويتمثل في أرض الدولة التي تقع خلف خط الساحل، فإذا كان الامتداد يتميز بافتقاره إلى الموارد، وأرضه غير صالحة للنشاط الزراعي، كان ذلك عاملا مساعدا على تركيز اهتمامات السكان نحو البحر، والعكس صحيح.

د- **عدد السكان:** تشكل القوة البشرية عامل استثمار في بناء القوة البحرية وتشغيلها وصيانتها.

هـ-**الصفات والخصائص القومية للشعب:** تعتمد القوة البحرية بشكل واسع على التجارة. وبالتالي يشكّل توجه شعب الدولة تاريخياً وقومياً للعمل التجاري، قوة كبيرة على الصعيد البحري.

و- **طبيعة النظام السياسي وتوجهات السلطة الحاكمة:** إن التوجه البحري للدولة من أجل بناء قوة بحرية يعتمد على طبيعة النظام السياسي والادارة، اضافة الى الرغبة الساسية في الاستفادة من الموقع البحري. فالنظام السياسي هو الذي يخلق الثقافة السياسية الإستراتيجية للتعامل مع المعطى أو المكون الجيوبوليتيكي، في أن تكون الدولة البحرية قوية تجاريا وعسكريا أولا تكون.

ولاعتبار ماهان القوة البحرية الاهم في السيطرة العالمية، حث على ضرورة منع العدو من امتلاك القوة البحرية التي يمكن لها منافسة القوة البحرية الاميركية، وذلك من خلال العمل على اضعاف البنود الستة المذكورة سابقاً عند القوى الاخرى،[٩٣] **معتبراً أن القوة البحرية الكبرى لا يمكن منافستها على الصعيد العالمي الا من "الأوراسيا القارية" وقد عنى بذلك روسيا، الصين والمانيا.** ومن أجل مواجهة هذه القوة القارية المنافسة، نقل ماهان مبدأ "الأناكوندا" الذي استعمل خلال الحرب الأهلية الاميركية الى العالمية. ويتجسد هذا المبدأ

---

[٩٢] **"النظرية الجيوبوليتيكية"**، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١١ حزيران ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع تاريخ ٢٣ ايلول ٢٠١٩

https://www.politics-dz.com/community/threads/alnzri-algiubulitiki.187/

[٩٣] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٩٨-١٠١

بحصار الاراضي المعادية من البحر وعبر الخطوط الساحلية، الامر الذي يؤدي الى اضعاف العدو استراتيجياً من خلال استنزافه.

وقد وجهت العديد من الانتقادات الى نظرية ماهان البحرية حيث تم التشكيك بمدى الأهمية البحرية على الصعيد الاستراتيجي كعامل وحيد. فتم تسليط الضوء على مبالغة ماهان في اعطاء القدرة للقوة البحرية بشكل مستقل بذاتها، في معزل عن حاجتها للدعم والمساندة من القوى الأخرى كقوى البر. فقد أثبتت العديد من الحروب أن الاعتماد على البحر وحده ليس كافياً لكسب المعارك والحروب، بل الانتصار فيها يحتاج الى ترابط وتكامل مختلف القوات البحرية والبرية والجوية.[٩٤]

وقد حاول والتر ملز(١٨٩٩-١٩٦٨)* أن يعيد النظر في مصطلح القوة البحرية، وأهم الانتقادات التي وجهها الى افكار ماهان كانت أن استعمال مصطلح القوة البحرية يعد أمرا مبالغاً فيه، لأن المحيطات لا تكتسب أهميتها إلا بعلاقتها بالقوة الأرضية. كما رأى ملز أنه من الصعوبة السيطرة على البحر بصورة كاملة، بعكس ما جاء في مفهوم ماهان، لصعوبة خوض الحروب البحرية وحسمها.[٩٥] كما ان ماهان قلل من شأن قدرة قوةٍ قاريةٍ أوراسيةٍ قوية، على فرض حصار فعّال على أوراسيا بقدر الفعالية البحرية من جبل طارق الى الأورال.[٩٦]

إلا أنه وبالرغم من الانتقادات الموجهة لنظرية ماهان، تبقى فكرة القوة البحرية مسألة مهمة في التفكير الجيوبوليتيكي والاستراتيجي للدول. وتعود المكاسب الكبرى التي جنتها الولايات المتحدة الاميركية (القوة البحرية في عرف ماهان) ونجاحها في الوصول الى الأحادية القطبية للعالم، الى تجسيدها لأفكار ماهان عن القوة البحرية والسيطرة على العالم.[٩٧]

ثالثاً: أهمية البحر في السياسات الخارجية الكبرى

تظهر أهمية البحر والمنافذ البحرية في افكار واضعي السياسات الدولية بشكل واضح، فتقوم معظم السياسات الخارجية للدول وبالأخص الكبرى منها، على استراتيجيات تسمح بالاستفادة القصوى من المنافذ البحرية التي تملكها إن وجدت، أو تسمح لها الوصول الى المنافذ البحرية الاساسية إن كانت دولة قارية حبيسة. في هذا السياق، يمكن الاضاءة على سعي القوتين الكبرتين في العالم بعد الحرب العالمية الثانية، للوصول الى البلدان التي تتمتع بمواقع بحرية استراتيجية تؤثر على حركة الملاحة البحرية العالمية.

---

[٩٤] صبري فارس الهيتي، **الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبوليتيكية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠، ص ١٨٦

* والتر ميلز Walter Millis (١٨٩٩-١٩٦٨): صحافي ومؤرخ اميركي، له كتابات عديدة حول علاقات الولايات المتحدة الدولية.

[٩٥] **"النظرية الجيوبوليتيكية"**، موقع الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، م.س.

[96] Robert D. Kaplan, **the revenge of geography**, opcit, p 105

[٩٧] **"النظرية الجيوبوليتيكية"**، موقع الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، م.س.

ففي حين تشكل الأراضي الواسعة للدول القارية أو الحبيسة عامل قوة لها، لما تحمله هذه الاراضي من موارد طبيعية ومجال دفاعي امام الغزوات الخارجية، تشكل المستعمرات (كحالة المستعمرات البريطانية قديماً) أو الاراضي البعيدة التي تسيطر عليها أو تتحكم بها الدول البحرية الأهمية ذاتها وتقوم بالدور ذاته لهذه الدول[٩٨] (كحالة الولايات المتحدة الأميركية التي ليست لها مستعمرات بالمعنى التقليدي إلا أن نفوذها وتحكمها في موارد الكثير من الدول تجعلها المتحكم بكيفية استخدام مواقعها الحيوية).

لذلك فالدول التي تنطلق سياساتها الخارجية من افكار جيوبوليتيكية بحرية، تعتمد على المستعمرات أو ما يوازيها. وبالتالي فإن التقطع يميز أراضيها، لكن الليونة التي تمنحها القوة البحرية للدولة تجعل الصلة بين هذه الاراضي ممكناً. كما أن بعض الدول مرتبطة تاريخياً وبحكم الموقع الى المدرسة الجيوبوليتيكية البحرية بسبب طبيعتها الجزرية او كثرة شواطئها واعتماد مجتمعاتها على التجارة البحرية. فنرى أن الغرب (أو الأطلسية) ارتبط بشكل مباشر بالجيوبوليتيك البحري، لذلك فعلى الرغم من الأراضي الواسعة في أميركا الشمالية التي تقوم عليها الولايات المتحدة الأميركية، فإن استراتيجياتها تقوم على السيطرة البحرية للمسطحات والممرات المائية الاستراتيجية حول العالم. من هنا، **فالدول البحرية غالباً ما تعتمد على "الأرض البحرية"، أي الجزر، التي تشكل قلب الدولة البحرية وأساسها.**[٩٩]

وقد اعتبر ماهان ان الشرط الاساسي للقوة العالمية هو التحكم بالبحر. حيث ركز في كتاباته على مجموعة من المفاهيم أبرزها أن **البحار والمحيطات تشكل نظام الربط العالمي الاساسي**، وأن روسيا (المثال الافضل للدول الحبيسة حسب رأيه) يحيطها مجموعة من الدول البحرية الآسيوية والأوروبية، وأنه هناك ثلاثة دول جزرية قوية خارج نطاق الكتلة الأوروآسيوية هي بريطانيا واليابان والولايات المتحدة الاميركية.[١٠٠]

استطاع ماهان أن يتوقع مستقبل الولايات المتحدة الاميركية كقوة عالمية من خلال توصيفه "المصير المعلن" MANIFEST DESTINY. فرأى ماهان أن للولايات المتحدة الأميركية مصيراً بحرياً "يتجسّد في مرحلته الأولى في التكامل الاستراتيجي لمجموع القارة الاميركية ثم في تحقيق السيطرة العالمية."[١٠١] ولعل هذا ما يفسر انكفاء الولايات المتحدة الاميركية وقرارها في فصل مصيرها عن أوروبا من خلال قرار عدم التدخل بشؤون القارة الأوروبية وفق مبدأ منرو، والاهتمام في سبل زيادة النفوذ في القارة الأميركية أولاً، ومن بعدها انطلاقها نحو السيطرة العالمية منذ الحرب العالمية الثانية. من هنا يمكن تسليط الضوء على احدى الافكار التي تبناها ماهان وأسماها "استراتيجية المياه الزرقاء". فقد دفعته هذه الاستراتيجية الى دعوة الولايات المتحدة

---

[٩٨] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.،ص ٢٧٢
[٩٩] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٥٢٤
[١٠٠] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٢٧٠-٢٧١
[١٠١] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٩٨

الأميركية الى أن تُلحق بها الفيليبين، هاواي، غوام، وبورتوريكو، اضافة الى السيطرة على منطقة قناة بنما وعلى كامل كوبا، وهو ما تُرجم في السياسات الخارجية الأميركية المتعاقبة.[١٠٢]

بعد ذلك انطلق ماهان الى اعتبار الولايات المتحدة الأميركية القوة التي ستسيطر على العالم في المستقبل. ولذلك دعاها الى بناء السفن الحربية الكبيرة والمدمرات البحرية، سعياً لتحقيق التفوق البحري التام حول العالم وبالأخص في الكاريبي والهادئ.[١٠٣] ورأى ماهان أن **منطقة الصراع الاساسية تقع في مناطق آسيا الواقعة بين خطوط الطول الثلاثين والأربعين، حيث تتلاقى القوة القارية الروسية مع القوة البحرية البريطانية.** وعليه، أشار الى أنه **بإمكان تحالف بريطاني أميركي فرض النفوذ على العالم** من خلال السيطرة على المنافذ البحرية المحيطة بأوراسيا، لأنه اعتقد بأن امتلاك التفوق البحري المؤثر على المناطق الاستراتيجية لا يمكن تحقيقها الا من خلال التحالف مع قواً بحرية أخرى،[١٠٤] خاصة وأن منطقة الشرق الأوسط هي منطقة غنية بالموارد الطبيعية لكن طبيعتها بمعظمها صحراوية خاوية ولها اطلالات بحرية كبيرة وسكانها يعانون من اختلافات كبيرة، مما يجعلها هدفاً للتوسع من القوى البحرية. وايماناً من ماهان بأهمية موقع البحر الأبيض المتوسط، قال "لو كان البحر المتوسط صحراء، والاراضي المحيطة به تلال، لكانت القوة البحرية العظمى هي تلك التي بامكانها التنقل عند ارادتها من تلة الى أخرى".[١٠٥]

كما يمكن الاستدلال على مؤشرات أفكار ماهان في السياسات الخارجية الأميركية من خلال شبكة القواعد التي أقامتها بعد الحرب العالمية الثانية، والتي لا تزال تهتم بتفعيلها وزيادتها الى اليوم. مثل اهتمامها بايران في عهد الشاه، وجزر الأزور في البرتغال، مروراً باسبانيا، ايطاليا، قبرص، اليونان، تركيا، "اسرائيل"، تايوان، سيريلانكا، الفيليبين، العراق والخليج، وانتهاءً بكوريا الجنوبية واليابان.

اما خلال الحرب الباردة في مواجهة الاتحاد السوفياتي، فتأثير أفكار ماهان على استراتيجيات الولايات المتحدة الاميركية واضح. فالأحلاف التي أقامتها الولايات المتحدة الاميركية وأهمها الناتو، اضافة الى سياسة الاحتواء، تتشابه الى حد كبير مع مبدأ "الاناكوندا" الذي تحدث عنه ماهان وأشرنا اليه في الفقرة السابقة، من حيث السعي الى حصار الاتحاد السوفياتي وتطويقه.

في المقلب الآخر، يظهر إدراك السياسة الخارجية الروسية لأهمية المنافذ البحرية وخاصة على المياه الدافئة، على الرغم من كونها دولة قارية حبيسة بالمعنى الجيوبوليتيكي. فعمدت روسيا الى التعويض عن عدم التمكن من السيطرة الكاملة على المنافذ التركية من البحر الأسود الى تأمين بدائل تسمح لها الوصول الى المياه الدافئة من خلال نفوذها في المحيط الهندي، وموانئ عصب ومصوع ومطار اسمرة في اريتريا، وجزيرة

---

[102] Saul Bernard Cohen, opcit, P19

[١٠٣] فاطمة موسى، م.س.، ص ٢٠

[104] Saul Bernard Cohen, opcit, P19

[105] Robert D. Kaplan, **the revenge of geography**, opcit, p 66 - 107

"ميون" في اليمن، وميناء عدن في جزيرة سقطرى، وموانئ طرطوس واللاذقية، ومطار عتيقة وموانئ طبرق وبنغازي وطرابلس في ليبيا، وميناء المرسى الكبير في الجزائر، والتسهيلات التي استحصلت عليها في جزيرة مالطا.[١٠٦] كما سعى الاتحاد السوفياتي الى توطيد علاقاته بكثير من الدول ذات المواقع البحرية الاستراتيجية، مثل كوبا لتأثيرها في البحر الكاريبي، مصر لأهمية قناة السويس، واليمن لموقعه المتحكم بمدخل البحر الاحمر.[١٠٧]

لقد آمن ماهان **بالإمبراطورية الاقتصادية والتغلغل الاقتصادي في دول العالم من دون تكوين مستعمرات تقليدية**. واعتبر أن ما من دولة تستطيع أن تكون قوة برية وقوة عظمى في آن واحد. كما أشار الى أن التحكم في البحر ضرورة دولية للسيادة العالمية، وأن تحالف القوى البحرية (خاصة بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية) سوف يمكنها من السيطرة على العالم والتحكم في القواعد الإستراتيجية التي تتحكم بطرق الملاحة الدولية. وبما أن السياسة الخارجية الأميركية منذ الحرب العالمية الثانية تأثرت بماهان، نرى التركيز الدائم على التواجد البحري للأساطيل الأميركية في الممرات الاستراتيجية والتي تشكل أهمية جيوبوليتيكية لها أو لخصومها على المستوى الدولي.

رابعاً: نظرية الجو في الجيوبوليتيك

ظهرت القوة الجوية بداية مع استعمال المناطيد لمهمات الرصد والمراقبة من الجو، وتبلورت مع اختراع الطائرات في بدايات القرن العشرين، حيث دخلت الطائرات في بادئ الأمر كجزء من القوى المساندة للقوى الأرضية، لتتطور فيما بعد وتصبح سلاحاً مستقلاً الى جانب سلاحي البر والبحر، ولا يقل أهمية عنهما. واقتصرت أعمال الطائرات في البداية على مهمات الاستطلاع والمراقبة. فكانت تستعمل لاستطلاع مراكز العدو قبل الهجومات بغية جمع المعلومات العسكرية والاستخباراتية، أو مراقبة مسارات القوى الصديقة أثناء تحركها وكشف الأخطار عليها مسبقاً.

وخلال الحرب العالمية الأولى تطور استعمال الطائرات ليشمل مهمات القصف الجوي اضافة الى مهماتها السابقة الذكر، لكنها بقيت تابعة لقوى البر. أما خلال الحرب العالمية الثانية، فقد كان لسلاح الجو أهمية كبيرة في مسار الحرب، حيث لعب دوراً حاسماً في حسابات موازين القوى خاصة مع حاملات الطائرات الأميركية المنتشرة في الأطلسي. خلال هذه الفترات ظهرت الأفكار الجيوبوليتيكية التي أدركت أهمية هذا الحقل العسكري الجديد نسبياً، فبدأ التنظير في أهميتها وكيفية الاستفادة منها على صعيد السياسات الخارجية للدول، ومدى امكانية التعويل عليها.

---

[١٠٦] سماح مهدي صالح، م.س.، ص ٣٣

[١٠٧] فايز محمد العيسوي، م.س.، ص ٢٠٢-٢٠٥

وقد ظهرت أهمية القوة الجوية في أفكار ماكندر، أبرز منظري الفكر القاري في الجيوبوليتيك، حين أشار عام ١٩٤٣ "أن البعض يحلم بوجود قوة جوية عالمية تقوم بتصفية الجيوش والأساطيل."[١٠٨] وفي نفس العام، قال ادوارد ب. وارنر(١٨٩٤-١٩٥٨)* أن الطائرات لها القدرة على التواجد في كل مكان، كما تمتلك السرعة والارتفاع الكفيلين باعطائها القدرة على تدمير كل المنشآت البرية والبحرية في حين تكون في مأمن من ردود الفعل الأرضية. وبالتالي تكون القوة الجوية هي المرجح للانتصار العسكري.[١٠٩] في المقابل رأى هاوسهوفر أن دور القوة الجوية هو دور مكمل في الاستراتيجيات العسكرية، لكنه غير أساسي.[١١٠]

لكن مع دخول العنصر الجوي ميادين القتال، ظهرت مجموعة من المشاكل التي عنت بشكل مباشر الجيوبوليتيكيين قبل سواهم، وعلى رأسها كانت مشكلة المدى. فعلى الرغم من تمكن الطائرات من اختصار المسافات وازالة العوائق الطبيعية بحكم استخدام البعد الثالث اي المجال الجوي، احتاجت هذه الطائرات أن تبقى ضمن مدى مطاراتها وقواعدها الجوية نظراً لحاجتها الى مدارج ومعدات خاصة لعمليات الاقلاع والهبوط والتزود بالأسلحة والوقود. إلا أن دخول حاملات الطائرات وامكانات التزود بالوقود جواً الى إطار الاستخدام العملي أعطى سلاح الجو المدى الأكبر الذي مكّنه من الوصول الى مسافات أكبر، والتمتع بامكانيات حركية قوى البحر ومناورة قوى البر.

لم تعد الحرب قائمة على تدمير الجيوش لبعضها، بل أن "الهدف الأول والأساس هو تدمير المراكز والمرافق الحيوية للعدو من أجل تدمير قدرته على صنع الحرب وخوضها".[١١١] من هنا وضع ميتشل أهمية كبيرة لسلاح الجو الذي اعتبره يضفي شكلاً جديداً على الحرب وصناعتها بفعل السرعة وسهولة الوصول الى العمق وضرب المراكز والمرافق الحيوية.

وفي سياق متصل، أشار جورج رينر(١٩٠٠-١٩٥٥)* في كتابه "السلم بالخارطة" عام ١٩٤٤، الى أن التطور الذي لحق بعالم **الطيران قد وسّع منطقة قلب العالم لتصبح أوراسيا وأميركا الشمالية**. واعتبر أن هاتين المنطقتين أصبحتا قريبتين بفعل تطور الطيران وموقع المنطقة القطبية الشمالية. فإضافة الى امكانية الوصول الى أي منهما من الأخرى عبر الممرات البحرية والبرية، أتاح الطيران الوسيلة الجديدة والأسهل لوصل بقعتي قلب العالم. وانطلاقاً مما تقدم، اعتبر رينر أن المنطقة القطبية الشمالية هي منطقة الحركة الجديدة التي تمكن أي من قلبي العالم (اوراسيا وأميركا الشمالية) من الوصول الى الأخرى، وذلك لتسهيلها الحركة عبر الجو مما

---

[١٠٨] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.،ص ٢٩١

* ادوارد ب. وارنر Edward Pearson Warner (١٨٩٤-١٩٥٨): طيار وكاتب أميركي يعتبر من الرواد في عالم الطيران. وكان له أثر كبير في تطوير عالم الطيران المدني.

[١٠٩] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.،ص ٢٩١

[١١٠] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٦٩

[١١١] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٧٦١

* جورج رينر George Thomas Renner (١٩٠٠-١٩٥٥): دكتور علم اجتماع وجغرافي أميركي، استاذ جامعي وعُرف بمساهمته الكبيرة في مجال الجغرافيا السياسية.

يجعلها الأهم جيوبوليتيكياً. وبالتالي يصبح **القطب الشمالي المفتاح الأساسي للسيطرة العالمية**، حيث تصل هذه المنطقة بين منطقتي قلب العالم وفق نموذجه.[١١٢]

أما الكسندر سيفيرسكي(١٨٩٤-١٩٧٤)**، وفي بحثه المنشور عام ١٩٥٠ تحت عنوان "القوة الجوية مفتاح البقاء"، نشر خريطة للعالم وضع فيها المنطقة القطبية الشمالية مركز الاسقاط. وبالتالي أصبحت الأميركيتين جنوب القطب، وأوراسيا وافريقيا شماله، معتبراً أن السيادة الجوية للولايات المتحدة على الأميركيتين، والسيادة في جنوب شرق آسيا وافريقيا والصحراء الكبرى للاتحاد السوفياتي. كما اعتبر أن **مناطق تداخل السيادة الجوية الأميركية والسوفياتية تكون في أوروبا الغربية والشرق الاوسط وشمال افريقيا، ما يجعل الصراع بينهما على هذه المناطق حاسماً، وخاصة على البحر الأبيض المتوسط**، حيث الدور الأكبر يكون لسلاح الجو في الحسم وبالتالي تصبح القوة الجوية تمتلك الدور الحاسم في كسب السيطرة على العالم.[١١٣]

كما يتضح من خلال خريطة سيفيرسكي أن السيطرة الجوية لأوراسيا تشمل أميركا الشمالية، والعكس صحيح حيث تغطي السيطرة الجوية الأميركية أوراسيا.[١١٤] وعبر تقسيم العالم بهذا الشكل، أصبح الطيران الوسيلة الأنجح للوصول عبر المركز الجديد للانطلاق وهو القطب الشمالي. ويظهر ان روسيا قد ادركت اهمية القطب الشمالي الجيوبوليتيكية، مما دفعها الى اجراء مناورات ضخمة في القطب الشمالي في ايار ٢٠١٩، والتي "ضمت ٣٠٠٠٠٠ عسكري في الخدمة الفعلية."[١١٥] ويتضح تأثير رينر على أفكار سيفرسكي، إلا أن الأخير وسّع أفكار سلفه وأشار الى الأهمية الحيوية الواسعة النطاق للطيران، وأوضح أهمية عدم ربط القوة الجوية بالقواعد الأرضية، والجزر المتحكمة بطرق الملاحة البحرية، على خلاف ميتشل الذي أعطاها أهمية كبرى الى جانب القوة الجوية.[١١٦]

تم توجيه العديد من الانتقادات لأفكار سيفيرسكي وطريقة معالجته للخارطة العالمية ذات الاسقاط القطبي، وأهم هذه الانتقادات يمكن جمعها في نقطتين. النقطة الأولى التي أظهرتها خارطة سيفيرسكي ذات الاسقاط القطبي كانت ابعاد أفريقيا عن أميركا، وبالتالي تصبح في مجال السيطرة الأوراسية فقط، في حين أن أفريقيا تبعد عن أميركا الشمالية بنفس القدر الذي تبعد فيه أميركا الجنوبية عنها.

---

[١١٢] محمد رياض، م.س.، ص ٨٠

** الكسندر سفيرسكي Alexander P.De Seversky (١٨٩٤-١٩٧٤): احد رواد عالم الطيران، اميركي روسي. وهو من ابرز المؤثرين والداعمين للاستراتيجيات القائمة على القوة الجوية.

[١١٣] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٧٣

[١١٤] محمد رياض، م.س.، ص ٨١

[115] Elizabeth Buchanan Mathieu Boulegue, “**russia’s military exercises in the arctic have more bark than bite**”, 20 5 2019, site visited on 25 6 2019
https://foreignpolicy.com/2019/05/20/russias-miltary-excercises-in-the-arctic-have-more-bark-than-bite/

[١١٦] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٢٩٢-٢٩٣

أما النقطة الثانية فهي أن الملامح الأساسية التي ظهرت في أفكار سيفرسكي لم تلحظ الا القوة الجوية التابعة للولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، مع الاشارة من بعيد الى قوة بريطانيا الجوية. وبالتالي، وانطلاقاً من مبدأ نظرية سيفيرسكي، فانه بإمكان أي دولة صغيرة كانت أو كبيرة، في القسم الشمالي من الكرة الأرضية أو الجنوبي منها، أن تحقق السيطرة العالمية بمجرد حصولها على السيطرة الجوية والارادة السياسية التي تدفعها الى السعي للسيادة الدولية.

كما أهمل سيفيرسكي امكانية تدمير كل من القوتين لقدرات الأخرى الجوية، وأن غياب واحدة عن السيطرة الجوية لا يعني حكماً سيطرة الأخرى.[١١٧] اضافة الى تجاهل أفكار ومبادئ سيفرسكي للتطور التكنولوجي الكبير الذي لحق بمجال الصواريخ العابرة للقارات والأقمار الصناعية والغواصات النووية، وذلك لعدم وضوح معالم هذه المجالات في وقت صياغته بطبيعة الحال، مما دفع به الى اختصار مجال الجو في الجيوبوليتيك بالطيران دون سواه. إلا أن موازين القوى الحالي والذي يحافظ على الابتعاد عن الحرب الشاملة قائمة على توازن القوى على الصعيد الجوي والبري والبحري اضافة الى التكنولوجي على حد سواء.

خامساً: جيوبوليتيك الجو المعاصر

من جملة ما أوصل اليه التطور التقاني هو استكشاف الفضاء واستخداماته التي تتراوح بين مدنية وعسكرية. فمع الوصول الى الفضاء ونجاح الأقمار الاصطناعية تم استغلاله في ميزان قوى الجو حيث دخلت المنافسة في هذا المجال لتكون الفارق بين القوى الجوية المختلفة. وقد أعطى هذا المجال الجديد اطاراً بعيداً غير مرئي باستطاعته المراقبة وتقديم المعلومات اللازمة مع بقائه بعيداً عن الاستهداف. إلا الأسلحة المضادة للأقمار الاصطناعية دخلت بالفعل حيز العمل ما دفع الى سباق في المجال الفضائي لا يزال يتطور بشكل سريع.

كما أن دخول الطائرات دون طيار الى مجال الطيران زاد من امكانيات القوى الجوية. فقد أزيلت "محدودية القدرة البشرية" على صعيد عدد ساعات الطيران والمناورة، وأصبح بامكان شخص واحد مثلاً، التحكم بأربع طائرات دون طيار في أفغانستان عبر الأقمار الاصطناعية وهو موجود في لوس انجلوس. ولا يزال التطور يحكم هذا المجال أيضاً حيث يدور الحديث عن ادخال مقاتلات دون طيار، مع امكانية القيام بمناورات لا يستطيع الجسد البشري تحملها ما يجعلها قادرة على تفادي أنظمة الدفاع الجوي وتنفيذ مهامها بصورة أسهل.[١١٨]

---

[١١٧] محمد رياض، م.س.، ص ٨٠-٨١

[١١٨] ايوجين جاريكي، **الطريقة الأمريكية في الحرب قذائف موجهة ورجال مضللون وجمهورية في خطر**، ترجمة عبد المنعم عبيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٤-٢٥

وقد أدى ظهور حاملات الطائرات الى الربط بين الاهمية البحرية والجوية، خاصة مع زيادة قدرة اعتمادها على أطقمها والمواد المتواجدة على متنها والتي تمكنها من الابحار لفترات زمنية تتخطى الأشهر دون الحاجة لأن ترسو من أجل اعادة التموين. هذا اضافة الى الحماية الذاتية التي أمنتها التصاميم "المخفية" (stealth) والتي تجعل هذه السفن غير قابلة للكشف، ومنظومات الدفاع الصاروخية للسفن الحربية المضادة للصواريخ الموجهة الى القطع البحرية، وأنظمة الحرب الاكترونية لتضليل الرادارات وصواريخ الدفاع البحري.

وفي هذا السياق، اهتمت الدول الطامحة للنفوذ العالمي بتطوير قوتها الجوية، ان كان سلاح الطيران، الفضاء أو الصواريخ البالستية. فتعمل الصين على تطوير أنظمتها الصاروخية عبر تطوير تكنولوجيا الصواريخ لديها بناء على صواريخ الأس–أى ١٠ التي حصلت عليها من روسيا، وتكنولوجيا أنظمة الباتريوت التي اشترتها من "اسرائيل"، وربطها بالأقمار الاصطناعية لتوجيهها.[١١٩] فلم يقتصر البُعد الجوّي على الطائرات، وبغية زيادة قدرة الدول على تغطية الأهداف وتنويع وسائل الاستهداف من جهة، وزيادة فعالية قدرتها الدفاعية في مواجهة هجمات مشابهة من جهة أخرى، عملت الدول لاسيما الكبرى منها، على تطوير برامجها الصاروخية.

لذلك دخلت برامج تطوير الصواريخ صلب الاستراتيجيات الدولية،[١٢٠] وبرامج الانتقال من الصواريخ ذات الرؤوس التقليدية القصيرة والمتوسطة المدى الى الصواريخ البالستية والعابرة للقارات والكروز. فالتفكير الجيوبوليتيكي الجوي ينطلق من استخدام الجو والفضاء في سبيل زيادة القدرة الهجومية والدفاعية للدول. وبعد دخول هذه الصواريخ الاستراتيجية الاطار العملي، تم تطويرها لربطها بأنظمة الأقمار الاصطناعية التي تزوّدها بأهدافها وتقوم بتوجيهها لتصبح في مصاف الاسلحة الدقيقة أو الذكية. في المقابل، ظهرت منظومات الدروع الصاروخية لمواجهة هذه الأخطار مثل منظومات الباتريوت الأميركية الأطلسية، والتي تستخدمها الولايات المتحدة الأميركية على أراضيها وحول العالم، وتقابلها منظومات الـ أس ٣٠٠ وأس ٤٠٠ الروسية، وهو ما يعد الاسقاط الأكثر وضوحاً للأفكار الجيوبوليتيكية في الجو.

لا يمكن انكار أهمية سلاح الجو في الاستراتيجيات الحديثة، فهي ركن أساسي من القوة العسكرية لأي دولة مهما كانت استراتيجيتها. وتعتمد الدول الكبرى الساعية الى الهيمنة العالمية على القوة الجوية بشكل كبير. يظهرهذا الاهتمام في الاستراتيجيات الأميركية المتعاقبة بتطوير القوة الجوية الأميركية وزيادة عدد القواعد الجوية المنتشرة حول العالم، اضافة الى اهتمام الادارة الأميركية الذي يمكن استنتاجه من خلال تخصيص وزارة للقوات الجوية في الحكومة. كما عملت الصين، خلال توجهاتها التي تركز استراتيجياً على الحروب المحدودة خاصة في بحر الصين الجنوبي، على تطوير سلاحها الجوي، مستفيدة من التطور السوفياتي في المجال

---

[١١٩] افيري غولدشتاين، م.س.، ص٦٥-٦٦

[١٢٠] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٧٦

الجوي بعد نهاية الحرب الباردة.[121] من هنا نرى أن الاهتمام الجيوبوليتيكي بالجو لا ينحصر في السياسات والاستراتيجيات العالمية الساعية الى التوسع العالمي، بل تدخل في جميع الحسابات الجيوبوليتيكية لتحقيق الأهداف القومية للدول.

تحمل المسطحات والممرات المائية أهمية جيوبوليتيكية كبيرة للدول التي تسعى الى توسيع نطاق تأثيرها أو بسط نفوذها على الصعيد العالمي. وقد اهتم معظم الجيوبوليتيكيين بالمناطق البحرية أو الساحلية التي تمتلك موقعاً استراتيجياً يتحكم بطرق الملاحة البحرية الدولية أو الاقليمية. وانطلاقاً من أهمية السيطرة على هذه المناطق، برزت أهمية القوة البحرية في أفكار الجيوبوليتيكيين وفي سياسات واستراتيجيات الدول على اختلاف أهدافها. فبعض الجيوبوليتيكيين ركن الى إيلاء الأهمية الكبرى للقوى البحرية، وربط السيادة العالمية بالسيطرة البحرية، وهو ما أدى الى ظهور نظريات البحر في الجيوبوليتيك، في المقابل يظهر جلياً أهمية البحر في أفكار واضعي السياسات الخارجية للدول بمختلف انتمائاتهم الفكرية في الجيوبوليتيك، على الرغم من عدم ايلائهم الأهمية المطلقة للقوة البحرية.

إن التطور التقاني الكبير الذي شهده العالم خلال القرن العشرين أدخل عالم الطيران بشكل سريع وفعّال في شتى ميادين الحياة. فقد قرّب دخول الطائرات المسافات على الصعيدين العسكري والمدني، وأزال الحواجز الطبيعية واختصر الأوقات والآماد. لم يختلف الأمر على صعيد الجيوبوليتيك، فسهّل التطور الكبير الذي شهده عالم الطيران خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، دخول هذا المجال الى نظريات الجيوبوليتيك، وأدى الى ظهور نظريات الجو.

فبغية تحديد مدى ثبات اسس نظريات البر، كان من الضروري تسليط الضوء على ابرز افكار نظريات البحر والجو، من اجل قراءة اهداف السياسات الخارجية للدول الساعية للنفوذ العالمي من منطلقات النظريات كافة وتحديد فعالية نظرية البر تحديداً. فما هي أسس نظريات البر في الجيوبوليتيك؟ وما هي المناطق الأكثر أهمية في السعي الى السيادة العالمية وفقها؟

---

[121] افيري غولدشتاين، م.س.، ص ١٨٠-١٨٧

الفقرة الثانية: ركائز نظرية البر في الجيوبوليتيك

بعد أن اطلعنا على أبرز أفكار نظريتي البحر والجو في الجيوبوليتيك، نرى أن بعض الباحثين قد أعطى الأهمية القصوى للبحر والمناطق الشاطئية أو الجو، في صراع السيطرة على العالم. كما اتضح أن أهمية المسطحات المائية والمناطق الشاطئية لم يغفلها أي من الباحثين، ولو اختلفت درجة الاهتمام فيما بينهم. الأمر ذاته يسري على أهمية البر والمناطق القارية، حيث نجد أهمية المناطق الجيوبوليتيكية في معظم أفكار الباحثين الجيوبوليتيكيين. ومنذ بداية القرن العشرين، ومع التطور التقاني الكبير الذي شهدته قطاعات المواصلات، والذي سهّل عملية ربط الأراضي البعيدة للدول القارية الحبيسة فيما بينها ومع الخارج، برزت مجموعة من النظريات الجيوبوليتيكية التي سلطت الضوء على الأهمية الجيوبوليتيكية لبعض المناطق القارية في الصراع على السيادة العالمية. بناء عليه، لا بد لنا من الاشارة الى أبرز أفكار نظرية البر في الجيوبوليتيك.

أولاً: القوى القارية في أفكار الجيوبوليتيكيين

على الرغم من كون ماكيندر أبرز الجيوبوليتيكيين الذين تكلموا عن أهمية البر والبعد القاري للقوة التي تسعى الى السيطرة العالمية، والتي بنى عليها نظرية قلب العالم. إلا أنه بالامكان الاشارة الى العديد من الافكار التي تناولها مختلف الجيوبوليتيكيين في أهمية السيطرة على المناطق القارية. فبالعودة الى راتزل الذي يعد مؤسس علم الجيوبوليتيك، نرى أن مفهومه للجيوبوليتيك ينطلق من أن حركة التاريخ محددة مسبقاً بالأرض، وفكرة أن الدولة كائن حي تنطلق من أنها متجذرة بالتربة. فهي تتكون من السطح الأرضي والبعد المساحي ومن وعي الشعوب لها.[١٢٢]

وفي كتابه "حول قوانين تطور الدولة في المجال" عام ١٩٠١، أشار راتزل الى سبعة قوانين للتوسع. ضمن هذه القوانين رأى أن الدول تُثار للتوسع على حساب أراضي الدول ذات الحضارات الأدنى، وأن الدول القوية تقوم بصهر الأمم الأضعف فيها لزيادة مساحتها."[١٢٣] كما أكد على وجود روابط بين القوى القارية والقوة السياسية، حيث تنعكس المساحات البرية بما فيها من موارد طبيعية ومجال حيوي بشكل كبير على "نشأة وتدعيم القوى السياسية، ومثل هذه المساحات لا توجد الا في الدول القارية ذات الامتدادات الضخمة."[١٢٤] من هنا يظهر اهتمام راتزل بالأرض والمساحة الأرضية التي تمتلكها الدول. وما فكرة المجال الحيوي التي بدأت معه إلا تأكيد على أهمية البر والمساحات البرية في حياة الدول. لذلك يمكن القول أن أهمية البر في الجيوبوليتيك بدأت مع بدايات الجيوبوليتيك.

[١٢٢] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٧٦

[١٢٣] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٧١٧

[١٢٤] محمد رياض، م.س.، ص ٦١

أما كيلين، فرسّخ مبدأ "الدولة القارية"، وربطها بألمانيا التي عدّها قلب أوروبا وأساسها. ورأى أن الحرب العالمية الأولى ليست سوى مواجهة بين التطور والتوسع الطبيعي لألمانيا ذات النمو التصاعدي في أوروبا، مع دول الأطراف الأوروبية وغير الأوروبية ذات النمو التنازلي، كفرنسا وبريطانيا، والتي تحالفت مع روسيا ضمن الوفاق الثلاثي* triple entante، الذي ضم اليه خلال الحرب العالمية الأولى أكثر من عشرين دولة ضمنها الولايات المتحدة الأميركية واليابان.

كما دعا كيلين الشعب الألماني "الفتي"** للتحرك انطلاقاً من المجال الأوروبي الأوسط لبناء الدولة القارية ذات البعد الكوني على حساب أراضي "الشعبان الهرمان" في فرنسا وبريطانيا. وأشار الى أن المانيا التي وُجدت وسط أوروبا، مقدر لها السيطرة عليها وقيادة هذه المنطقة.[١٢٥] وإنطلاقاً من أفكاره، يمكن رؤية أهمية التوسع البري لألمانيا داخل أوروبا لبناء الدولة القارية التي استطاع أن يوليها الأهمية القصوى لكي يتمكن الشعب الألماني من بناء دولته القادرة على السيطرة العالمية في مراحل أخرى بعد التحكم بالأراضي الأوروبية. لذلك يمكن القول أن كيلين قد أولى أهمية كبيرة للبر في أفكاره ونظرته الجيوبوليتيكية.

وكان هاوسهوفر من أنصار الفكرة القومية الذين يتطلعون الى "تعزيز القوة السياسة للدولة الألمانية وهو ما كان يعني التطور الصناعي والنهوض الثقافي والتوسع الجوبوليتيكي."[١٢٦] من هنا أتت أفكاره من منطلق البحث عن كيفية زيادة القوة الجيوبوليتيكية الالمانية ضمن مقدراتها وموقعها الحيوبوليتيكي. وقد تأثر هاوسهوفر بأفكار راتزل خاصة في فكرة المجال الذي اعتبره قوة سياسية للدولة. ويظهر اهتمامه بالمجال في اعتباره أن الدولة التي لا تنمو وتتوسع معرضة للاندثار، **فالمجال الجغرافي بالنسبة له "يتحكم بتاريخ البشر."**[١٢٧] وألمانيا بسبب موقعها المكاني والثقافي وسط أوروبا، جعل صراعها التاريخي مع الدول الغربية بحكم الواقع، وصعّب من امكانية تحالفها مع الغرب ذي التوجه الجيوبوليتيكي البحري ودفعها الى المنطلق الجيوبوليتيكي البري.

على هذا التحليل تكونت عقيدة هاوسهوفر الجيوبوليتيكية القائمة على ضرورة اقامة حلف قاري، كونه الرد الأكثر منطقية على النظرة الجيوبوليتيكية البحرية، التي كانت ترى أن أقصى ما يمكن أن يهددها هو تحالف قاري كبير. وهذا ما دعا له هاوسهوفر في مقاله "الحلف القاري"، وأطلق عليه اسم محور"برلين–موسكو–طوكيو". وقد ردد هاوسهوفر أفكاره بخصوص هذا الحلف بصور مختلفة في مقالاته وكتبه، وأعطى هذا التوجه اسم "التوجه نحو الشرق".

---

* الوفاق الثلاثي: اتحاد عسكري بين بريطانيا، فرنسا وروسيا تأسس عام ١٩٠٧ اثر معاهدة سان بطرسبرغ.

** فكرة الشعبين الفتيين، وهما الألماني والروسي، هي فكرة أطلقها دستويفسكي وتبناها تشيلين. وتشير بالأساس الى أن شعبي روسيا وألمانيا هما شعبين نشيطين وفتيين يتمتعون بما تستلزمه للقيادة في أورويا، مقابل شعبين هرمين هما الفرنسي والبريطاني تتجه قيادتهما نحو الأفول.

[١٢٥] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٨١–٨٤

[١٢٦] م.ن.، ص ١١٤

[١٢٧] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٦٨–٦٩

ورأى هاوسهوفر أن الحضارة الألمانية هي الامتداد الغربي للحضارة الأوراسية، فانطلق بفكرة الانفتاح على الشرق ليس من مبدأ توسيع الأراضي الألمانية عبر احتلال واستعمار الأراضي الأوراسية والروسية بالتحديد، انما من خلال بناء نظام أوراسي جديد عبر استثمار الأراضي الآسيوية المترامية الأطراف وغير المأهولة وإعادة تنظيم أراضي أوروبا الشرقية لإخراج المدى القاري للجزيرة الأوراسية بشكل كامل من تأثير نفوذ القوة البحرية.[١٢٨]

إلا أن هاوسهوفر دعا المانيا الى التوسع مساحياً من أجل السيطرة على قارة أوروبا ضمناً أوروبا السلافية (بولندا–تشيكوسلوفاكيا–البلقان) من أجل الحصول على مقومات القوة التي تدفع بالاتحاد السوفياتي الى القبول بالاتحاد مع المانيا على حكم أوراسيا، ودون ذلك سيبقى للاتحاد السوفياتي التفوق على المانيا ما يمنعه من القبول بما يشبه التنازل عن أحقيته بالسيطرة.[١٢٩] من هنا نرى النظرة الجيوبوليتيكية البرية في افكار هاوسهوفر، حيث أولى الأهمية الكبرى للتوسع أرضاً ثم الاتحاد من أجل زيادة المساحات البرية المسيطر عليها من قبل قوة قارية واحدة مما يمكّنها من بسط النفوذ العالمي.

وعلى الرغم من دعوة هاوسهوفر الى الاهتمام بقوى البحر والجو، فإن ذلك كان من منطلق تدعيم قوى البر ليس إلا، وليس الاعتماد عليها في فرض السيطرة، حيث اعتبر أن قوى البر هي التي تحدد مصير القتال. وفي مجمل معالجته للصراع التاريخي بين قوى البحر والبر، أشار هاوسهوفر الى أن الصراع ينتهي عند وصول قوى البر الى الأراضي الشاطئية. من هنا يمكن تسليط الضوء على اهتمامه بالأرض حيث أشار الى أن الشواطئ والمرافئ لا قيمة جيوبوليتيكية لها إن لم يكن عمقها الأرضي تحت سيطرة قوة برية، فمثلاً قناة السويس تفقد أهميتها الجيوبوليتيكية ان لم تكن مصر وفلسطين تحت سيطرة القوة ذاتها.[١٣٠]

أما كارل شميدت فقد توصل في مقاله "المدى والمدى الكبير في حقوق الشعوب" عام ١٩٤٠ الى صياغة نظرية جيوبوليتيكية أسماها المدى الكبير. حيث أشار الى أن مبدأ التكامل هو التعبير المنطقي والطبيعي للتطور الانساني. ولم يدع شميدت الى التوسع عبر الاستعمار، إنما من خلال تكامل يشمل كافة الميادين الاقتصادية والسياسية والتقانية.

ومن خلال رؤيته لحتمية المواجهة مع قوى البحر، أشار الى ضرورة مواجهته بمدى قاري لقوى البر تكون أوروبا الأساس فيه. والدولة القارية العابرة للدول التي دعا لها شميدت، تكون قائمة على التعددية الاثنية والاقتصادية والثقافية، فلا تنطلق من أي تشابه أو مصلحة اقتصادية، بل تقوم على الاستقلالية الذاتية الواسعة التي لا تحد منها الا المركزية الاستراتيجية والولاء للمرجعية العليا. فهي ترتكز فقط على الارادة السياسية

---

[١٢٨] محمد رياض، م.س.، ص ٦٨–٦٩

[١٢٩] م.ن.

[١٣٠] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٧٠

انطلاقاً من "الضرورة التاريخية لمثل هذه الخطوة الجيوبوليتيكية...إنها الصيغة الجديدة للاتحاد ما فوق القومي القائم على أساس العامل الاستراتيجي، الجيوبوليتيكي والايديولوجي."[١٣١]

كما يمكن رصد أهمية المدى القاري في أفكار اليمينيين الجدد والاوراسيين الجدد الذين سبق وفصّلنا أفكارهم في الفقرة الثانية من المبحث السابق. فـ"أوروبا ذات المئة راية" التي تكلم عنها اليمينيون الجدد، كانت نتيجة الدعوة الى تشكيل الاتحاد ما فوق الدولة القومية التي تقضي باتحاد أوروبا كقارة، ومن بعدها مع روسيا في مواجهة القوة الجيوبوليتيكية البحرية أي الأطلسية. وهو ما يتشابه مع نظرية "أوروبا الفتية" للبلجيكي جان تيريار التي دعت الى تحقيق المدى الأوروبي الكبير عبر الوحدة الأوروبية في البداية، ثم الى الاتحاد مع روسيا في مرحلة لاحقة بعد أن خلص الى أن أوروبا وحدها لن تكون قادرة على مواجهة الأطلسية دون الاتحاد مع روسيا.

وتأتي أفكار تيريار مغايرة لأفكار اليمينيين الجدد من حيث دعوته الى أقصى أنواع الاتحاد والانصهار في دولة قارية قومية واحدة، في حين كانت دعوة اليمينيين الجدد الى الوحدة عبر الفيدرالية. لكن تتداخل آراء اليمينيين الجدد مع أفكار الأوراسيين الجدد، اللذين أكدوا على الأهمية الجيوبوليتيكية الكبيرة للمدى القاري لروسيا، ودعو الى الاتحاد مع أوروبا من أجل مواجهة الأطلسية. وعلى ضوء ما تقدم، يبرز اهتمام اليمينيين الجدد والأوراسيين الجدد بالمدى الجغرافي في النظرة الجيوبوليتيكية، وذلك في مواجهة الجيوبوليتيك البحري المتمثل بالأطلسية.

على الرغم من اهتمام الكثير من الباحثين الجيوبوليتيكيين بالمدى والمجال وما يمثلاه من امتداد أرضي وقاري، يبقى الجيوبوليتيكي ماكيندر أشهر المنظرين لأهمية البر في الجيوبوليتيك. لذلك لا بد لنا من التوقف عند أبرز أفكاره التي صاغها في هذا المجال.

ثانياً: نظرية قلب العالم لماكيندر

يعتبر ماكيندر من ابرز الباحثين الذين ارتبط اسمهم بنظرية البر في الجيوبوليتيك. وقد حظي مقاله "المحور الجغرافي للتاريخ" عام ١٩٠٤ في "المجلة الجغرافية" باهتمام كبير بين الباحثين في الجيوبوليتيك والمهتمين بصياغة السياسات الدولية. ففي هذا المقال عرض ماكيندر أفكاره الأساسية ورؤيته للتاريخ والجغرافيا، وهو ما استند اليه في كتاباته اللاحقة لتطوير نظريته، كما شكّل أحد النصوص التي صاغت قوانين الجيوبوليتيك الأساسية كعلم قائم، ولذلك يعتبر من أهم النصوص الجيوبوليتيكية.[١٣٢]

---

[١٣١] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٢٣

[132] Robert D. Kaplan, **the revenge of geography**, opcit, p 62

وقد اهتم ماكيندر بشكل كبير بالموقع ووسطيته، لذلك اعتبر أن الدولة المتوسطة المركز لها الأسبقية على غيرها، فأشار الى أن "**الوضع الجيوبوليتيكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي.**"[١٣٣] لكن المركزية والتوسط مفهوم نسبي لا يمكن قياسه واعتماد أسس واضحة لتمييز ما هو متوسط ومركزي، عن ما هو طرف وبعيد. إلا أن ماكيندر رأى أن أوراسيا تقع في مركز العالم، وذلك من منطلق الرؤية الكلية للعالم. ثم أضاف أن في مركز أوراسيا يقع تجمع للكتل القارية التي تشكل الموقع الجغرافي الأكثر ملاءمة للسيادة العالمية. من هنا بنى ماكيندر نموذجاً جيوبوليتيكياً للعالم قائم على رؤيته الجيوبوليتيكية، انطلاقاً من نظام دوائر متحدة المركز. وهذا المركز هو المحور الجغرافي للتاريخ أو "المنطقة المحورية"، وحوله دائرتين كبرتين هما الهلال الداخلي والهلال الخارجي.

انطلق ماكيندر في نظريته الجيوبوليتيكية من أن **آسيا وإفريقيا وأوروبا تشكل ما أسماها جزيرة العالم،** وذلك كونها تشكل العالم القديم، اضافة الى أنها الجزء الأكبر من العالم وبالتالي فان أهميتها الجيوبوليتيكية هي الأكبر. ولجزيرة العالم هذه مركز قاري حبيس يتمتع بخيرات وموارد كبيرة وشعب يتميز بالقسوة والسطوة والميل للتوسع، وأطلق على هذا المركز اسم "قلب العالم". وبعد منطقة القلب تكون منطقة الهلال الداخلي، وهو الطرف المتطابق مع حافة أوراسيا. والهلال الداخلي يمثل، وفقاً لنظرية ماكيندر، منطقة حضارة ذات تطور أكثر كثافة. هذه المنطقة تضم أوروبا الشرقية والمتوسطية، البحر المتوسط وشمال افريقيا، شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر، وصولاً الى الهند وأجزاء كبيرة من الصين، وهي تشكل التقاطع الرئيسي بين المدارات المائية والبرية الأساسية في أوراسيا، وهو ما يعطيها أهميتها الجيوبوليتيكية.[١٣٤] أما الهلال الخارجي فهو المناطق الخارجة بصفة كلية من الاطار القاري للجزيرة العالمية.

واذا كانت المنطقة الأساسية في نظرية ماكيندر هي منطقة قلب العالم، فمن المهم رصد التطور الذي لحق بارتسامات هذه المنطقة. فلم تبق نظرة ماكيندر لمنطقة القلب على حالها طوال حياته، بل تغيّرت حدودها مع الوقت. ففي البداية حددت نظرية ماكندر، التي صاغها بناء على أفكاره التي وضعها في مقاله الشهير "**المحور الجغرافي للتاريخ**" عام ١٩٠٤، منطقة قلب العالم بشكل يكاد يتطابق في الملامح العامة مع الامبراطورية الروسية ومن ثم مع الاتحاد السوفياتي. فتشكلت هذه المنطقة بشكل أساسي من أراضي روسيا، "**فهي المنطقة الممتدة من نهر الفولغا غرباً الى سيبيريا شرقاً، ومن جبال الهملايا في الجنوب الى منطقة القطب الشمالي في الشمال.**"[١٣٥] والملاحظ أنها محاطة من ثلاث جهات بالجبال، وبمحيط متجمد من الجهة الرابعة، وهو ما يعطي هذه المنطقة قوتها الدفاعية.

---

[١٣٣] الكسندر دوغين، م.س.، ص٨٦

[١٣٤] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص٧٠

[١٣٥] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص٢٧٩

وفي كتابه "المثل الديمقراطية والواقع" **عام ١٩١٩ وسّع ماكيندر منطقة القلب وضم اليها أوروبا الشرقية والوسطى والتيبيت وأعالي أنهار الصين والهند ومنغوليا كمناطق ذات أهمية استراتيجية، انطلاقاً من تغير تقانيات النقل البري والنمو السكاني والصناعي.**[١٣٦] إلا أن نظرة ماكيندر لقلب العالم تغيرت مرة أخرى عام ١٩٤٣ في مقاله "الكوكب المستدير وغزو العالم". ووفقاً لنظرته الجديدة، **اقتطع ماكيندر من منطقة القلب أراضي سيبيريا الشرقية السوفياتية الممتدة وراء اليينيسي، وأطلق على تلك الأراضي اسم الليناالاند LENALANLD على اسم نهر الليناـ**. وعزل الليناالاند عن منطقة القلب مما يعني امكانية النظر الى هذه المنطقة كـ"هلال داخلي" يمكن للدول الجزيرية استخدامها ضد المحور الجغرافي، أي منطقة القلب.[١٣٧]

وقد توصل ماكيندر الى استنتاجاته بناء على تحليله المواقع الجغرافية ومسيرة التاريخ في هذه المناطق. فقسّم ماكيندر التاريخ الجيوبوليتيكي الى ثلاث مراحل. المرحلة الأولى هي السابقة لكولومبوس وفيها كانت الشعوب في أطراف الجزيرة العالمية تعيش تحت التهديد الدائم لغزو قوى الأرض القلبية. مثلاً بالنسبة للرومان، شكلت شعوب الجرمان والهون والفرس قوى الأرض القلبية. المرحلة الثانية، مرحلة كولومبوس، وفيها خرجت شعوب الهلال الداخلي، أي المناطق الساحلية، الى اكتشاف واحتلال الأراضي المجهولة دون أن يواجهوا مقاومة جادة. أما المرحلة الثالثة، ما بعد كولومبوس، فلم يتبق أي من الأراضي دون اكتشاف، وبالتالي فديناميكية الحضارات محكومة بالتصادم بين الحضارات القلبية القارية والبحرية الجزرية.[١٣٨]

لذلك فمن مركز جزيرة العالم، أي من منطقة القلب، يجري الضغط المستمر على الأطراف ممن يسمون "قراصنة البر"، التي كانت الغزوات المغولية أكثرها وضوحاً وشهرة. أما من الخارج أي من منطقة الهلال الخارجي، فيأتي ضغط "قراصنة البحر"، واللذين تجلت أبرز ضغوطهم في الحملات الاستعمارية المنطلقة من خارج المركز الأوراسي والتي تحاول أن توازن الدفعات البرية المنطلقة من الداخل. أما بين هذين القطبين الحضاريين فتكمن أراضي الهلال الداخلي، التي اصبحت بفعل موقعها محطة تطور حضاري غني بسبب تعرضها الدائم للتأثيرات الحضارية المتناقضة التي تأتي من قوى البر عبر أراضي قلب العالم من جهة، ومن قوى البحر عبر الهلال الخارجي من جهة أخرى. لذلك تظهر حسب ماكيندر التجليات الحضارية الأكثر أهمية في الهلال الداخلي بينما يتميز الهلال الخارجي بالفوضى الحضارية، ومنطقة قلب العالم بالتحجّر والتصلّب.[١٣٩]

---

136 Saul Bernard Cohen, opcit, P 13

١٣٧ عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٧٠

١٣٨ الكسندر دوغين، م.س.، ص ٩٣

139 John Agnew, opcit, p 26

بناء على ما تقدم، صاغ ماكيندر نظريته الجيوبوليتيكية ولخصها بالعبارة التالية: **من يتحكم بأوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم، ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم.**[١٤٠] وذكر أن القوى الأكثر قدرة على السيطرة على هذه المنطقة هي روسيا، المانيا، أو الصين. وهو ما أكده جيمس فيريغريف(١٨٧٠-١٩٥٣)* في كتابه "الجغرافيا والسيادة العالمية" عام ١٩١٥، في اشارته الى موقع الصين الممتاز الذي يعطيها امكانية السيطرة على أوراسيا الداخلية.[١٤١]

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة التي حظيت بها نظرية ماكيندر إلا أنها تعرضت للكثير من الانتقاد. فالميزة الوسطية التي تتمتع بها منطقة قلب العالم تجعلها قوية دفاعياً، اضافة الى الاستفادة من الموارد الضخمة فيها، وحرية التنقل البري، لكنها في الوقت عينه تدفع بالمناطق المحيطة بالتوحد لمواجهتها ما يجعلها عرضة للهجوم الدائم سياسيا وعسكرياً، ما يفقدها الراحة للتفرغ لشؤون زيادة القوة وتوسيع السيطرة.[١٤٢]

كما أثارت نظرية ماكيندر الجدل من حيث قدرة المسيطر على قلب العالم فعلاً أن يتحكم بالعالم. ففي نظريته أغفل نقطة هامة ظهرت مع التطور التقاني، تتمثل في أن موقع قلب العالم المتوسط يجعله معرّضاً لتحالف الأطراف ضده. وصحيح أن طبيعة المناخ القاسي يصعّب من امكانية الهجوم البري على منطقة قلب العالم، وكذلك الهجوم البحري بسبب المياه المتجمدة، إلا أن امكانية ضربه عبر القوة الجوية كبيرة، فسلاح الجو يمكن أن يقوم بمهامه على الرغم من طبيعة المناخ الصعبة في تلك المناطق الباردة.[١٤٣]

من هنا يظهر بعض التبسيط في أفكار ماكيندر من حيث أنه حصر امكانية تهديد الأطلسية جيوبوليتيكياً بروسيا، المانيا، أو الصين، متجاهلاً امكانية قيام التحالفات في المناطق القريبة من قلب العالم التي يمكن أن تشكل تهديداً بنفس المستوى على السيادة العالمية للأطلسية أو السوفياتية. وبالتالي فنظريته تلغي الأهمية التي تلعبها المناطق الأخرى في الصراعات الدولية، مثل احتمال تكوين ائتلاف شمالي يشمل جزء من منطقة القلب والبحر المتوسط.[١٤٤]

وفي بحث نشره دونالد مينيغ(١٩٢٤-٠٠٠)** عام ١٩٥٦ في جامعة سيراكيوز Syracuse وجه انتقاداً لكيفية تحديد ماكندر لمنطقة قلب العالم. ففي حين اعتمد ماكيندر على تقسيمات جغرافية بحتة في تحديد

---

[140] Robert D. Kaplan, **the revenge of geography**, opcit, p 74

* جيمس فيرغريف James Fairgrieve (١٨٧٠-١٩٥٣): جغرافي وجيوبوليتيكي بريطاني، له كتابات مهمة حول السيادة العالمية وتأثير الجغرافيا عليها.

[141] Saul Bernard Cohen, opcit, P 13

[١٤٢] محمد رياض، م.س.، ص ٦٥

[١٤٣] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٧٢٥

[١٤٤] محمد رياض، م.س.، ص ٦٦

** دونالد مينيغ Donald W. Meinig (١٩٢٤-٠٠٠): جغرافي وجيوبوليتيكي اميركي، له العديد من الكتب حول دور الولايات المتحدة الجيوبوليتيكي.

منطقة قلب العالم وتغيراتها، دعا مينيغ الى اعتماد المعيار الوظيفي من أجل تحديد هذه المنطة انطلاقاً من "التشابه في الظروف والملامح الطبيعية للأرض والخصائص الحضارية للبشر."[١٤٥]

كما وجه سبيكمان انتقاداً لهذه النظرية تمحور حول نقطتين أساسيتين. النقطة الأولى هي المبالغة في أهمية أراضي منطقة قلب العالم، فمعظم هذه الأراضي قاحلة غير قابلة للحياة أو الزراعة أو الصناعة بسبب تضاريسها من جهة، وطقسها القاسي من جهة ثانية. أما النقطة الثانية فهي الطبيعة الصعبة التي تحيط بمنطقة قلب العالم، فعلى الرغم من تأمين هذه التضاريس الحماية الدفاعية بشكل كبير، إلا أن سلبياتها ملحوظة من خلال صعوبة ربط هذه المنطقة بالاطار الداخلي عبر سكك الحديد ووسائل النقل البرية.[١٤٦] وانطلاقاً من نقده لنظرية ماكيندر، صاغ سبيكمان نظريته الجيوبوليتيكية التي أخذت اهتماماً كبيراً بين باحثي الجيوبوليتيك.

ثالثاً: سبيكمان ونظرية الإطار

تميز سبيكمان بالبراغماتية الجيوبوليتكية التي جعلت أفكاره تنصب في كيفية تقديم المعادلة الأسرع لإيصال الولايات المتحدة الاميركية الى السيادة العالمية، وتظهر هذه البراغماتية في بنية دراساته جميعاً. وقد عرف سبيكمان بدراسته الدقيقة لأفكار ماكيندر، ثم قام بصياغة مخطط جيوبوليتيكي أساسي يختلف قليلاً عن النموذج الذي قدمه الاخير.

وجه سبيكمان نقداً أساسياً لرؤية ماكيندر فيما يخص أراضي القلب وأراضي الهلال الداخلي. فرأى أن الأراضي التي أسماها ماكيندر الهلال الداخلي، تشكل المفتاح الأساسي للسيطرة العالمية وليس أراضي قلب العالم، وأطلق عليها تسمية أراضي الإطار. ففي حين أكد ماكيندر أن منطقتي قلب العالم والهلال الخارجي هما أساس الحضارة، وأن حضارات الهلال الداخلي هي نتاج الصراع بين هاتين الحضارتين، رأى سبيكمان أن أراضي القلب ما هي إلا مدى مكاني محتمل يتلقى التفاعلات الحضارية من المناطق الشاطئية، ولا تحمل أي أهمية جيوبوليتيكية مستقلة، لذا لا يمكن اعتبارها المحور الجغرافي للتاريخ. لذلك رأى سبيكمان أن ماكيندر بالغ في تقييم الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة قلب العالم، فالتاريخ الجغرافي للهلال الداخلي، أي المناطق الشاطئية، قد تكوّن من تلقاء نفسه وليس بتأثير من سكّان اليابسة حسبما رأى ماكيندر.[١٤٧]

---

[١٤٥] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٢٨٨

[١٤٦] م.ن.، ص ٢٨٥-٢٨٦

[١٤٧] محمد رياض، م.س.، ص ٧٨

من هنا خلص سبيكمان الى تعديل مقولة ماكيندر التي اختصر فيها نظريته. فانطلاقاً من ايمانه بأهمية منطقة الإطار بشكل أساسي، خلص سبيكمان الى مقولة "**من يسيطر على الإطار يسيطر على الأوراسيا، ومن يسيطر على أوراسيا يقبض على مصير العالم.**"[١٤٨]

ومن الناحية المبدئية لم يأت سبيكمان من خلال مقولته بالجديد، فماكيندر كان قد أكد على أهمية أراضي الاطار وأشار اليها على أنها النقطة الاستراتيجية الأساسية في السيطرة على القارة. إضافة الى أن الاختلاف الأساسي بين سبيكمان وماكيندر يبدو في تبيان أهمية منطقة قلب العالم وكونها المحور الجغرافي للتاريخ، وهو ما أكده ماكيندر ولم يوافقه سبيكمان. لذلك يبدو أن نظرية سبيكمان هي اعادة تكوين لنظرية ماكيندر وفق تقسيم جديد لاختلاف تسلسل أهمية المناطق، ونقل لمركز انطلاق الحضارات من الأراضي القارية في قلب العالم الى المناطق الشاطئية أي منطقة الاطار.

وفي كتابيه "الاستراتيجية الأميركية في السياسة العالمية" و "جغرافية العالم"، قدم سبيكمان عشر معايير للدول تتكون بموجبها قوتها الجيوبوليتيكية. والملاحظ أن هذه المعايير هي تطوير لتلك التي سبق أن وضعها ماهان والتي سبق وذكرناها في الفقرة السابقة، وهي تتلخص بالتالي: "سطح الأرض، طبيعة الحدود، عدد السكان، توفر الثروات والموارد الطبيعية، التطور الاقتصادي والتقاني، القوة المالية، التجانس الإثني، مستوى التكامل الاجتماعي، الاستقرار السياسي والروح الوطنية." [١٤٩]

وانطلاقاً من هذه المعايير، قدم سبيكمان رؤيته لقوة الدولة الجيوبوليتيكية. ودعا الدول التي يتبين لها أثناء تقييم امكانياتها الجيوبوليتيكية وفق هذه المعايير، أنها ليست مرتفعة وفقاً لتطلعات سياساتها الخارجية، بأن تدخل بشكل تلقائي في حلف استراتيجي أكثر عمومية حتى لو كان ذلك على حساب التخلي عن جزء من استقلالها، بغية الحصول على الحماية الجيوبوليتيكية الاستراتيجية العالمية.[١٥٠]

وكما سبق وأشرنا، اهتم سبيكمان بالمنطقة الشاطئية واعتبرها المنطلق الحضاري الذي بنت عليه منطقة القلب حضارتها. من هنا سلّط سبيكمان الضوء على **أهمية البحر الابيض المتوسط** في التاريخ القديم، كون مجموع الحضارات القديمة قد انطلقت من ضفافه اتجاه الاراضي الداخلية للعالم القديم. وفي تطوير لهذه النظرة حول أهمية البحر الأبيض المتوسط، ومن خلال رؤية أكثر عالمية وشمولية، رأى سبيكمان أن **المحيط الأطلسي يمثل اليوم للحضارة الغربية في التاريخ المعاصر ما كان يشكله البحر الأبيض المتوسط تاريخياً.** فوفق مفهومه وانطلاقاً من الحداثة والتطور التقاني، يمسي هذا المحيط ما يشبه البحيرة الداخلية وسط منطقة برية واسعة أشار اليها بـ"الغرب"، مشكلة بذلك "قارة نظرية" أسماها "**القارة الأطلسية" المكونة من أوروبا الغربية**

---

[١٤٨] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٧٢

[١٤٩] الكسندر دوغين، م.س. ص ١٠٧

[١٥٠] محمد رياض، م.س.، ص ٨٠

وأميركا الشمالية. وأعطى سبيكمان المحيط الأطلسي أهمية كبرى كونه المسطح المائي الجامع لأطراف هذه القارة الجديدة. وعلى ضفّتيه، الأوروبية والأميركية، تكمن منطقة الحضارة الغربية الأكثر تطوراً في المفهومين التقاني والاقتصادي، وبالتالي تكون "القارة الأطلسية" المرتبطة بالوحدة الثقافية وبالإيديولوجية الليبرالية– الرأسمالية والديمقراطية، اضافة الى وحدة المصير الاثني والتقني هي مصدر الحضارة الجديد في العالم، ومنها تنطلق لباقي الانحاء.[١٥١]

بناء على ما تقدم من أفكار سبيكمان، أن مركز القوة الأساسي "للقارة الأطلسية" الجديدة، وبالتالي في العالم، يكمن في الولايات المتحدة الأميركية. وأشار الى أنه يجدر تقليص استقلال الدول الأوروبية وبصورة تدريجية والاتجاه نحو التوحد الاستراتيجي للدول الغربية وأن تنتقل السلطة الأطلسية في كافة المجالات لرئاسة الولايات المتحدة.

لذلك كان لسبيكمان دوراً هاماً في بناء السياسات الخارجية والاستراتيجيات الكبرى للولايات المتحدة، خاصة فيما يعني بناء السياسة الأطلسية الموحدة وحلف شمال الأطلسي الناتو وتحجيم تأثير السياسات الأوروبية المنفردة وربطها بالسياسات الأميركية، من **خلال نشر الاساطيل البحرية في البحر المتوسط والمحيط الهادئ، إضافة الى اقامة علاقات تحالف مع دول تحيط بأوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي خاصة تلك التي تتمتع بمواقع استراتيجية مثل دول الشرق الأوسط.**[١٥٢] لذلك لم يجعل من الولايات المتحدة مركز القوة البحرية العالمية كما فعل ماهان، إلا أنه اعتبرها الضرورة الأساس للسيطرة على المناطق الشاطئية لأوراسيا، أوروبا، البلدان العربية، الهند والصين، وهو ما يعد الصيغة الجديدة لمبدأ الأناكوندا الذي أسس له ماهان قبله.[١٥٣]

لقد تعرضت النقطة الرئيسية في نظرية سبيكمان والمتمثلة بالدعوة الى السيطرة على أراضي الاطار للتشكيك بشكل جوهري. والنقد الأساسي لهذه النقطة ينطلق من عدم كفاية السيطرة على الاطار من أجل فرض السيطرة على الجزيرة العالمية، اضافة الى البعد عن الامكانية العملية لفرض هكذا سيطرة. "فأراضي الاطار ليست الا نطاق امتداد لقلب العالم من الداخل، ونطاق هامشي للقوى البحرية من الخارج."[١٥٤]

ان تفصيل هذا النقد يمكن أن يقودنا الى استنتاجات قد تؤيد هذا التوجه. فالقوى التي يمكن أن تفرض السيطرة على منطقة الاطار بشكل كامل هي إما قوة أوروبية موحدة كبرى، أو روسيا، أو قوة آسيوية كبرى، أو القوة البحرية الأطلسية. فإذا ما افترضنا قيام قوة أوروبية موحدة، أو قوة آسيوية موحدة، وسعت للسيطرة على الاطار فإنها لن تستطيع أن تقوم بذلك دون السيطرة أولاً على الشرق الأوسط وشمال افريقيا من مصر حتى

---

[١٥١] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٠٨

[١٥٢] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٧٢

[١٥٣] الكسندر دوغين، م.س.، ص ١٠٩

[١٥٤] محمد رياض، م.س.، ص ٧٩

المغرب كي لا تواجه بأي عراقيل سياسية أو عسكرية أثناء مرحلة فرض السيطرة. اضافة الى حاجتها للاتفاق مع القوة في منطقة القلب للسبب ذاته.

أما اذا فرضنا سعي روسيا لهكذا خطوة، فإن القوة الأطلسية ستكون لها القدرة على التأثير سلباً على السياسة الروسية سعياً لمنعها من بسط النفوذ، والعكس صحيح بالنسبة لمحاولة الأطلسية السيطرة على الاطار. لذلك فبقاء أراضي الاطار ضمن المنافسة الدولية يجعل من الصعوبة قيام قوة موحدة أوروبية أو آسيوية بالدرجة الأولى، وفي حال قيامها، فلن تسمح المصالح الجيوبوليتيكية الروسية والأطلسية لها بالتمدد في مناطق الإطار بالدرجة الثانية. من هنا، يمكن القول أن السيطرة على الاطار بشكل كامل بعيد عن الحصول عملياً نظراً للحاجة للتحالف مع منطقة قلب الأرض (روسيا بالدرجة الأولى)، وقبول القوة الأطلسية (الولايات المتحدة الأميركية بالدرجة الأولى).

كما لم يتفق دونالد مينيغ مع سبيكمان في النظرة الجيوبوليتيكية الى أراضي الاطار. ففي حين لم يذكر سبيكمان في نظريته أي عوامل تمييز بين أراضي الاطار المحيطة بمنطقة قلب العالم، رأى مينيغ أن الدول المكونة لمنطقة الاطار التي تتصارع عليها القوى الكبرى لها توجهات مختلفة، تتغير مع تغير موازين القوى، لذلك يجب تقسيمها وظيفياً انطلاقاً من توجهاتها. من هنا قسّم مينيغ دول الاطار الى قسمين وفقاً لتوجهاتها الاستراتيجية: القسم الأول يضم الدول ذات التوجه الداخلي نحو قلب العالم، والثاني يضم الدول ذات التوجه الخارجي صوب الهلال الخارجي.[١٥٥]

بناء على ما تقدم، ومن خلال معالجة أفكار سبيكمان قد يتبين في البداية أنه من أنصار جيوبوليتيك البحر نظراً لإعطائه أهمية كبرى للدول الشاطئية. لكن البحث الدقيق يشير الى تبني سبيكمان لكافة أفكار ماكيندر إلا النتائج السياسية، حيث أشار الى الأهمية الكبرى لمنطقة القلب في السيطرة العالمية، لكنه جعل أراضي الاطار المفتاح لهذه السيطرة.[١٥٦] لذلك يمكن القول أن أفكار سبيكمان لعبت دوراً أساسياً في تطوير نظريات البر في الجيوبوليتيك، وهو ما يبرر اندفاع القوى الكبرى نحو منع منافسيها من بسط السيطرة على أراضي الاطار بشكل كامل مع السعي الى ضم هذه المناطق الى دائرة تأثيرها المباشر.

بعد التوقف عند أبرز ما جاء في أفكار الجيوبوليتيكيين حول أهمية البر في الجيوبوليتيك، اضافة الى تركيز البعض منهم على مناطق معينة بوصفها المفتاح الأساسي للقوة الساعية للسيطرة العالمية، لا بد لنا من الاشارة بشكل عام الى بعض التوجهات في السياسات الخارجية للدول التي تبرز هذه الأهمية.

---

[١٥٥] خليل حسين، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، م.س.، ص ٢٨٨-٢٨٩

[١٥٦] محمد رياض، م.س.، ص ٧٩

رابعاً: نظريات البر في التاريخ الحديث والمعاصر

أثّرت أفكار راتزل وهاوسهوفر حول المجال الحيوي على سياسة ألمانيا في الحربين العالميتين. فقد قامت نظرية المجال الحيوي على أهمية التوسع والسيطرة على أراضٍ جديدة تتمتع بالموقع الجيوبوليتيكي المميز، من أجل زيادة القوة واستمرار الدولة بالنمو، وإلا ستواجه خطر التراجع على حساب غيرها من الدول، حيث يمكن أن تفتح المجال لغيرها من القوى لفرض السيطرة عليها. لذلك نرى أن "العلماء الألمان تبنّوا هذه النظرية الجيوبوليتيكية وجعلوا منها نظرية سياسية منتظمة تفسر التوسع والسيطرة العالمية الألمانية، وأساساً لأيديولوجية المجال الحيوي".[١٥٧]

غير أن التطبيق العملي لأفكار هاوسهوفر اصطدم بالافكار العرقية الاثنية التي اتبعها هتلر بالخصوص. فقد رأى أن العرق الجرماني يسمو على السلافيين الروس، لذلك وجد أن الغرب أقرب له من الروس انطلاقاً من التقارب الاثني. من هنا تراوح الموقف الجيوبوليتيكي الألماني في فترة الحرب العالمية الثانية بين التفكير الجيوبوليتيكي الصرف، والتفكير الاثني العرقي، وهو ما دفع اقامة محور برلين–روما–طوكيو، والذي يمكن رؤيته بأنه وسطياً بين النظرتين الجيوبوليتيكية والاثنية. وبما أن هاوسهوفر كان قد سعى في تلك الفترة الى تكييف نظريته حول الحلف القاري مع المناخ السياسي القائم، فقد أيد قيام هذا الحلف واعتبره الخطوة التمهيدية لإقامة الحلف الأوراسي الذي دعا اليه، حيث قدمه كبديل عن منطقة قلب العالم التي كانت تتمحور في الأساس حول الأراضي الروسية.[١٥٨]

كما تظهر التطبيقات العملية لأفكار ماكيندر في العديد من المخططات التي اشترك بصياغتها. فأبرز ما نادى به ماكيندر كان الحؤول دون الاتحاد بين روسيا والمانيا، كي لا تولد قوة قارية تصل اليابسة بالبحر تستطيع تهديد القوى الأطلسية. ويمكن رؤية تطبيق ذلك من خلال مساهمته بشكل كبير في الدعوة والتأثير على حلف الوفاق الثلاثي لدعم الحركة البيضاء التي رأى فيها توجهاً أطلسياً لاضعاف قوة التأييد للألمان من البلشفيك الأوراسيين، حيث كان يحرص أن يقدم بصفة شخصية النصائح والمشورة لقادة الحركة، والتأثير على الحكومة البريطانية من أجل تقديم أكبر قدر من الدعم لها.[١٥٩]

كما شارك ماكيندر في الاعداد لمؤتمر فرساي، الذي وضع الاتفاقية التي "رسخت لأوروبا الغربية صفة القاعدة البحرية للقوى الأطلسية، وكرّست وجود دول محصورة بين الجانبين تفصل بين المانيا وروسيا وتحول دون التواصل المباشر بينهما."[١٦٠] وهنا التأثير الواضح لأفكار ماكيندر الداعية الى ابقاء الاساطيل

---

[١٥٧] حسين ضاهر، م.س.، ص ١٢٦

[158] Saul Bernard Cohen, opcit, P 21

[١٥٩] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٩٠

[١٦٠] م.ن.، ص ٩١

البحرية الاطلسية على مقربة من أراضي الهلال الداخلي، والحؤول دون الاتحاد الروسي الالماني الذي من شأنه تهديد الأطلسية والانطلاق نحو بناء القوة العالمية.

وبعد تعديله لحدود منطقة قلب العالم للمرة الثالثة عام ١٩٤٣، توقع ماكيندر أن الصراع الجيوبوليتيكي بعد الحرب العالمية الثانية سيكون سباقاً على السيطرة من قبل خمس قوى جيوبوليتيكية. وقد قسم ماكيندر هذه القوى حسب رؤيته للعالم، فالأولى تمثلت بالأطلسية، والثانية الكتلة القارية الأوراسية، الثالثة تكونت من الهلال الداخلي مع الليناالاند، الرابعة أسماها الأطلسية الجنوبية التي تضم أميركا الجنوبية وأفريقيا، أما الأخيرة فكانت أراضي الصين والهند اذا توحدت.[161]

وخلال شرحه لنظريته أشار ماكيندر الى أن الصراع على السيطرة العالمية لا مفر منه بين قوة قلب العالم المتمثلة بالاتحاد السوفياتي سابقاً، والقوة البحرية المتمثلة بالولايات المتحدة الأميركية التي أخذت مكان القوة البحرية البريطانية. كما أشار الى أن الغلبة سوف تكون للقوة التي تستطيع حيازة القوة البرية والبحرية معاً، مشيراً الى أنها ستتمكن من السيطرة على الجزيرة العالمية والتحكم بمصير العالم.[162]

وعلى الرغم من اعتبار ماكيندر أن الأفضلية الاستراتيجية على صعيد العالم كانت لمنطقة القلب، إلا أنه كان يوفق بين اهتماماته العلمية المتمثلة بأهمية قلب العالم، وبين مصالح ما يمثله من مسار استراتيجي أي مصالح دول الهلال الخارجي. فعلى الصعيد السياسي أعطى أهمية لموقع روسيا المركزي الاستراتيجي، وهو ما يشابه موقع المانيا نسبة الى اوروبا. وأهمية القلب الاستراتيجية يمكن رؤيتها بوضوح في كتاب "المثل الديمقراطية والواقع" عام ١٩١٩، حيث أثار اشكالية حول "ما الذي سيحدث لقوى البحر فيما لو قامت القارة العظيمة بالتوحد سياسياً ذات يوم لتصبح اساس الأرمادا* التي لا تقهر؟"[163]

لذلك كان من الدعاة الى اهتمام السياسات الخارجية للدول الانجلوساكسونية بالحؤول دون تشكيل أي اتحاد قاري استراتيجي. فانشاء مثل هكذا تحالف سيتيح للقوى القارية، روسيا والمانيا بشكل أساسي، التوسع والوصول الى الحدود الأوروبية حيث المناطق الشاطئية، التي ستسمح لها بناء القوة البحرية فتصبح المنطلق نحو الامبراطورية العالمية كما أسماها. من هنا دعا ماكيندر الى اهتمام دول الهلال الخارجي **بانشاء الموانئ البحرية في فرنسا، ايطاليا، مصر، الهند، وكوريا لتكون مرسى لأساطيل دول الهلال الخارجي، حيث تكون مهمتها منع وصول الاتحاد القاري الى هذه المسطحات المائية وبناء اسطولها الحربي.**[164]

---

161 Saul Bernard Cohen, opcit, P 16

١٦٢ شارل زورغيب، م.س.، ص ١٢

* من الاسبانية وتعني تجمعاً كبيراً لدبابات وبواخر وطائرات تعمل وتتحرك بشكل منظم وبتنسيق مشترك.

١٦٣ الكسندر دوغين، م.س.، ص ٩٠

١٦٤ م.ن.

إلا أنه في الوقت عينه أشار الى ان الغلبة في الصراع سيكون لقوى البر، ذلك لأن العصر البحري قد مضى نظراً لعدم وجود أية أراضٍ جديدة لم تُكتشف بعد.[١٦٥] وفي سياق متصل نجد أن السياسات والاستراتيجيات الغربية توجهت بشكل أساسي لتطويق القوة التي تحكم قلب العالم والحؤول دون الوصول الى الهلال الداخلي، ويتجلى ذلك عبر الأحلاف الغربية العديدة مثل حلف شمال الأطلسي وحلف جنوب شرق آسيا، وذلك منعاً لسيطرة الاتحاد السوفياتي، الذي يشكل الجزء الاكبر من قلب العالم، من السيطرة العالمية.[١٦٦] اضافة الى **السياسات الخارجية الأطلسية التي تهدف الى الغايات ذاتها من وعد بلفور وسايكس-بيكو مروراً بتقسيمات مؤتمر فرساي بعد الحرب العالمية الثانية وصولاً الى حروب الشرق الأوسط وسياسات الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد وصفقة القرن التي يتم الترويج لها حالياً.**

كما يمكن رؤية التأثير الكبير لماكيندر في النظرة الجيوبوليتيكية للولايات المتحدة الأميركية وحلف شمال الأطلسي بعد حوالي نصف القرن، وهو **الحيلولة دون بناء المعسكر الأوراسي** بشكل أساسي، والحؤول دون التدعيم الجيوبوليتيكي لمنطقة قلب العالم وتوسعها. من هنا يمكن لنا الانطلاق للقول أن مظاهر الايديولوجيا التي كانت من أبرز أوجه الحرب الباردة، كانت تعكس الواقع الجيوبوليتيكي للمناطق المتنازعة وفقاً لنظرية ماكيندر. لذلك يمكن صياغة معادلة لتحويل المصطلحات الجيوبوليتيكية الى المصطلحات الايديولوجية التي كانت مستعملة:[١٦٧]

أ- الهلال الخارجي = الديمقراطية الليبرالية

ب-المحور الجغرافي للتاريخ = التسلطية اللاديمقراطية

ج- الهلال الداخلي = المناطق البينية، منطقة المزاوجة بين النظامين الايديولوجيين

كما يمكن الاشارة الى مجموعة من المحطات في التاريخ الحديث التي تعزز فكرة أهمية قلب العالم ومنع القوة المسيطرة عليه من التحكم بأراضي الاطار أو الهلال الداخلي. **فخلال القرن التاسع عشر، سعى البريطانيون والفرنسيون الى منع روسيا من الوصول الى البحر المتوسط،** وذلك من خلال ابعاد روسيا عن البوسفور والدردانيل، اضافة الى سيطرة الفرنسيين على سيفاستيبول في شبه جزيرة القرم عام ١٨٥٦، ما أدى الى قطع اتصال البر الروسي بمياه المتوسط.

كما أن تحالف بريطانيا مع اليابان تحت مسمى "تحالف القوى البحرية" حصل لارجاع الاسطول الروسي من مياه المحيط الهادئ التي كانت قد وصلت اليه روسيا من خلال التمدد شرقاً عبر سيبيريا عام ١٨٩٨. وبشكل موازٍ، قامت الدول الأوروبية بارجاع روسيا عن بحر البلطيق. ان ما سبق يشكل دليلاً على

---

[١٦٥] عدنان السيد حسين، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، م.س.، ص ٧١

[١٦٦] محمد رياض، م.س.، ص ٦٥

[١٦٧] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٩١

احتساب القوى البحرية لأهمية عدم تمكين القوة البرية من الوصول الى أراضي الاطار أو الهلال الداخلي والاتصال بالممرات المائية الاستراتيجية لما سيكون له من انعكاس مباشر على القدرة للانطلاق نحو السيطرة العالمية.[١٦٨] وهو ما دفع الاتحاد السوفياتي فيما بعد للوصول مجدداً نحو المياه الدافئة بعد الحرب العالمية الثانية، وهو ما سنشير اليه في الفقرات القادمة.

على الرغم من الاختلاف في النظريات وفي الأهمية الجيوبوليتيكية المعطاة لكل من المناطق، إلا أن **جميع نظريات البر تتفق على الاستراتيجيات التوسعية.** فمروراً براتزل وهاوسهوفر اللذين رسّخا فكرة المجال الحيوي، مروراً بماكيندر وسبيكمان وأهمية السيطرة على أوروبا الشرقية وأراضي الإطار، وصولاً الى أفكار الاتحاد وبناء القوة القارية التي نادى بها اليمينيون الجدد والأوراسيون الجدد، يمكن القول أن **الهدف الأساسي يكمن في زيادة السيطرة على أراض تتمتع بمميزات جيوبوليتيكية تمكّن المتحكم بها من فرض سيطرته على المناطق التي تشكل منطلقاً للسيادة العالمية.**

بناء على ما تقدم، يمكن تلخيص ما ورد في الفقرة السابقة بأفكار بعض الجيوبوليتيكيين. فبناء على فكرة المجال الحيوي التي كرسها راتزل وهاوسهوفر، **لا بد للدول أن تنمو على حساب غيرها أو ستواجه خطر التراجع.** أما ماكيندر فتتضح أفكاره في أهمية الجزيرة العالمية من خلال مقولته من يسيطر على أوروبا الشرقية يتحكم بقلب العالم ومن يسيطر على قلب العالم يتحكم بجزيرة العالم ومن يسيطر على جزيرة العالم يتحكم بالعالم. في حين توجه اهتمام سبيكمان الى أراضي الاطار التي تتشابه الى حد كبير مع أراضي الهلال الداخلي لدى ماكيندر، والتي اعتقد سبيكمان أن من يسيطر عليها سيتسنى له التحكم بالعالم. أما اليمينيون الجدد والأوراسيون الجدد، فقد دعوا الى الاتحاد الأوراسي بين أوروبا وروسيا في مواجهة الجيوبوليتيك الأطلسي الساعي الى منع مثل هذا الاتحاد، وابقاء السياسة الخارجية الأوروبية ملحقة بالسياسة الأميركية. من هنا، يمكن القول أن نظريات البر في الجيوبوليتيك كان لها أثر كبير على السياسات الخارجية للدول المؤثرة في مشهد العلاقات الدولية.

---

[١٦٨] ابراهيم شاكر، م.س.، ص ٢٤٠

خلاصة المبحث الثاني

لقد اختلفت النظريات في الجيوبوليتيك باختلاف توجهات اصحابها، وقد شكّل البحر والجو والبر الاطر العامة التي وجّهت هذه النظريات. فانقسمت افكار الباحثين في الجيوبوليتيك بين من اعتبر ان امتلاك القوة البحرية الاقوى كفيل بتحقيق النفوذ العالمي من جهة، ومن أقام نظريته على اساس اولوية القوى الجوية لتحديد القوة العالمية من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة من رأوا أن الأهمية القصوى لبسط السيادة الدولية تحددها قدرة الدولة على تحقيق الامتدادات الجغرافية الواسعة والآماد الحيوية.

وعلى الرغم من ان معظم الجيوبوليتيكيين اشاروا الى أهمية قوى البحر والجو والبر في الصراع العالمي، الا ان تصنيف افكارهم بين الاطر الجيوبوليتيكية (بحر، جو، بر) أتت وفق الاولويات التي وضعوها. فكان الأميركي ماهان أبرز من اولى اهمية مطلقة للقوة البحرية في السعي للسيادة العالمية، حيث رأى أن الولايات المتحدة الأميركية هي المرشحة الوحيدة لفرض النفوذ العالمي خلفاً للامبراطورية البريطانية التي كانت تمثل القوة البحرية العالمية الأقوى. لذلك دعا ماهان الى بناء سياسة أطلسية تقودها الولايات المتحدة، والحاق القرار الأوروبي بها للحؤول دون اتحاد أوروبا وآسيا في قوة برية يمكن لها منافسة القوة البحرية الاقوى على السيادة العالمية. ومن أجل ذلك، دعا ماهان الى تطويق أراضي أوراسيا لمنع القوة البرية الكبرى من الوصول الى المناطق الشاطئية وبناء قوة بحرية تؤهلها للمنافسة على السيادة العالمية.

أما سيفيرسكي فيعد أبرز من صاغ افكاره ضمن اطار نظرية الجو في الجيوبوليتيك. وانطلقت أفكاره من التطور الكبير الذي شهده قطاع الطيران والفضاء، اضافة الى تطور الصواريخ البالستية والعابرة للقارات. فاعتمد على فكرة أن استغلال الانسان للمجال الجوي والفضاء قد ألغى المسافات وأزال الحواجز، وبالتالي فإن امتلاك السيطرة الجوية يعطي القدرة على السيطرة العالمية لامكانية تدمير مقدرات قوة العدو دون الحاجة للهجوم التقليدي. من هنا دعا سيفيرسكي للاهتمام بالقوة الجوية والصاروخية ومقومات الدفاع الجوي، خاصة مع التطور الذي لحق في مجال المدمرات البحرية وحاملات الطائرات التي قللت بشكل كبير من أهمية القواعد الأرضية الثابتة.

اما فكرة الدولة ككائن حي فهي انعكاس للاطار البري لنظريات الجيوبوليتيك، والتي أتت تعبيراً عن أهمية التوسع البري في حياة الدول. وكان راتزل أول من نادى بفكرة المجال الحيوي، معتبراً أن الدولة التي لا تتوسع ستكون معرضة للانهيار والتراجع على حساب غيرها من الدول. ثم كرّس هاوسهوفر فكرة المجال الحيوي، حتى أخذت حيزاً كبيراً من الأهمية فأمست المنطلق الأساسي للعديد من السياسات الخارجية الكبرى التي استندت بشكل واضح على الأفكار الجيوبوليتيكية التوسعية لزيادة قدرتها على التأثير.

أما ماكيندر، فقد وضع نظرية قلب العالم الجيوبوليتيكية، والتي باتت الأشهر ضمن نظريات البر في الجيوبوليتيك. وتمحورت نظريته حول أهمية أوراسيا في السيطرة العالمية، حيث بنى ماكيندر نموذجاً جيوبوليتيكياً

للعالم قسمه الى ثلاثة أقسام هي: قلب العالم، وتشمل أوراسيا بشكل أساسي، والهلال الداخلي وهي الأراضي الشاطئية المحيطة بقلب العالم، والهلال الخارجي وهي المناطق الواقعة خارج الهلال الداخلي. وعلى الرغم من ان ماكيندر عدل على نظريته مرتين، الا ان التعديلات شملت بشكل أساسي حدود المناطق الجيوبوليتيكية دون التعديل على جوهر النظرية ضمن اطار الاهمية البرية للسيطرة العالمية.

وفي سياق مشابه، برزت نظرية الاطار لسبيكمان والتي يمكن القول أنها امتداد لنظرية ماكيندر مع ايلاء أهمية أكبر للمناطق الشاطئية. ففي حين أولى ماكيندر الأهمية الكبرى لمنطقة قلب العالم، اعتبر سبيكمان أن أراضي الاطار، والتي تتشابه كثيراً مع أراضي الهلال الداخلي عند ماكيندر، هي المفتاح الأساسي للسيطرة على العالم.

لقد سلطنا الضوء في المبحث الأول من هذا الفصل على نشأة علم الجغرافيا السياسية وتطوره وانبثاق الجيوبوليتيك عنه وأبرز المحطات التي مر بها هذا العلم منذ نشوئه. ثم انتقلنا في المبحث الثاني لشرح أبرز نظريات الجيوبوليتيك في البر والبحر والجو، مع عرض لأبرز أفكار الباحثين الجيوبوليتيكيين في هذه النظريات. وانطلاقاً من أهمية الاعتبارات الجيوبوليتيكية في رسم السياسات الخارجية للدول، لا سيما الكبرى منها، لا بد من الانتقال الى رصد تبعات النظريات الجيوبوليتيكية على أبرز السياسات الخارجية وأكثرها طموحاً للسعي الى تحقيق السيادة العالمية في العصر الحديث. ولا شك أن السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأميركية من جهة، والاتحاد السوفياتي وروسيا من جهة أخرى، كانت ولا تزال أكبر السياسات الخارجية وأكثرها سعياً للتوسع وفرض التفوذ العالمي. من هنا، لا بد لنا من السؤال عن نجاحات واخفاقات هذه السياسات في تلبية الطموحات الكبرى لهذه الدول. فانطلاقاً من أسس نظريات الجيوبوليتيك، لا سيما البر منها، أين أصابت وأين أخفقت السياسات الخارجية الكبرى في سعيها لتحقيق أهدافها القومية المتمثلة بالسيادة العالمية؟

الفصل الثاني: مستقبل الجيوبوليتيك في ظل التجربتين الروسية والأميركية

بعد الحرب العالمية الثانية استفادت الولايات المتحدة الأميركية من تدخلها في الحرب، ومساهمتها بشكل مباشر في حسم نتيجتها لصالح الحلفاء، لتبرز كقوة عالمية لها نفوذ في أكثر من منطقة. في الوقت عينه، بدأ الاتحاد السوفياتي، حليفها في الحرب العالمية الثانية، بالتمدد والسعي الى زيادة نفوذه العالمي.

بانت الاختلافات بين القوتين العالميتين على أكثر من صعيد. فكانت الولايات المتحدة الأميركية القوة العالمية التي تمثل نموذج الدولة الديمقراطية ذات النظام الاقتصادي الرأسمالي، والقائم على تحقيق مصالح الفرد في المجتمع من أجل تحقيق مصالح المجتمع ككل. في المقابل، برز الاتحاد السوفياتي كقوة عالمية أيضاً، لكن ممثلاً الدولة الشيوعية ذات النظام الاشتراكي القائم على المصالح القومية لا مصالح الفرد. وقد مثلت كل من هاتين القوتين النموذجين القياديين في العالم، ما أدى الى احتدام الصراع بين القطبين ليأخذ طابع الصراع على النفوذ العالمي في ظل انقسام حاد بين معسكرين. ثم تطور هذا الانقسام الى ما عرف بالحرب الباردة.

اشتد الصراع الدولي على النفوذ بين هاتين القوتين، حتى بات العالم منقسماً بين معسكرين اشتراكي محوره ومقرر سياساته الاتحاد السوفياتي، في مواجهة المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية. وقد وجدت الدول نفسها مضطرة الى الدخول في أحد المعسكرين من أجل تأمين حمايتها الدولية وتحقيق مصالحها. إلا أن تأثير القوى الكبرى على هذه الدول لم يكن من منطلق الحفاظ على حقوق الاخيرة، انما من أجل زيادة نفوذ الدولة الكبرى التي سوف تنضم هذه الدولة الى معسكرها، وذلك من خلال الاستفادة من مقدراتها ومكامن قوتها في وجه المعسكر الآخر وزيادة القدرة في الصراع على النفوذ الدولي.

فضم الدول الى أحد المعسكرين هدف الى استغلال مكامن قوتها من قبل الدول الكبرى. فالامكانات التي رأتها الدول الكبرى في الدول التابعة تخطت قدرتها الاقتصادية ومواردها الطبيعية والنفطية، الى بُعد النفوذ السياسي والتبعية الاقتصادية الكاملة والاعتماد العسكري، اضافة الى سبب يعد الأهم في الحرب مع المعسكر الآخر، وهو البُعد الجيوبوليتيكي.

ومع انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي ومعه المعسكر الاشتراكي، برزت الولايات المتحدة الأميركية كقائد وحيد على الساحة الدولية. وبقي القطب الدولي الوحيد يتحكم بالعلاقات الدولية في مسعى لزيادة النفوذ وفرض الهيمنة العالمية المطلقة من جهة، والسيطرة على مفاصل السياسة الدولية من أجل منع أي قوة أخرى من منافستها عالمياً من جهة أخرى. ومن أجل تأمين هذا الهدف عملت الولايات المتحدة الأميركية على مجموعة من الابعاد منها الاقتصادي، العسكري، السياسي، والثقافي.

ان هذه الابعاد التي سعت الولايات المتحدة الى العمل على تأمينها تدخل في خدمة البعد الجيوبوليتيكي. فالهدف الأساسي الذي تحاول القوة العالمية الأولى تحقيقه هو منع أي قوة عالمية من منافستها على الصعيد الدولي. وبالتالي، يكون الهدف من كل الاستراتيجيات الاقتصادية والعسكرية والثقافية والسياسية هو ابقاء السيطرة الأميركية على العالم.

ينظر الجيوبوليتيك الى الدولة ككائن حي ينمو ويكبر والا كان عرضة للتراجع والاندثار. وقد تباينت آراء الجيوبوليتيكيين حول كيفية تحقيق هذا النمو، عبر زيادة النفوذ والتوسع ومنع القوى الأخرى من ذلك، بغرض الوصول الى فرض السيطرة العالمية.

انطلاقاً مما تقدم، سنعمد الى تسليط الضوء على التجربة السوفياتية/الروسية والأميركية في مجال العمل على تحقيق القوة العالمية وفرض النفوذ العالمي انطلاقاً من أسس نظريات البر في الجيوبوليتيك. وبعد ذلك سنقوم بتحديد مكامن القوة والضعف في هذه النظريات، محاولين تفسير ما استطاعت هذه النظرية من تحقيقه من نفوذ عالمي وما فشلت فيه بناءً على التجربتين الآنفتي الذكر. ومن ثم التوصل الى مستقبل الجيوبوليتيك المعاصر وأهم الأدوات التي تستعمل من قبل الدول من أجل تحقيق أهدافها الجيوبوليتيكية.

المبحث الأول: الانتشار الجيوبوليتيكي الروسي والاميركي

لقد اهتم الباحثون في نظريات البر في الجيوبوليتيك بأهمية المناطق القارية في الصراع على النفوذ العالمي والسيطرة العالمية. وقد انطلق هؤلاء من ضرورة السيطرة على منطقة أوراسيا الاستراتيجية، والتي تتيح لمن يتحكم بها القدرة على توسيع السيطرة وفرض الارادة لا على تلك المناطق فحسب، وانما على العالم أجمع. ويعد ماكيندر وسبيكمان من أبرز الباحثين اللذين أشاروا الى أهمية أوراسيا في الصراع على السيادة العالمية.

لخص ماكيندر نظريته التي سبق وتطرقنا اليها في المبحث الأول بمقولة من يحكم أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم، ومن يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم، ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم. وقد تغيرت حدود منطقة قلب العالم لدى ماكيندر مع مرور الزمن، الا أن **الثابت في أفكاره كان تأكيده على أهمية منطقة أوروبا الشرقية، آسيا الشرقية والشرق الأوسط في الصراع بين القوى العالمية.**

أما سبيكمان فقد أتت أفكاره متقاربة لأفكار ماكيندر مع بعض الاختلاف في ترتيب أهمية المناطق، أي أولويات السيطرة. ففي حين أولى ماكيندر الأهمية القصوى لقلب العالم على الهلال الداخلي والهلال الخارجي، رأى سبيكمان أن الاهمية الأولى هي لمنطقة الاطار التي تكاد تتطابق مع الهلال الداخلي لدى ماكيندر. وتختصر نظرية سبيكمان بالآتي: من يسيطر على الإطار يسيطر على الأوراسيا، ومن يسيطر على أوراسيا يقبض على مصير العالم. **وقد أولى سبيكمان أهمية كبرى لمنطقة المتوسط بوجه الخصوص اضافة الى المناطق المتحكمة بالممرات المائية الاستراتيجية التي تطل من خلالها دول منطقة قلب العالم على المياه الدافئة.**

يظهر مما تم التطرق اليه **أن مناطق أوروبا الشرقية، الشرق الأوسط، البحر المتوسط، ، وجنوب وجنوب شرق آسيا هي مناطق استراتيجية في البناء الجيوبوليتيكي، ركيزة النفوذ العالمي، وفقاً لنظريات البر في الجيوبوليتيك**. من هنا، سوف نناقش في هذا المبحث امتداد نفوذ الاتحاد السوفياتي/روسيا والولايات المتحدة الأميركية خلال وبعد الحرب الباردة، في المناطق الاستراتيجية وفق نظريات البر، انطلاقاً من مجموعة الاستراتيجيات التي اعتمدتها القوتان المذكورتان.

بناء عليه، سوف نقسم هذا المبحث الى فقرتين، حيث نتناول في الفقرة الأولى التجربة السوفياتية/الروسية في محاولة توسيع النفوذ على الصعيد العالمي، مبينين مدى توافق انتشار النفوذ السوفياتي/الروسي في مناطق الصراع الجيوبوليتيكي وفقاً لنظريات البر. أما في الفقرة الثانية، فسنتناول تغير النفوذ الأميركي في المناطق الاستراتيجية سعياً للسيطرة العالمية وفقاً للنظريات ذاتها.

الفقرة الأولى: نفوذ الاتحاد السوفياتي/روسيا خلال وبعد الحرب الباردة

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩٠، تراجع تأثير السياسة الخارجية الروسية على السياسة الدولية بشكل ملحوظ. لكن عادت روسيا الى التأثير على الساحة الدولية اعتباراً من العام ٢٠٠٠، بعد تسلم الرئيس بوتين الحكم. وقد اهتمت السياسة الخارجية الروسية وقبلها السوفياتية، بزيادة نفوذها في الشرق الأوسط، آسيا وشرق أوروبا.

و"تدرك روسيا أهمية موقعها الاستراتيجي بوصفها الممثل الوحيد لقلب العالم، وبالتالي فإن الأراضي الأوراسية الأخرى تبدو لها بمثابة أراضي اطار ومناطق امتداد شاطئية"[١٦٩]. ولم يغفل الاتحاد السوفياتي هذه الحقيقة خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، وبعده روسيا، عند رسم السياسات الخارجية والاستراتيجيات. لذلك لا بد من الاشارة الى السياسات السوفياتية وبعدها الروسية في مناطق أوروبا والمتوسط والشرق الأوسط وجنوب وجنوب شرق آسيا، بغية تسليط الضوء على مدى تطابق السياسات الخارجية السوفياتية/الروسية مع السيطرة العالمية وفق نظريات البر في الجيوبوليتيك.

أوّلاً: الانتشار السوفياتي حتى نهاية الحرب الباردة

كرس مؤتمر يالطا، الذي انعقد بعد الحرب العالمية الثانية، النفوذ السوفياتي على أوروبا الشرقية والنفوذ الاميركي على أوروبا الغربية. لكن الصراع على النفوذ العالمي بين القطبين العالميين خلال الحرب الباردة لم ينته. لذلك يمكن رصد السياسات التي اتبعها الاتحاد السوفياتي والتي تدل على الأهمية الجيوبوليتيكية للسيطرة على مناطق أوراسيا.

أوروبياً، أتى رفض الاتحاد السوفياتي لمشروع مارشال* لادراكهم ضرورة ابقاء النفوذ السوفياتي في أوروبا الشرقية في شتى الميادين. فقد اعتبر الاتحاد السوفياتي أنه وضع خططه الاقتصادية وهذا المشروع يتعارض معه، ذلك كونه يُتبع أوروبا بالولايات المتحدة. لذلك، فحين ناقشت تشيكوسلوفاكيا مشروع مارشال الى جانب الدول الليبرالية في أوروبا، لم يبدِ الاتحاد السوفياتي أي تهاون بالموضوع. فسرعان ما "عادت (تشيكوسلوفاكيا) عن موقفها لدى استدعاء قادتها الى موسكو حيث حصلوا على مساعدات تتجاوز ما اقترحته الولايات المتحدة الأميركية."[١٧٠]

---

[١٦٩] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٢٠٧-٢٠٨

* مشروع مارشال: هو مشروع اميركي قام في أيار ١٩٤٧ على تقديم مساعدات اقتصادية للدول الأوروبية وقد اشترطت هذه المساعدات على الدول المستفيدة أن تقدم للولايات المتحدة بياناً بمواردها وامكاناتها الاقتصادية.

[١٧٠] علي صبح، **الصراع الدولي في نصف قرن ١٩٤٥-١٩٩٥**، ط٢، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٥٥

من هنا، وتجنباً لحالات مشابهة، قام الاتحاد السوفياتي بانشاء الكومنفورم[**] في أيلول ١٩٤٧ بعد مؤتمر بولونيا الذي حضره قيادات الأحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية اضافة الى فرنسا وايطاليا من أجل "انشاء هيئة ارتباط خاضعة مباشرة للنفوذ الروسي"[١٧١]، اضافة الى الكوميكون[*] عام ١٩٤٩ الذي كان "موازيا ومكملاً للكومنفورم السياسي الذي استخدم أيضاً لمواجهة خطة مارشال."[١٧٢]

كما عمل الاتحاد السوفياتي من خلال معاهدات الصداقة والتعاون الثنائية التي عقدها مع دول أوروبا الشرقية على دعم الاحزاب الشيوعية في تلك الدول، ذلك لزيادة الارتباط العقائدي والاقتصادي، والأهم السياسي، لتلك الدول بالاتحاد السوفياتي. فقد "اتخذت هذه المعاهدات في المرحلة الأولى طابع العداء لالمانيا... لكنها تحولت أخيراً الى تقوية التعاون الاقتصادي والثقافي والسياسي بين الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية"[١٧٣].

كما سعى الاتحاد السوفياتي الى زيادة نفوذه عسكرياً في أوروبا الشرقية من خلال ايجاد حلف عسكري مشابه ومواجه لحلف شمال الاطلسي، وهو حلف وارسو[**]. فقد كانت **معاهدة الصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة** العنوان الذي جمع الدول الاشتراكية في مقابل حلف شمال الأطلسي في المعسكر الغربي. كما ان تحويل النظام الدفاعي في شرق أوروبا من ثنائي الى جماعي كان **بمثابة اضفاء صفة شرعية لوجود الجيوش السوفياتية على أراضي الدول الاشتراكية الأخرى.** وذلك لأن هذا التنظيم كان يجعل من الصعب على الدول الأعضاء فيه ان تنسحب منه لأن ذلك لا بد وأن يقابل بمقاومة القوة المجتمعة لدى دول الحلف كما حصل في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨.[١٧٤]

وسعى الاتحاد السوفياتي الى تقاسم النفوذ في القارة الأوروبية مع المعسكر الغربي لادراكه أهمية أوروبا جيوبوليتيكيا، حيث شكلت أوروبا الشرقية المجال الحيوي السوفياتي. بدأ العمل على ذلك في مؤتمر يالطا بعد الحرب العالمية الثانية، واستمر مع اقتراح وزير الخارجية السوفياتي فياتشيسلاف مولوتوف[***] لقاءً أوروبياً حول الأمن في القارة الأوروبية عام ١٩٥٤. مروراً بدعوة الرئيس نيكيتا خروتشوف[****] في تشرين الثاني ١٩٥٨ الى ضم برلين لالمانيا الشرقية وتوقيع اتفاقية سلام مع الالمانيتين "جاعلاً من تقسيم المانيا أمراً

[**] الكومنفورم: اختصار لمكتب الاعلام الشيوعي، أسسه الاتحاد السوفياتي لابقاء الاتصال بينه وبين الاحزاب الشيوعية في أوروبا، وبالتالي تنسيق القرارات السياسية بين هذه الدول والاتحاد السوفياتي.

[١٧١] علي صبح، م.س.، ص ٥٦

[*] الكوميكون: مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل " CMEA " ، والذي يسمى أيضا بإسم منظمة التعاون الاقتصادي الدولي، وهي منظمة أنشئت عام ١٩٤٩ لتسهيل وتنسيق التنمية الاقتصادية لدول أوروبا الشرقية التي تنتمي إلى الكتلة السوفياتية.

[١٧٢] ابراهيم العريس، **"ذاكرة القرن العشرين-٢٨ حزيران يونيو ١٩٩١: نهاية "الكوميكون" بعد ٤٢ عاماً من تأسيسها"**، موقع جريدة الحياة، ٢٨ حزيران ١٩٩٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٥ ٦ ٢٠١٩

http://www.alhayat.com/article/1006464

[١٧٣] علي صبح، م.س.، ص ١١٥

[**] حلف وارسو: حلف دفاعي بقيادة الاتحاد السوفياتي وضم الاتّحاد السوفيتي، وبُلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبولندا، ورومانيا، وألبانيا التي انسحبت عام ١٩٦٨، وألمانيا الشرقيّة التي انسحبت عام ١٩٩٠، وحل الحلف بعد انتهاء الحرب الباردة في عام ١٩٩١.

[١٧٤] علي صبح، م.س.، ص ١١٩-١٢٠

[***] فياتشيسلاف ميخائيلوفيتش مولوتوف (١٨٩٠-١٩٨٦): سياسي ودبلوماسي سوفياتي، عُيّن وزيراً للخارجية عام ١٩٣٩.

[****] نيكيتا خروتشوف (١٨٩٤-١٩٧١): سياسي سوفياتي، رئيس الاتحاد السوفياتي بين اعوام ١٩٥٥-١٩٦٤.

نهائياً".[١٧٥] وصولاً، وبعد سلسلة مؤتمرات متتالية، الى معاهدة هلسنكي[*****] عام ١٩٧٥ التي شكلت "اقراراً رسمياً ودولياً بشرعية الوضع السياسي والجغرافي القائم في أوروبا والذي لم يعترف به الغرب حتى تاريخ اصدار الوثيقة... زد على ذلك أنه للمرة الأولى يعترف المعسكر الغربي بشرعية سيطرة الاتحاد السوفياتي على القسم الشرقي لأوروبا."[١٧٦]

وعلى أثر توازن الرعب القائم بين المعسكرين في تلك الفترة نتيجة السلاح النووي والصواريخ العابرة للقارات، وانقسام أوروبا عسكرياً بين حلف الاطلسي وحلف وارسو، وارتباط الدول الأوروبية بالشرق (السوفيات) عبر النظم الشيوعية أو بالغرب عبر النظم الديمقراطية، بدا أن السوفيات قد وصلوا الى تكريس مرجعيتهم فيما يتعلق بأوروبا الشرقية. فعندما تدخلت القوات السوفياتية في هنغاريا (المجر) عام ١٩٥٦ لوقف الإضطرابات فيها، وبعد الاجتياح السوفياتي للأراضي التشيكية عام ١٩٦٧ لفرض الأمن هناك، "لم تتعد ردود الأفعال الدولية على الاجتياح السوفياتي التنديد والرفض فبدا أن مسألة حفظ القرار داخل المنظومة الاشتراكية هي بيد الاتحاد السوفياتي وحده."[١٧٧]

على صعيد الشرق الأوسط، الذي تعود أهميته الجيوبوليتيكية من موقعه المتوسط للعالم القديم والمتحكم بحركة الملاحة البحرية والبرية والجوية، اضافة الى احتوائه على مناطق الاطار الداخلي المحيطة بمنطقة قلب العالم. يظهر التحالف الروسي الايراني، والنفوذ الروسي في أفغانستان والعالم العربي كضرورة جيوبوليتيكية لخلق القوة الأوراسية القادرة على لعب دور أساسي في السياسة الدولية كما سبق وشرحنا في الفصل الأول.

فقد عمل الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية على ارساء نفوذ له فيها، فأقام علاقات مع الجمهورية الشعبية الكردية في مهاباد وجمهورية اذربيجان المستقلة لاضعاف النفوذ البريطاني الغربي في ايران. وبعد الشكاوى الايرانية لدى مجلس الأمن، قرر الاتحاد السوفياتي الانسحاب، لكن مقابل اتفاقية لانشاء شركة بترول ايرانية سوفياتية عام ١٩٤٦، والتي كانت ستفتح مجالاً للنفوذ السوفياتي عبر المصالح النفطية المشتركة مع ايران. الا أن هذه الاتفاقية لم يصادق عليها البرلمان الايراني المنتخب عام ١٩٤٧، ذو الأكثرية المتجهة نحو العلاقات مع الغرب على حساب العلاقات مع الاتحاد السوفياتي. وبقيت ايران في المعسكر الغربي حتى نجاح الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩.

أما في افغانستان، فقد وقع الاتحاد السوفياتي عام ١٩٧٨ اتفاقية صداقة وتعاون معها بعد نجاح الانقلاب الشيوعي. وبعد ازدياد الخلافات في الداخل الأفغاني الذي هدد بسقوط النظام، تدخل الاتحاد السوفياتي

---

[١٧٥] علي صبح، م.س.، ص ١٥٨

[*****] معاهدة هلسنكي: معاهدة بين ٣٥ دولة اوروبية اضافة الى الولايات المتحدة وكندا، جاءت نتيجة تقارب أميركي سوفياتي، وتمحورت حول تخفيف النزاعات في اوروبا.

[١٧٦] علي صبح، م.س.، ص ١٧٧

[١٧٧] م.ن.، ص ١٧٣

بناء على طلب الحكومة الأفغانية انطلاقاً من هذه المعاهدة من أجل حماية النظام الشيوعي. وعلى الرغم من أن هذا التدخل قد "أثر سلباً على مقدرة موسكو في التحرك بعد اجتياح افغانستان"[١٧٨]، الا أن خسارتها من المعسكر السوفياتي كان سيكون لها اثر كبير لموقعها الحيوي كامتداد لروسيا، مما يجعلها ذات أهمية جيوبوليتيكية كبرى في مشروع النفوذ الروسي.

عربياً، "اشار الاستراتيجيون الأميركيون الى ان الوجود السوفياتي في المنطقة سوف تكون له نتائج خطرة أبرزها تطويق حلف شمال الاطلسي، الامر الذي سوف يحدث تغييراً حاسماً في التوازن الدولي."[١٧٩] وقد رأى الاتحاد السوفياتي أن حلف بغداد* قام على تهديد المصالح الحيوية للاتحاد السوفياتي، لذلك عمل على توسيع نفوذه في الشرق الأوسط لمواجهة الغرب.

فاستفاد الاتحاد السوفياتي من بحث مصر عن ممول للسد العالي بعد تراجع الغرب عن ذلك، وقام بتمويله عام ١٩٥٥. كما انه بعد اشتداد "الصراع العربي الاسرائيلي أصبح الاتحاد السوفياتي مصدر السلاح الأساسي للجيوش العربية. وهكذا تعززت مواقعه في المنطقة فتوّجها بمجموعة من اتفاقيات الصداقة والتعاون مع مصر، والعراق، اليمن الجنوبية، وسوريا وليبيا والجزائر... شكل نجاح السياسة السوفياتية ضربة قوية لسياسة الأحلاف الأميركية خاصة حلف المعاهدة المركزية (حلف بغداد)... بهذا العدد من الدول والمواقع التي تمثلها بدا الشرق الأوسط وكأنه يكاد يقع في قبضة الاتحاد السوفياتي أو ربما على الاقل فهو يمسك بمفاصله الأساسية."[١٨٠]

كما أنه وبعد أزمة السويس ظهرت قدرة الاتحاد السوفياتي على فرض الحلول والتدخل المباشر كقوة مقررة في المنطقة، وبرز الاتحاد السوفياتي "كقوة دينامية لها وزنها في تقرير مجريات سياسات الشرق الأوسط، وكعنصر رئيسي من عناصر التوازن الاستراتيجي على المستوى العالمي."[١٨١]

آسيوياً، كان للاهتمام السوفياتي بالصين كحليف أساسي، بُعد جيوبوليتيكي كبير في تحقيق الاتحاد الأوراسي القادر على المنافسة على النفوذ العالمي. من هنا نرى أن الاتحاد السوفياتي قد أصر على وضع الاراضي الصينية التي كانت تحتلها اليابان تحت سيطرة السوفيات بعد الحرب العالمية الثانية. ثم دارت مفاوضات مباشرة بين موسكو وبكين أدت الى توقيع عدة اتفاقيات أهمها الخط الحديدي الذي يصل منشوريا ببور آرثر وتشرف عليه شركة صينية سوفياتية، واتفاق جعل بور آرثر قاعدة بحرية للصين والروس، واتفاق يتعلق بمرفأ دايرن الذي يعد مفتوحاً للتجارة العالمية ويديره الاتحاد السوفياتي.

---

[١٧٨] م.ن.، ص ١٩٩

[١٧٩] محمد مراد، **السياسة الأميركية تجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي**، ط١، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٥٦

* حلف بغداد او حلف المعاهدة المركزية: حلف دفاعي خلال الحرب الباردة أقيم عام ١٩٥٥ بتوجيه من الولايات المتحدة بوجه التمدد الشيوعي في الشرق الاوسط، وتم حله نهائياً عام ١٩٧٩. ضم الحلف كل من العراق، بريطانيا، تركيا، ايران، وباكستان ولاحقاً الولايات المتحدة الأميركية.

[١٨٠] علي صبح، م.س.، ص ١٩٠

[١٨١] كمال حماد، **ادارة الأزمات الدولية من الأزمة الكوبية الى الأزمة الجورجية**، ل.ن.، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٩

ثم بعد اعلان ماوتسي تونغ(١٨٩٣-١٩٧٦)** عن قيام جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩، والذي كان للاتحاد السوفياتي الدور الكبير فيه من خلال الدعم للحزب الشيوعي بالسلاح الياباني المصادر من الحرب والخبراء، زار ماوتسي تونغ موسكو حيث تم "التوقيع على **معاهدة الصداقة والتحالف والمساعدة المتبادلة** في ١١ نيسان ١٩٥٠... هدف الاتحاد السوفياتي من ذلك توسيع قاعدة النفوذ الشيوعي في العالم... وقد نصت هذه المعاهدة على أنه على كل من الدولتين تقديم كل المعونة اللازمة لحليفتها سواء أكانت هذه المساعدة عسكرية أو غير عسكرية."[١٨٢] وبموجب المادة الثالثة من هذه الاتفاقية، "التزم الطرفان عدم الدخول في أي تحالف موجه ضد الآخر."[١٨٣]

واستطاع الاتحاد السوفياتي أن يعوض خسارته الحليف الصيني بعد تأزم العلاقات في السبعينات، من خلال تمتين العلاقة مع الهند، التي تشكل دولة آسيوية مهمة كونها الأكبر بعد الصين. فتم توقيع اتفاقية صداقة وتعاون عام ١٩٧٩، خاصة بعد "دعم الاتحاد السوفياتي للهند في حربها ضد الباكستان والصين."[١٨٤]

وقد شكلت كوريا الشمالية بنظامها الشيوعي التابع للاتحاد السوفياتي، وموقعها الاستراتيجي كمنطقة تلامس المجال الحيوي السوفياتي، أحد أركان الاستراتيجية الجيوبوليتيكية السوفياتية لفصل الامتداد الأميركي في آسيا، اضافة الى توسيع النفوذ السوفياتي فيها. وهذه الاهمية تبرر وصول الأمور الى التدخل العسكري المباشر من قبل الاتحاد السوفياتي والصين من جهة، والولايات المتحدة الأميركية من جهة ثانية، أثناء الأزمة الكورية عام ١٩٥٠.

على صعيد آخر، قدم الاتحاد السوفياتي الدعم العسكري والاقتصادي للثورة الكوبية عام ١٩٥٩، وأقام علاقات دبلوماسية معها. ثم دفع النظام الجديد الى اجراءات ضد المصالح الأميركية في كوبا من مصادرة وتأميم. كما استفاد الاتحاد السوفياتي من الثورة الساندينية في نيكاراغوا عام ١٩٧٩ ضد النظام المقرب من واشنطن، ما أدى الى أن زاد النظام الجديد ارتباطه بكوبا والاتحاد السوفياتي. هكذا ضمن الاتحاد السوفياتي استمرارية وجود النظم الشيوعية على أراضي القارة الأميركية.

وفي سياق آخر، فان جوهر الاتفاق الذي تم التوصل اليه عقب أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢، "قضى بعدم تعرض الولايات المتحدة الأميركية لشؤون كوبا الداخلية **وسحبها للصواريخ النووية من الأراضي التركية المتاخمة للاتحاد السوفياتي** ...مقابل **سحب الصواريخ السوفياتية المتطورة من الأراضي الكوبية...**

** ماو تسي تونغ Mao Zedong (١٨٩٣-١٩٧٦): زعيم الحزب الشيوعي الصيني منذ عام ١٩٣٥ ومؤسس ورئيس جمهورية الصين الشعبية منذ العام ١٩٤٩ حتى العام ١٩٧٦.

١٨٢ علي صبح، م.س.، ص ١٢٦،١٢٧

183 **Conclusion of the "Sino-Soviet Treaty of Friendship, Alliance and Mutual Assistance", site of ministry of foreign affairs of PRC, 1998, site visited on September 16 2018**
https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/ziliao_665539/3602_665543/3604_665547/t18011.shtml

١٨٤ علي صبح، م.س.، ص ١٩١

(ثم اعلنت موسكو) عن نصب صواريخ متحركة يبلغ مداها ٥٠٠٠ كلم مجهزة بثلاثة رؤوس نووية (SS20) ابتداء من العام ١٩٧٧ على أراضيها **الاسيوية والأوروبية.**"[١٨٥] وقد بقيت هذه الصواريخ السوفياتية والصواريخ التي نصبتها الولايات المتحدة رداً عليها، حتى عام ١٩٨٧.

ان استعادة التوازن الذي حققه الاتحاد السوفياتي عند امتلاك السلاح النووي عام ١٩٤٩، واستخدام الاقمار الاصطناعية لحمل الرؤوس النووية في السبعينات، أدى الى تهديد كافة الأراضي الأميركية وتقليص دور المحيطات كعامل جغرافي كان يحمي أميركا، لكنه لم يلغ الأهمية الجيوبوليتيكية من الحسابات الاستراتيجية. قد يعود ذلك لعدم حصر القوة في مجال الاسلحة الاستراتيجية والمتطورة وابقاء عناصر القوة التقليدية فعالة، مثل الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى أو امكانية الهجوم العسكري. وهذا ما أكدته أزمات الصواريخ المتتالية وأزمة برلين، اضافة الى السعي الدائم الى كسر تمدد النفوذ والسيطرة على المناطق التي يمكن أن تشكل تهديداً مباشراً للآخر.

لذلك يمكن لنا القول أن **الأهمية الجيوبوليتيكية للأرض لم تنتفِ مع نهاية الحرب الباردة**. فحتى مع امتلاك الأسلحة الاستراتيجية والطويلة المدى، لم يتم الاعلان عن هزيمة السوفيات في الحرب الباردة في قمة مالطا عام ١٩٨٩ بين بوش وغورباتشوف، الا بعد اعلان غورباتشوف عام ١٩٨٨ من طرف واحد، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، عن تخفيض القوات المسلحة السوفياتية من أوروبا الشرقية، وبعد قمة بوخارست* في تموز ١٩٨٩ التي عُدّت بداية انهيار المعسكر الشرقي، أي بعد انكفاء النفوذ السوفياتي المباشر على المناطق المتنازع عليها، وانهيار جدار برلين الذي كان يعد رمزاً للنفوذ الذي فرضه الاتحاد السوفياتي.

بناء على ما تقدم، نرى أن سياسات الاتحاد السوفياتي ركزت على ثلاثة محاور. الأول الاهتمام بتقاسم النفوذ الأوروبي وربط أوروبا الشرقية بالمعسكر الشرقي لمنع امتداد النفوذ الأميركي اليها. والثاني ايلاء أهمية لزيادة النفوذ في الشرق الأوسط والمنطقة العربية عبر الاستفادة من أي فراغ سياسي أو اقتصادي كما حصل في مصر وايران والعراق. أما الثالث ايجاد حليف آسيوي قوي يزيد من القوة الجيوبوليتيكية السوفياتية وهو الحال في التحالف مع الصين، وبعد التباين معها على خلفية الحرب الباكستانية العلاقات مع الهند، اضافة الى التشبث بكوريا الشمالية كنقطة ايقاف لتمدد النفوذ الأميركي الى مناطق النفوذ السوفياتي.

وعليه يظهر أن **السياسات السوفياتية خلال الحرب الباردة هدفت الى تحقيق قوة أوراسية تتحكم بالمفاصل الجيوبوليتيكية لأوراسيا، ومنع النفوذ الأميركي من التمدد الى تلك المناطق.** لكن الانهيار الاقتصادي الذي ساهمت فيه الاعباء الكبيرة للقوات السوفياتية في افغانستان، حرب النجوم وسباق التسلح الذي

---

[١٨٥] م.ن.، ص ١٦٢-١٩٥

* قمة بوخرست بين دول حلف وارسو حيث أكد الزعيم السوفياتي على حرية كل طرف في اختيار ما يشاء في ادارة شؤونه، وبهذا تعتبر القمة بداية نهاية حلف وارسو وتكتل دول أوروبا الشرقية.

لم يستطع السوفيات من مجاراته، اضافة الى طول مدة سياسة البيروسيتروبكا** أو اعادة الهيكلة في الداخل السوفياتي على حساب النفوذ السوفياتي في العالم، والذي دفع بغورباتشوف لتقديم التنازلات للمعسكر الغربي، أدى الى انهيار الاتحاد السوفياتي وتقلص نفوذه العالمي وامتداد النفوذ الأميركي في مناطق الفراغ السياسي والاقتصادي التي خلفها خاصة في بلدان أوروبا الشرقية والشرق الأوسط.

ثانياً: الملامح العامة للسياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة

لم يكن انهيار الاتحاد السوفياتي ودخول العالم في عصر القطب الواحد كفيل بضمان السيطرة الاميركية على النفوذ العالمي للابد. فمنذ انتهاء الحرب الباردة لم تتوقف سياسات بعض الدول عن محاولات كسر التحكم الاميركي الاحادي في مفاصل العلاقات الدولية، ولعل ابرزها روسيا والصين. من هنا، حاولت، ولا تزال تحاول، روسيا الاتحادية، بوصفها الوريث السياسي للاتحاد السوفياتي، ايجاد دور لها على الصعيد الدولي.

ان احتلال افغانستان والهيمنة على بعض دول اوروبا الشرقية وضمها الى حلف الناتو، والثورات البرتقالية اضافة الى احتلال العراق، وصولاً الى ما عرف بالربيع العربي والحرب على سوريا، دفعت روسيا للعودة الى ساحة التأثير الدولي من خلال القوة العسكرية كما حصل في جورجيا واوكرانيا وسوريا، أو القوة الاقتصادية والغاز كما هو الحال مع أوروبا. وذلك لمواجهة امتداد النفوذ الاميركي بعد الحرب الباردة الى مناطق النفوذ السوفياتية سابقاً.

بعد الحرب الباردة برز التوجه الغربي في السياسة الخارجية الروسية التي قادها وزير الخارجية اندريه كوزيريف، ومثّلها الرئيس يلتسن. وقام هذا التوجه على اعتبار أن الازمة الاقتصادية الكبيرة التي تعاني منها روسيا، تدفعها الى التعاون مع الغرب والغاء جميع اشكال الاختلاف والحروب العقائدية والايديولوجية. وعبرها الوصول الى "الاعتراف بأن روسيا الاتحادية هي إحدى الدول الكبرى في النظام العالمي الجديد ولكنها ليست أحد أقطابه، وعليها أن تتبع سياسة جديدة تتفق مع الواقع الجديد."[١٨٦]

لكن هذه السياسة لم تنجح في اعادة روسيا الى موقعها كدولة كبرى على الصعيد الدولي، بل ساهمت في زيادة مشاكلها الاقتصادية وعزلتها السياسية. ثم برز في اواسط التسعينيات من القرن الماضي اتجاه يرى أن روسيا هي دولة آسيوية أوروبية وعليها أن تتصرف على هذا الاساس. ويتشابه انصار هذا الاتجاه مع سافيتسكي الذي رأى أن روسيا "تمثل تكويناً حضارياً مميزاً تحدده خاصية التوسط... لا كدولة قومية بل كنمط

** البيروستروبكا: برنامج للاصلاحات الاقتصادية قام به رئيس الاتحاد السوفياتي غورباتشوف.

[١٨٦] فادي خليل، **"السياسة الخارجية الروسية في الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة"**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية-سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد ٣٧، ع١، سوريا، ٢٠١٥، ص ١٢٠

خاص من الحضارة التي تشكلت على اساس من عدة مكونات مثل الثقافة الآرية، السلافية، بدوية الترك والتقاليد الارثوذوكسية."[١٨٧]

وقد كان وزير خارجية روسيا السابق يفكيني بريماكوف(١٩٢٩-٢٠١٥)* ابرز الممثلين لهذا الاتجاه، حيث دعا الى عودة اهتمام روسيا بالقضايا العالمية ولاسيما من بوابة الشرق الاوسط، اضافة الى قيام تحالف اوراسي كخطة استراتيجية في مواجهة القوة الغربية وصولاً الى عالم متعدد الاقطاب. وقد اضافت افكار القوميون الروس من زخم السياسة الخارجية الجديدة حيث دعت إلى "إعادة السيطرة على جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق... والوقوف مع إقامة سلطة مركزية في روسيا تؤدي دور القوة العظمى، وتواجه الولايات المتحدة، والوقوف مع إيران والعراق."[١٨٨]

بناء على ما تقدم، **يمكن تقسيم السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة الى مرحلتين. الاولى منذ استلام يلتسين الحكم عام ١٩٩١ وحتى العالم ٢٠٠٠، والثانية مع استلام بوتين الحكم عام ٢٠٠٠ وحتى اليوم.** ففي المرحلة الاولى كانت السياسة العامة لروسيا تدعو للانخراط في النظام العالمي الجديد ومهادنة الولايات المتحدة على الصعيد الدولي بغية الحفاظ على المصالح الخارجية والقيام بالاقتصاد الروسي على الصعيد الداخلي. أما المرحلة الثانية، التي تزامنت مع انطلاق الحرب على الارهاب بعد احداث ايلول ٢٠٠١، ثم احتلال افغانستان وغزو العراق ثم سقوط ليبيا وبعدها ما سمي بالربيع العربي، والتي دفعت بالسياسة الخارجية الروسية للعودة بقوة على الساحة العالمية لاعادة قدرتها على التأثير في الازمات الدولية.

ان المقومات التي استندت عليها **السياسة الخارجية الروسية قامت على ثلاثة أسس. الاول تمثل بالحفاظ على المصالح الاقتصادية الخارجية على رأسها مجال الطاقة والسوق الاوروبي. الاساس الثاني كان اعادة النفوذ الروسي الى المجال الحيوي المتمثل برابطة الدول المستقلة. أما الثالث فهو تقوية التحالفات العسكرية والمنافذ البحرية التي تتيح للاسطول الروسي، الحربي والتجاري، حرية الوصول الى الطرق البحرية للتجارة الدولية.**

على ضوء ما تقدم، ومن خلال تحليل مقومات السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة، نجد أن الاهتمام الروسي تركز في أوروبا الشرقية، الشرق الاوسط والبحر المتوسط. وقد تجلى هذا الاهتمام في التدخل الروسي في عدد من الازمات الدولية في هذه المناطق، والتي وصلت الى حد التدخل العسكري المباشر. لذلك لا بد من تسليط الضوء على السياسة الروسية فيها من خلال ابراز الدور الروسي واهدافه من التدخل في مجموعة من الازمات التي اخذت طابعاً دولياً محدداً للاستراتيجيات الدولية الكبرى.

---

[١٨٧] م.ن.، ص ١٢١

* يفكيني بريماكوف (١٩٢٩-٢٠١٥): دبلوماسي وسياسي روسي شغل منصب وزير خارجية بين عامي ١٩٩٦-١٩٩٨ ثم رئيس وزراء بين عامي ١٩٩٨-١٩٩٩.

[١٨٨] فادي خليل ، م.س.، ص ١٢٢

ثالثاً: المصالح الروسية في اوروبا الشرقية

تعد المنافذ البحرية الروسية بعد خسارتها دول البلطيق محدودة نظراً لأنها محاطة بالمحيط المتجمد الشمالي شمالاً، وعدم امكانية استعماله للملاحة في كثير من الأحيان لتجمد مياهه، اضافة الى اتصال البلطيق بالبحار المفتوحة بمضائق غير عميقة. أما طريقها الى المياه الدافئة والأطلسي فهو يمر عبر أوروبا وتركيا. وبالتالي تصبح أوروبا وخاصة الشرقية، حاجة جيوبوليتيكية روسية لضمان حرية الملاحة البحرية والوصول الى المياه الدافئة للاسطول التجاري والعسكري الروسي.

ولا تقتصر اهمية اوروبا الجيوبوليتيكية لروسيا على المنافذ البحرية، فقد اشار التعديل على وثيقة الامن القومي الروسي عام ٢٠١٥[*]، على "أهمية شرقي أوروبا بالنسبة للامن القومي الروسي من ارتباطه بخطوط امدادات الغاز الطبيعي الى اوروبا"[١٨٩]، والذي يعد الاساس الذي يقوم عليه الاقتصاد الروسي، خاصة بعد انخفاض اسعار النفط في تلك الفترة، والعقوبات الغربية على الاقتصاد الروسي نتيجة الازمة الاوكرانية. وهذا ما ينقلنا الى الاهمية الكبرى التي توليها السياسة الروسية لخطوط نقل الغاز الى اوروبا. من هنا يمكن تسليط الضوء على الاهداف الجيوبوليتيكية في اوروبا التي تسعى روسيا الى تأمينها من خلال تحليل ادارة روسيا لازمتي جورجيا واوكرانيا.

أ- الازمة الجورجية:

تمتعت اوسيتيا وابخازيا بالحكم الذاتي منذ ايام الاتحاد السوفياتي، ولم تخف روسيا رغبتها في اعادتهما للاتحاد الروسي. بل عملت على أكثر من صعيد لتحقيق هذا الامر؛ فقد زادت عديد قوات حفظ السلم الروسية الموجودة في اوسيتيا، وعملت على دعم الداعين الى الانضمام لروسيا، اضافة الى توزيع جوازات السفر الروسية على الروس في تلك المنطقة، بالتزامن مع تعهد روسيا بحماية حاملي جوازها من أي خطر جورجي.

في العام ٢٠٠٧، دعمت روسيا استفتاء في اوسيتيا الجنوبية حول الرغبة في الانفصال عن جورجيا والانضمام للاتحاد الروسي. ثم تزامنت هذه الاحداث مع تعهد جورجيا لضم اوسيتيا وابخازيا اليها بالقوة بدعم أميركي من أجل توفير شرط عدم اعتراض اي طرف من الاطراف الداخلية على الانضمام لحلف الناتو. ولم تتدخل روسيا عسكرياً بشكل مباشر الا بعد هجوم جورجيا على اوسيتيا الجنوبية مما هدد بزيادة احتمال

---

[*] في ٢٠١٥/١٢/٣١ صدر التعديل على وثيقة الامن القومي الروسي المقررة عام ٢٠٠٩ والتي كان من المقرر العمل بها حاى العام ٢٠٢٠، والتي عملت على اعادة روسيا الى التأثير الفعال في الساحة الدولية. وقد تضمنت هذه الوثيقة نقاط أساسية تحرك السياسة الخارجية الروسية اتجاه اتخاذ مسارات أكثر فعالية للحفاظ على القدرة الروسية في التأثير خاصة بما يتعلق بأوروبا والشرق الاوسط.

[١٨٩] جورج الخوري، **"السياسة الخارجية الجديدة لروسيا وتأثيرها على دول الشرق الأوسط ولبنان"**، الدفاع الوطني اللبناني، ع ١٠٥، اليرزة، تموز ٢٠١٨، ص ١٣

الانضمام للناتو، وما يترتب عليه من تهديد للامن القومي الروسي. ثم وقعت روسيا في ايار ٢٠٠٩ مع كل من ابخازيا واوسيتيا الجنوبية اتفاقية امنية لحماية الحدود.

ب-الازمة الاوكرانية:

دخلت اوكرانيا محور النزاع بين روسيا والغرب منذ الثورة البرتقالية عام ٢٠٠٤، حيث استلم السلطة موالون للغرب والانضمام للاتحاد الاوروبي، وتولت القوى الموالية لروسيا المعارضة. في انتخابات عام ٢٠١٠، استطاع يانوكوفيتش (المقرب من روسيا) الوصول الى الرئاسة، وانتقل الفريق الاخر للمعارضة. الا أنه في العام ٢٠١٣ اندلعت احتجاجات على تعليق المفاوضات بشأن اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الاوروبي، حيث "اعتبرت المعارضة هذا القرار تخلياً عن نهج التكامل الاوروبي."[١٩٠] ثم تطورت الاحتجاجات ولم تتوان الحكومة عن محاولة اسكاتها بالقوة دون النجاح بذلك.

حاولت روسيا تفادي تمادي الازمة من خلال الدعم الاقتصادي لاوكرانيا، وبمبالغ أكبر من تلك العائدة اليها اثر الانضمام للاتحاد الاوروبي، لكن ذلك لم يحل دون قيام البرلمان بازاحة الرئيس. عندها "قامت (روسيا) بضم جزيرة القرم لحماية قواعدها اولاً، وأفصحت عن عدم اعترافها بالحكومة الجديدة، وشجعت الأقليات على التمرد على السلطة في اوكرانيا، فضمنت لها وجوداً عسكرياً في جزيرة القرم."[١٩١] حيث كانت اوكرانيا قد وقعت مع روسيا اتفاقاً لادارة الموانئ الحربية في الاخيرة عام ١٩٩٧، ولم تقبل الاخيرة سحب القطع الروسية منها حتى تاريخ ضم القرم لروسيا. ثم فرضت روسيا استفتاء لضم القرم لها وجاءت نتيجته أن انضمت فعلاً. عندها ادخلت روسيا قوات عسكرية اضافية لدعم قواتها التي كانت موجودة في سيفستبول، واعتمدت على ميليشيات محلية موالية في الوقت عينه.

ان دوافع روسيا في الازمتين الجورجية والاوكرانية، والنتائج التي حققتها، تعطي فكرة واضحة عن الثوابت والمرتكزات الجيوبوليتيكية التي تنطلق منها السياسة الخارجية الروسية تجاه اوروبا في القرن الحادي والعشرين، كما تُبرز الاهمية الجيوبوليتيكية لهذه المنطقة. فقد أرسى هذا التدخل مجموعة من القواعد التي لا يمكن لروسيا أن تتساهل معها، بل تسعى لتعزيزها بغية اعادة دورها على الصعيد العالمي. حيث استطاعت من خلال ادارتها للازمتين من حماية مصالحها الاستراتيجية، والتي يمكن تصنيفها وفق خانات ثلاثة: اقتصادية، عسكرية وسياسية.

اقتصادياً، أدركت روسيا أهمية وضعها المتقدم على مستوى الغاز، فهي "تهيمن على ٦٧٪ من انتاج الغاز في العالم، وهي تعد المورد الأول لهذه المادة للصين وأوروبا."[١٩٢] كما تعتمد أوروبا بشكل أساسي على

---

[١٩٠] نظير محمود أمين، **"التداعيات الاقليمية والدولية لازمة القرم بين شواهد التاريخ وجدال النازع الروسي - الامريكي على مناطق النفوذ"**، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، المجلد ٣، الاصدار ١٠، كركوك، ٢٠١٤، ص ٣٣٦

[١٩١] م.ن.، ص ٣٤١

[١٩٢] جورج الخوري، م.س.، ص ١٠

الغاز الروسي. وقد أدركت روسيا هذه الحقيقة وعملت منذ العام ٢٠٠١ على توسيع اتفاقات الغاز مع أوروبا. فقد كان زيادة اعتماد أوروبا على الغاز الروسي وسيطرة روسيا على هذا الامداد هو الطريق لكسر الهيمنة المطلقة للولايات المتحدة على أوروبا الغربية وبالتالي أصبحت قضية أمن قومي روسي وضرورة جيوبوليتيكية لها. فقد "وصلت حصة غازبروم في سوق الاستهلاك الأوروبية الى الثلث عام ٢٠١٥."[١٩٣] وهو ما يتماشى مع النهج الذي قدمته روسيا لأمن الطاقة في لقاء الثماني الكبار في سان بطرسبورغ عام ٢٠٠٦ والقائم على الاعتماد المتبادل بين موردي الغاز ومستهلكيه، انطلاقاً من حاجة أوروبا للغاز الروسي، واعتماد الاقتصاد الروسي على هذا الغاز.

وعملت روسيا على انشاء خطوط نقل الغاز من روسيا لاوروبا أبرزها السيل الشماليNorth Stream الذي يتجه عبر بحر البلطيق نحو ألمانيا، وبواسطته تتمكّن روسيا من نقل غازها إلى كل من الدنمارك وهولندا وبلجيكا. وخط "السيل الجنوبي South Stream لنقل الغاز إلى جنوب أوروبا ووسطها عبر البحر الأسود وبلغاريا. كما أن "ثلث الى نصف امدادات الغاز الروسي المخصص للسوق الأوروبية يمر في الأراضي الأوكرانية، في حين كانت بقية الكميات تنقل عبر روسيا البيضاء وبحر البلطيق والبحر الأسود."[١٩٤]

ان "تعرض القسم التركي من خط باكو–تبليسي–جيهان النفطي لهجوم مجهول المصدر... قبل عدّة أيام من الأزمة الروسية–الجورجية... (اضافة الى توقف) الإمدادات النفطية البحرية الجورجية على البحر الأسود، نتيجة للحصار البحري الذي فرضه الأسطول الروسي على المرافئ الجورجية"[195] خلال الهجوم الروسي على جورجيا، يسلط الضوء على المصالح الاقتصادية الروسية في ازمتي اوكرانيا وجورجيا. وذلك انطلاقاً من اهمية حفاظها على تواجدها، او على الاقل نفوذ لها، على بحري قزوين والاسود، واتصالها الدائم باوروبا. فاعتماد الاقتصاد الروسي على مبيعات الغاز، يحتم على روسيا توسيع نفوذها في المناطق التي تضمن استمرار وصول هذا الغاز الى مستهلكيه، اضافة الى امكانية تعطيل اي محاولة لايجاد خطوط امداد بديلة عن الغاز الروسي عبر هذه المناطق.

وفي هذا السياق، اعتبرت روسيا أن مشروع نابوكو الغربي (سنتناوله في الفقرة القادمة)، الذي يربط الغاز من آسيا الوسطى عبر بحر قزوين ثم اذربيجان فتركيا ليصل الى النمسا بعيداً عن روسيا، أتى لضرب خط السيل الجنوبي. لذلك لم تتوان الادارة الروسية في مواجهته من خلال مجموعة من الخطوات الواضحة. فعمدت الى "إثارة الصفة القانونية للمسطّح المائي لقزوين، وتبنّيه تعريفًا مفاده أنّه بحيرة وليس بحرًا وبالتالي

---

١٩٣ كمال ديب، **لعنة قايين حروب الغاز من روسيا وقطر الى سورية ولبنان**، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٨، ص ١٥٨

١٩٤ كمال ديب، م.س.، ص ١٥٧

195 علي حسين باكير، **"خط باكو جيهان النفطي في ظل الازمة الروسية الجورجية"**، موقع العصر الالكتروني، ٢٣ اب ٢٠٠٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٩ ايلول ٢٠١٩

http://alasr.ws/articles/view/10290

فإنّ القانون الدولي يعطي روسيا الحق بتقاسم مياهها وثرواتها بالتساوي مع الدول المحيطة بها كتركمانستان وأذاربيجان... (كما) قامت بشراء كامل الغاز المنتج في وسط آسيا (تركمانستان–أذاربيجان–أوزباكستان) من خلال عقود شراء طويلة الأمد... (وسعت الى) تكثيف الجهود لبناء خطوط غاز جديدة، حيث أعلنت شركة "غازبروم" أنّها ستستثمر مشاريع غاز مستحدثة في أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا كمشروع الغاز السائل من نيجيريا إلى النيجر فالجزائر، ومشروع خط السيل التركي كبديل لخط السيل الجنوبي الذي تم التوقيع عليه في العام ٢٠١٥، والذي سينقل الغاز من روسيا عبر البحر الأسود إلى تركيا فاليونان."[١٩٦]

كما ان الحفاظ على النفوذ الروسي في منطقة اوروبا الشرقية من شأنه ضمان مكان لروسيا في أية مشاريع اقتصادية تربط آسيا بأوروبا مستقبلاً على شكل مشروع خط تراسيكا* الذي يربط آسيا بأوروبا دون المرور بروسيا. ان هكذا مشاريع تعرض المصالح الروسية التجارية والنفطية للخطر، فمن ناحية يكون بامكان وصل الاسواق الاسيوية بأوروبا خارج نطاق الاراضي الروسية والنفوذ الروسي، مما يرتب مضاربة للمنتجات الروسية. ومن ناحية أخرى يؤدي يسهل وصول الغاز والنفط من القوقاز لاوروبا كبديل عن الغاز الروسي، وزيادة ثروات هذه الدول من عائدات الغاز ما قد يؤدي الى زيادة الدعم للحركات الانفصالية ضد روسيا. لذلك لا بد لروسيا من الحفاظ على نفوذها في دول رابطة الدول المستقلة، وبحري قزوين والاسود، لتثبيت مصالحها عند بحث بدائل عن هكذا مشاريع مثل مشروع طريق الحرير الجديد (سنتناوله في الفقرات القادمة) الذي اصرت روسيا على مروره في اراضيها، وخاصة زيادة النفوذ الروسي بالقرب من الحدود التركية التي يمكن لها ان تكون صلة الوصل لاي مشروع خط نقل غاز من شأنه تقليص اهمية الغاز الروسي لاوروبا.

عسكرياً، ان موقع اوكرانيا الجيواستراتيجي القريب من موسكو والمتحكم بالبحر الاسود، وامتلاكها مدخلا على مضيق البوسفور والبحر المتوسط، وموقع جورجيا الوسطي بين بحري قزوين والاسود، يدفع روسيا الى عدم قبولهما ضمن حلف الناتو. فروسيا لا يمكن ان تسمح للغرب بالتوسع أكثر في مجالها الحيوي، خاصة في دول الجوار الاقليمي من جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً. فاضافة الى الاثر الاقتصادي الذي ورد سابقاً، سوف يؤدي ذلك الى تواجد قوى الناتو العسكرية على الحدود الروسية مباشرة، وامكانية نشر الدرع الصاروخي عليها.

ان هكذا انتشار غربي يشكل تهديداً واضحاً للأمن القومي الروسي، ومن شأنه محاصرة روسيا عسكرياً. ويمكن الخلوص الى هذا الاستنتاج من خلال تحليل الادارة العسكرية الروسية للازمات في دول الجوار. ففي العام ٢٠٠٧، وفي معرض التعليق على امكانية سماح بولونيا بنشر الدرع الصاروخي على اراضيها، هددت

---

[١٩٦] جورج الخوري، م.س.، ص ٢٨

* أطلق إسم (تراسيكا) tra.c.e.c.a على الطريق الذي يختصر الزمن والتكاليف لربط دول آسيا الوسطى بالأسواق العالمية والموانئ الأوروبية، وتنضم الى المشروع دول بلغاريا وأوكرانيا ورومانيا وتركيا، باعتبارها الدول المطلة على البحر الميت، ودول جورجيا وأرمينيا وآذربايجان في منطقة القوقاز، ودول ايران وتركمانستان وكازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزيا، في آسيا الوسطى.

روسيا بضربها نووياً. زد على ذلك ما **صرح به رئيس الوزراء الروسي، دميتري ميدفيديف، من "ان انضمام جورجيا إلى حلف شمال الأطلسي (ناتو)، قد يشعل فتيل صراعات مخيفة في المنطقة.** بدوره أكد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في وقت سابق، إن بلاده تنظر بشكل سلبي إلى التوسع الإضافي لحلف الناتو، الذي يشمل ضم أوكرانيا وجورجيا."[197]

ان التحليل المعمق لازمتي جورجيا واوكرانيا، يمكنّنا من معرفة بعض المرتكزات الروسية لطريقة مواجهتها والتعاطي معها. فالازمتان اللتان استدعتا تدخل الروس مع كل ما لحقهما من عقوبات اقتصادية وامكانية تدهور الامور الى التعقيد العسكري، وهو ما كان معلوماً لدى الروس، هما انعكاس لامكانية انضمام جورجيا أو اوكرانيا للاتحاد الاوروبي او حلف الناتو وما يتبعه ذلك من تهديد لامنها القومي. ذلك عبر اغلاق مجالها البحري المتمثل ببحر قزوين والبحر الاسود. وما يرتبه هذا الاغلاق من خسارة للممرات المائية التي تمكّن روسيا من الاتصال بالمياه الدافئة.

وكان قد أكد مركز الدراسات الإستراتيجية الروسي، في تقرير له أنه "خلال الأزمة الأوكرانية، استردت روسيا القرم، وحلت قضية تمركز أسطول البحر الأسود، وعلقت لوقت طويل آفاق عضوية أوكرانيا في حلف شمال الأطلسي."[١٩٨] اذاً يمكن تبيان **الاهداف الروسية التالية في منطقة القوقاز وشرق اوروبا:**

أ- **ابقاء مجالها الحيوي مفتوحاً لتأثيرها بغية عدم حصارها.**

ب-**الحفاظ على الممرات المائية الاستراتيجية التي تصل القوى البحرية الروسية بالمياه الدافئة.**

ج- **ابعاد الوجود العسكري الغربي عن حدودها بما يشكله ذلك من تهديد لامنها القومي وتحركها العسكري الاستراتيجي على المستوى الاقليمي والعالمي.**

د- **العمل على ابقاء نفوذها في منطقة الجوار عبر الاتفاقات الدفاعية، او من خلال الضم المباشر كما حصل في القرم، والضغط على الانظمة لضم دولهم للاتحاد الروسي مثل "محاولة الزعيم البيلاروسي فرض الاتحاد مع موسكو.**[١٩٩]

أما سياسياً، فقد كانت الثورة الوردية في جورجيا بداية الثورات الملونة التي انطلقت مناهضة للدور الروسي بدعم أميركي عام ٢٠٠٣، ثم اوكرانيا عام ٢٠٠٤، فقرغيستان عام ٢٠٠٥، لذلك فان الحفاظ على

---

[197] **"ميدفيديف: انضمام جورجيا لحلف الناتو قد يشعل فتيل صراعات مخيفة"**، موقع Rudaw الكردي الاخباري تاريخ ٦ اب ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع في ١٠ ايلول ٢٠١٩

https://www.rudaw.net/arabic/world/060820183

[١٩٨] يارا انبيعة، **"جورجيا وأوكرانيا... الى الناتو؟"**، موقع مركز سيتا للدراسات السياسية والاستراتيجية الكتروني، ايار ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٠ ايلول ٢٠١٩

https://sitainstitute.com/?p=2812

[199] Amy Machinnon, **"Lukashenko is selling Belarus, piece by piece, to Russia",** foreign policy, 20 5 2019 www.foreignpolicy.com

النفوذ الروسي وابطال مفعول هذه الثورات عبر تحجيمه من شأنه أن يعطي روسيا القدرة على مواجهة النفوذ الاميركي المتمدد في شرق اوروبا.

كما أن النظرة الروسية لمستقبل العلاقة مع اوروبا تؤكد مسعى التكامل معها، وهو ما يحتم على روسيا زيادة عوامل قوتها في المناطق الاستراتيجية والحيوية لاوروبا، لابقاء نفوذ لها في أي من القضايا المتعلقة بهذه المنطقة. فابتداء بغورباتشوف قبل انهيار الاتحاد السوفياتي وحديثه عن البيت الأوروبي المشترك والمصالح المشتركة بين روسيا والقارة الاوروبية، وصولاً الى دعوة "موسكو الى تعاون مستقر وشراكة حقيقية مع الاتحاد الاوروبي"[٢٠٠] خلال اعلان الرئيس بوتين لمبادئ السياسة الخارجية الجديدة لروسيا عام ٢٠١٦.

ان المحاولات الروسية للتقرب من اوروبا تعد من الاولويات الاستراتيجية لروسيا في سعيها لبناء القوة الاوراسية التي تستطيع التأثير وبسط النفوذ العالمي. في هذا السياق تعد قمة لشبونة في ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٠ مفصلاً في تاريخ العلاقة الروسية مع الناتو، حيث "أعلن خلالها عن ابرام اتفاق بين الطرفين تسمح بموجبه روسيا لقوات الناتو العاملة في افغانستان بنقل عربات قتالية عبر اراضيها."[٢٠١] واهمية هذا الاتفاق بالنسبة لروسيا كان التقرب من الناتو وعبره للاتحاد الاوروبي، وهو ما عبر عنه امين عام الناتو وقتها اندريه فوغ راسموسن حين قال:"ان الجانبين اكدا في الاتفاق الذي تم توقيعه بينهما انهما لم يعودا يشكلان خطراً على بعضهما، وانها المرة الاولى التي يتفق فيها الجانبان على التعاون للدفاع عن نفسيهما"[٢٠٢] ذلك لان الاتفاقية تضمنت استراتيجية شراكة طويلة الامد بين الطرفين بعد الاتفاقية.

انطلاقاً من أسس نظرية البر في الجيوبوليتيك، تشكل العلاقات الروسية مع اوروبا ضرورة اقتصادية، عسكرية وسياسية في سعيها لتحقيق النفوذ العالمي. وبالتالي يُعد عمل السياسات الخارجية الروسية على تمتين العلاقة بأوروبا وخاصة الشرقية، مرحلة أساسية لتثبيت نفوذ روسيا في منطقة الهلال الداخلي الذي يضم اوروبا الشرقية والشرق الاوسط بشكل أساسي، مما يرتب ذلك تكريس النفوذ الروسي في منطقة قلب العالم ما يسهل مهمة بسط النفوذ العالمي. وهذا ما ينقلنا الى الشرق الاوسط حيث تتكامل اهميته مع اوروبا كضرورة جيوبوليتيكية لاي دور روسي على الساحة الدولية.

رابعاً: الوجود الروسي في الشرق الاوسط

---

[٢٠٠] جورج الخوري، م.س.، ص ١٤-١٥

[٢٠١] محمد سيف الدين، **"توسع الاطلسي والامن الروسي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي"**، اشراف الدكتور محمد منذر، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠١١، ص ١١٠

[٢٠٢] **"قمة لشبونة: اتفاق بين روسيا والناتو وجدول زمني لانهاء القتال في افغانستان"**، موقع قناة بي بي سي الالكتروني، ٢٠ ١١ ٢٠١٠، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣ تشرين الثاني ٢٠١٩
http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2010/11/101120_nato_afganistan.shtml

تعمل السياسة الخارجية الروسية على استعادة دورها على الصعيد العالمي "فرسمت حدودها الجيوسياسية وأهدافها في اطار عقيدة سياسية خارجية أمنية وعسكرية، وحددت الوسائل اللازمة لبلوغها."[٢٠٣] فعندما تسلم بوتين الحكم عام ٢٠٠٠، قدم مبادئ للسياسة الخارجية الروسية وهو ما عرف بمبدأ بوتين. وركز هذا المبدأ على "استعادة دور روسيا في آسيا والشرق الاوسط بشكل تدريجي."[٢٠٤] لذلك لا بد من تحليل السياسة الخارجية الروسية تجاه ابرز قضايا الشرق الاوسط لمعرفة الاهمية الجيوبوليتيكية لهذه المنطقة وفق النظرة الروسية، حيث يشكل تقليص النفوذ الاميركي فيها اهمية جيوبوليتيكية قصوى لمنع محاصرة روسيا من جهة، ولتسهيل طريقها نحو المياه الدافئة وطرق الامداد بالنفط من جهة أخرى، مما يتيح لها العودة الى التأثير على الساحة الدولية.

ان طريق روسيا نحو المياه الدافئة، بعد تأمين اوروبا الشرقية، لا بد أن تمر عبر المضائق التركية اتجاه البحر المتوسط، وايران نحو الخليج العربي وبحر عمان. لذلك فالاهمية الجيوبوليتيكية الكبرى التي تنظر من خلالها روسيا الى هاتين الدولتين تكمن في حاجتها للوصول الى المياه الدافئة، والممرات المائية المتحكمة بطرق التجارة البحرية ونقل النفط والملاحة العسكرية.

فكما شكلت مشاريع نابوكو وباكو جيهان لنقل نفط القوقاز الى اوروبا دون المرور بروسيا تهديداً لتحكم روسيا بالغاز الاوروبي، ظهرت مجموعة من المشاريع في الشرق الاوسط من شأنها أن تشكل تهديداً مماثلاً، خاصة بعد الاكتشافات النفطية الجديدة على الساحل الشرقي للمتوسط. وتلعب تركيا الصلة الاخيرة لهذه المشاريع قبل وصولها الى اوروبا. فعلى سبيل المثال، "تطرح قطر نفسها كدولة إقليمية منتجة ومصدِّرة للغاز إلى أوروبا بديلًا من روسيا الاتحادية"[٢٠٥] من خلال خط يمر بسوريا فتركيا ليتصل بخط نابوكو. كما اشتركت "تركيا في مشاريع بحر قزوين وخطط امداد الطاقة من اذربيجان وجورجيا نحو اوروبا"[٢٠٦]، مما يؤثر على الاعتماد الاوروبي على الغاز الروسي. فـ"تقدر تركيا أن ٨٪ من تدفق النفط العالمي، سيتم عبر أراضيها، لكونها نقطة استلام توزيع لشحنات النفط والغاز في المنطقة."[207]

عسكرياً، تتعارض عضوية تركيا في حلف الاطلسي ومحاولات الانضمام للاتحاد الاوروبي، مع السياسة الخارجية الروسية المواجهة لسياسة التوسع الغربي، وتهدد السيطرة الروسية على الغاز الاوروبي وامكانية وصولها للمياه الدافئة. كما تضع احتمالية نشر الدرع الصاروخي في مناطق قريبة من الاراضي الروسية. لذلك تعمد روسيا الى استمالة تركيا على الصعيد العسكري، وآخرها عبر تزويدها بمنظومة الدفاع

---

[٢٠٣] كاظم هاشم نعمة، **روسيا والشرق الاوسط بعد الحرب الباردة**، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، لبنان، ٢٠١٦، ص ٥٨

[٢٠٤] فتيحة فرقاني، **"الصراع الامريكي الروسي حول منطقة جنوب القوقاز دراسة حالة جورجيا"**، جامعة دالي ابراهيم كلية العلوم السياسية والاعلام، رسالة ماجيستير، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١١٢

[٢٠٥] جورج الخوري، م.س.، ص ٢٨

[٢٠٦] م.ن.، ص ٢٥

[207] علي حسين باكير، م.س.

الجوي "اس ٤٠٠" والتي تعد جزءً من التكنولوجيا العسكرية الروسية الاكثر تطوراً، في ظل رفض الولايات المتحدة تزويد تركيا بمنظومة "الباتريوت" الا بتشغيل اميركي. فالسعي الروسي لتوطيد العلاقات الروسية التركية يعود لموقع الاخيرة الجيوبوليتيكي الذي يصل آسيا بأوروبا، وحاجة روسيا لحلفاء في الشرق الاوسط تؤمن لها الوصول الى البحر الاسود والمتوسط بسهولة.

وفي نفس السياق يأتي تقديم روسيا صفقة مساعدات قيمتها ٢.٣ مليار دولار من اجل اغلاق القاعدة الاميركية في قرغيزستان، بعد رفع الولايات المتحدة قيمة إيجاره من ٥٥ الى ١٠٠ مليون دولار. وقد أتت هذه الصفقة بعد اغلاق القاعدة الجوية الاميركية في اوزبكستان عام ٢٠٠٥. [٢٠٨] فلم تعد روسيا تقبل ان تتمدد الولايات المتحدة او الناتو ضمن مجالها الحيوي، فانه من شأن هذه الخطوات التأثير ليس فقط على النفوذ الغربي في كل من اوزبكستان وقرغيزستان، بل ايضاً في افغانستان نظراً لتقديم هذه القواعد الدعم العملياتي للوجود الغربي في افغانستان.

اما ايران، فأهميتها لروسيا تكمن في موقعها ونفوذها واعتمادها على السلاح الروسي. فقد اصبحت ايران في عام ٢٠٠١ ثالث اكبر مستورد للسلاح الروسي في العالم في ظل العقوبات عليها. كما يمثل امداد السلاح النوعي الروسي للجماعات المسلحة من حركات مقاومة وغيرها في المنطقة، مثل السلاح المضاد للدروع الذي استخدمته المقاومة اللبنانية في حرب تموز ٢٠٠٦، مدى الحاجة الروسية لايران من أجل التوغل عسكرياً في المنطقة.

كما استُخدمت طهران كورقة ضغط مقابل الدرع الصاروخي الاميركي في اوروبا. فقد "وافقت روسيا على تعليق عقد تصل قيمته الى ٨٠٠ مليون دولار بتسليم صواريخ اس ٣٠٠ الى ايران، مقابل تقديم تنازلات لها بالدرع الصاروخي."[٢٠٩] وتعد ايران اضافة الى كونها الحليف الاقليمي الذي له تأثير على الساحة الاسلامية[٢١٠] وامتداد عسكري في المنطقة من العراق الى لبنان وفلسطين واليمن والبحرين، وما يعنيه ذلك من نفوذ على المتوسط، ممر روسيا نحو الخليج العربي وصلة الوصل بينه وبين بحر قزوين.

ان كان الموقع الجيوبوليتيكي لتركيا وايران يشكل اهمية كبرى للوصول الى المياه الدافئة، فمصر هي صلة الوصل بين المحيط الهندي وشرق المتوسط، وبالتالي لا بد لأي قوة تسعى للنفوذ العالمي أن تؤمن لنفسها حرية الملاحة عبر قناة السويس، لما يوفره هذا الممر من اهمية على صعيد النقل البحري ومرور ناقلات النفط التي تربط آسيا بالمتوسط وأوروبا. لذلك تحاول روسيا تعميق العلاقات مع مصر التي دخلت النفوذ الاميركي منذ ايام الرئيس انور السادات عبر عدة محاور.

---

[٢٠٨] فريد زكريا، **عالم ما بعد اميركا**، ط١، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٧-١٨

[٢٠٩] جورج الخوري، م.س.، ص ٢١

[٢١٠] خديجة العريبي، **"السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط بعد احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١"**، اشراف الدكتور عبد الناصر جندلي، جامعة محمد خيضر، رسالة ماجيستر، بسكرة، ٢٠١٤/٢٠١٣، ص ١١٢

فمن جهة تحاول استغلال ملف سد النهضة الذي تعتبره مصر تهديداً لأمنها القومي عبر دعمها في وجه مجاراة الولايات المتحدة لأثيوبيا فيه. ومن جهة أخرى عبر التسليح، كما حصل حين دفع تعليق نقل بعض الأنظمة العسكرية الاميركية إلى مصر منذ الإطاحة بالرئيس محمد مرسي الى اختيار روسيا كوجهة لطلب مساعدة موسكو لتنويع مصادر البلاد من المشتريات العسكرية.

أما سوريا، فبعد خسارة روسيا لليبيا التي كانت منطقة النفوذ الروسية على شاطئ المتوسط، فقد تحولت لمسألة استراتيجية تهدد الوجود الروسي في المنطقة. فدخول روسيا في الحرب السورية كان لمنع الولايات المتحدة من الاستئثار بكافة المنافذ البحرية على المتوسط، ومواجهة مشروع السيطرة الكاملة على الشرق الاوسط. فتدخل حلف الأطلسي في ليبيا جعلها تدرك خطورة تكراره في سوريا، وهذا ما دفعها لدعم النظام السوري عسكرياً، وسياسياً عبر الفيتو والمواقف الدولية، حيث "استخدمت "حق النقض" الفيتو، ١٢ مرة، لمنع صدور قرارات عن مجلس الأمن بخصوص سوريا، حتى ليل الثلاثاء/الأربعاء (١١ ٤ ٢٠١٨)"[٢١١] من اجل منع تمرير مشاريع تحت غطاء الشرعية الدولية تضر بمصالحها.

من الناحية العسكرية، يعد ميناء طرطوس والذي يتم حاليًا تحويله إلى قاعدة بحرية، المنفذ الروسي الوحيد على البحر المتوسط، وتسعى موسكو من خلاله إلى استعادة مكانة القوة البحرية الروسية على الصعيد الدولي، عبر استكمال تأمين ملاحتها نحو المياه الدافئة، والذي بدأ بالسيطرة الكاملة على قاعدة "سيفاستوبول" عند ضمّها لشبه جزيرة القرم في العام ٢٠١٤. كما يؤمن ميناء طرطوس قاعدة تواجد دائم للبحرية الروسية في المتوسط، كما قال الادميرال السابق في البحرية الروسية ادوارد بالتين: "من المفيد جداً ان يكون لروسيا مرفأ دائم في البحر المتوسط تتوقف فيه القطع البحرية الروسية."[٢١٢] لذلك يكون قد شكل ٣٠ نيسان ٢٠١٩، يوم الإعلان الرسمي عن توقيع اتفاقية استئجار روسيا لميناء طرطوس لمدة ٤٩ سنة، "قفزة نوعية وسريعة على طريق إعادة البناء السريع للإمبراطورية الروسية والتخطيط لتواجد طويل الأمد في بقعة جغرافية شكلت تاريخيا عقدة جيواستراتيجية لطموحات أغلب القياصرة الروس في الوصول إلى المياه الدافئة."[٢١٣]

اما الدافع الاقتصادي لروسيا في سوريا، فيتمثل باستثمارات الشركات الروسية، والتعاون في قطاع الطاقة المتمثل بالغاز والنفط الممتد على طول الساحل السوري، اضافة الى موارد الطاقة المكتشفة في المياه اللبنانية. حيث استطاعت شركة روسنفت الروسية توقيع عقد مع وزارة الطاقة والمياه اللبنانية لتطوير منشآت تخزين النفط في ميناء طرابلس اللبنانية، اضافة الى مشاركتها في التنقيب عنه واستخراجه. وفي وقت سابق،

---

[٢١١] ساطع نورالدين، **"١٢ فيتو روسي... "لحماية وحش""**، جريدة المدن الالكترونية، بيروت، ١١ ٤ ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣٠ ٧ ٢٠١٩
www.almodon.com

[٢١٢] فادي خليل، م.س.، ص ١٢٤

[٢١٣] مصطفى فحص، **"روسيا وعقدة المياه الدافئة"**، موقع الحرة الالكتروني، ٤ ٥ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٩ ٩ ٢٠١٩
www.alhurra.com

كان قد "اعتبر رئيس "روسنفت" إيغور سيتشين أن العقد يسمح للشركة بتعزيز وجودها في الشرق الأوسط."[٢١٤].
كما ان الموقع الجيو استراتيجي لسوريا يجعلها الممر الرئيس لخطوط الغاز التي يمكن أن تغذّي أوروبا مستقبلًا، مما يهدد التحكم الروسي بسوق الغاز في اوروبا. اضافة الى حاجة سوريا للسلاح الروسي في ظل الازمة الممتدة منذ ٢٠١١، فقد "صدّرت روسيا إلى سوريا ما بين العامين ٢٠٠٥ و٢٠١٠ ما قيمته ٣ مليار دولار من الأسلحة،"[٢١٥] خاصة بعد خسارة روسيا لليبيا التي كانت ابرز مستوردي السلاح الروسي في المنطقة.

وقد شكل سوق السلاح الروسي في الشرق الاوسط وخاصة في المنطقة العربية اساسا مهماً لتوطيد العلاقات مع دول المنطقة، أو زيادة النفوذ فيها، عبر كسر الاحتكار الاميركي للسوق الشرق اوسطية من خلال اتفاقيات تعاون عسكري جديدة. فحاولت موسكو الاستفادة من نقص العتاد للجيش اللبناني للدخول في مجال تسليحه بسرب طائرات ميغ ٢٩، ثم طوافات MA-24 وصواريخ جوّ أرض وأعتدة عسكرية اخرى، لكن ذلك لم يحدث نظراً لاعتماد الجيش على العتاد الاميركي بشكل أساسي وما سيشكله ذلك من خطر على استمرار وصوله.

اضافة الى المحاولة الدائمة لزيادة عدد المستوردين لاسلحتها في المنطقة لغايات اقتصادية وسياسية. فقامت بتوقيع العديد من صفقات الاسلحة مع عدة دول منها الأردن، الإمارات، مصر، العراق والسعودية، حيث "تصل الصفقات الموقعة مع السعودية لوحدها الى ١٢ مليار دولار طبقا لإحصائيات نشرت في موقع روسيا اليوم... ووقعت موسكو والقاهرة في فيفري (شباط) ٢٠١٤ اتفاقا لتوريد اسلحة قيمتها اكثر من ٣ مليارات دولار... كما أبرمت روسيا والعراق في فيفري (شباط) ٢٠١٤ صفقة أسلحة بقيمة تبلغ نحو ٧٥٠ مليون يورو."[٢١٦] ويدخل العرض الروسي مؤخراً تزويد السعودية بالنظام الصاروخي اس ٤٠٠ بعد الهجمات الاخيرة على ارامكو واستعدادها لتقديم نظام حماية من الطائرات المسيرة، ضمن المحاولات الروسية الدائمة لتوسيع نفوذها عبر تحسين علاقاتها من خلال صفقات السلاح. لكن يبقى الطريق طويل لتمتين هذه العلاقات مع اصرار المملكة على دخول روسيا في الاوبك لتحديد انتاجها النفطي كي لا تبقى "كلاعب حر يستفيد من سعر النفط العالي دون الالتزام بانتاج محدد."[٢١٧]

---

[٢١٤] **"لبنان يوقع مع روسنفت الروسية عقد تطوير منشآت لتخزين النفط"**، موقع جريدة العربي الجديد الالكتروني، ٢٥ كانون الثاني ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٧ آذار ٢٠١٩.

www.alaraby.co.uk

[٢١٥] جورج الخوري، م.س.، ص ٣١

[٢١٦] نجاة مدوخ، **"السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة"**، اشراف الدكتور عمر فرحاتي، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، رسالة لنيل الماجيتير في العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٥، ص ١٣٤ - ١٣٥

[٢١٧] مارك كارتر، **"السياسة الروسية في الشرق الاوسط الكبير او فن اقامة علاقات الصداقة مع كل دول العالم"**، ترجمة عبد الحميد العيد الموساوي، موقع الكتروني، نيسان ٢٠١٠، تم الدخول الى الموقع في ٥ آذار ٢٠١٧

http://www.ifri.org/downloads/ifrirussiamiddleeastkatzengapril2010.pdf

كما استغلت روسيا حيازتها على التكنولوجيا النووية، وتوجه بعض دول المنطقة الى استعمالها في مجال توليد الطاقة. من اجل تحسين العلاقات، وزيادة النفوذ الروسي في تلك البلدان. فقد وقعت موسكو والامارات عام ٢٠١٢ اتفاقية "للتزويد باليورانيوم المخصب... وفي عام ٢٠١٤ وقعت شركة روستام مذكرة تعاون مع المملكة العربية السعودية لمتابعة الفرص في مجال توليد الطاقة النووية... واتفاقية بين الاردن وروسيا عام ٢٠١٤ لانشاء وتشغيل محطة طاقة نووية في الاردن."[٢١٨] اضافة الى مشروع بناء محطة نووية لتوليد الطاقة الكهربائية في منطقة أكويو التركية عام ٢٠١٤، والذي اعتبره الرئيس الروسي انه "فريد من نوعه من حيث أنه يبنى للمرة الأولى وفق مبدأ "ادفع، امتلك، واستثمر" بمعنى أن الشركة الروسية سوف تكون مالكة لهذه المحطة."[٢١٩]

في السياق السياسي، دعت العقيدة الجديدة للسياسة الخارجية الروسية التي اعلنها الرئيس بوتين في كانون الاول من عام ٢٠١٦ الى "مواصلة نهج التسوية السياسية الدبلوماسية لحل النزاعات في الشرق الاوسط من دون تدخل خارجي."[٢٢٠] لذلك تعمل روسيا على بناء علاقات مع اطراف النزاع كافة واستخدامها لتقديم نفسها كبديل اكثر حياداً من الولايات المتحدة لحل القضايا السياسية الكبرى في المنطقة مثل الصراع العربي الاسرائيلي، من منطلق أن "توازن السياسة الخارجية ساعدها على كسب ثقة اطراف متنافرة من الدول."[٢٢١] في هذا السياق دعا الرئيس بوتين إلى بذل الجهود لوقف تفاقم العنف، و"ان روسيا مستعدة للتعاون مع كل الاطراف المعنية من اجل اقامة سلام عادل." [٢٢٢]

ثم ان الحفاظ على وحدة اراضي روسيا الاتحادية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي شكل مصلحة وطنية تطال الامن القومي الروسي مباشرة. لذلك عمدت روسيا الى مواجهة التحديات على الحدود الجنوبية من خلال "اقامة علاقة شراكة مع العالم الاسلامي والعربي، وتعزيز العلاقات مع كومنولث الدول المستقلة."[٢٢٣] حيث تأثير دول الشرق الاوسط كبير عقائدياً على الاقليات المسلمة في روسيا الاتحادية. فتحسين العلاقات الروسية العربية والروسية الاسلامية من شأنها تخفيف حدة الازمة الشيشانية وبالتالي المساهمة في تحصين الداخل الروسي وتخفيض احتمال الحركات الانفصالية.

ان محاولات روسيا تحسين علاقاتها العربية والاسلامية، تظهر من خلال التحرك بالمشاركة في مؤتمرات ومنتديات تجمع روسيا بالدول العربية أهمها "منتدى التعاون العربي الروسي والحوار الاستراتيجي بين

---

[٢١٨] نجاة مدوخ، م.س.، ص ١٣٣- ١٣٦
[٢١٩] نجاة مدوخ، م.س.، ص ١٣٦
[٢٢٠] جورج الخوري، م.س.، ص ١٥
[٢٢١] احمد سيد حسين، **دور القيادة السياسية في اعادة بناء الدولة (روسيا في عهد بوتين)**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٥، ص٤٣
[٢٢٢] فادي خليل، م.س.، ص ١٢٣
[٢٢٣] جورج الخوري، م.س.، ص ١٥

دول مجلس التعاون الخليجي وروسيا، إضافة إلى تبادل الزيارات الرسمية لوزراء و ممثلي هذه الدول"[٢٢٤] اضافة الى اتفاقات التعاون العسكري وصفقات الاسلحة التي سبق وذكرناها.

بالنسبة لروسيا، توازي الأهمية الجيوبوليتيكية للشرق الاوسط اهمية شرق اوروبا ومنطقة القوقاز وبحري قزوين والاسود فيما يتعلق بالغاز. فكما يمكن للاولى ان تشكل البديل عن الغاز الروسي لاوروبا، تستطيع الثانية تأمينه نظراً لاحتياط النفط والغاز الكبير لديها، اضافة الى موقعها الجيوبوليتيكي الذي يؤمن صلة الوصل البرية والبحرية مع اوروبا. زد على ذلك موقع الشرق الاوسط الذي يمكّن من يمتلك النفوذ السياسي والعسكري فيه، من زيادة فرصه في التأثير وفرض النفوذ في منطقة الجوار الروسي.

لقد تركزت السياسات الخارجية الروسية نحو تحصين مجالها الحيوي وحدودها القريبة، اضافة الى تأمين طريقها نحو المياه الدافئة ونفوذها في مناطق الصراع. لذلك شكلت اوروبا الشرقية والشرق الاوسط اهمية جيوبوليتيكية كبرى لروسيا. خلال الحرب الباردة، امتد النفوذ السوفياتي بشكل كبير في اوروبا الشرقية والشرق الاوسط، الا ان انهياره يدل على ان السيطرة على هذه المناطق لا يضمن النفوذ العالمي لاي قوة كبرى. كما ان السياسات الخارجية لروسيا بعد الحرب الباردة لم تخلُ من استراتيجيات لتمتين علاقات روسيا مع دول المنطقة من جهة، ومنع امتداد النفوذ الاميركي فيها من جهة أخرى. من هنا لا بد من الاشارة الى النفوذ الاميركي في منطقة الهلال الداخلي وقلب العالم خلال وبعد الحرب الباردة، بغية معرفة مدى تطابق سيطرتها عليها مع تمكنها من الوصول الى التحكم بمفاصل العلاقات الدولية. فكيف اتجهت السياسات الاميركية في هذه المناطق لمواجهة السياسات الروسية؟ وكيف تعاملت مع أزماتها لتحقيق مصالحلها الجيوبوليتيكية؟

---

[٢٢٤] نجاة مدوخ، م.س.، ص ١٢٨

الفقرة الثانية: نفوذ الولايات المتحدة الأميركية

لطالما شهدت مناطق أوروبا الشرقية والشرق الأوسط وجنوب وجنوب شرق آسيا صراعاً على النفوذ بين القوى التي سعت الى الفوذ العالمي. وبعد الحرب العالمية الثانية، انعكس هذا الصراع على السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي ومن بعده روسيا. وبعد عرض أبرز السياسات السوفياتية والروسية في هذه المناطق بعد الحرب العالمية الثانية في الفقرة السابقة، لا بد لنا من الاشارة الى السياسات الأميركية فيها لاستنباط المحركات الجيوبوليتيكية لهذه السياسات.

أوّلاً: تطور النفوذ الأميركي خلال الحرب الباردة

بدأت الولايات المتحدة الأميركية ببسط النفوذ العالمي أولا من القارة الأميركية، عملاً بمبدأ مونرو (اميركا للاميركيتين) عام ١٨٢٣ وصولاً الى حلف الريو* عام ١٩٤٧. ويشير محتوى بعض مواد اتفاقية هذا الحلف الى الهدف الذي أرادته الولايات المتحدة الأميركية والمتمثل بحشد قوة القارة الأميركية كاملة الى جانبها في سعيها للنفوذ العالمي. فالفقرة الثالثة من المادة الثالثة من الاتفاقية بررت التدخل لمواجهة أي هجوم مسلح تتعرض له أي دولة أميركية من قبل الدول الأعضاء سواء أكان الهجوم قد حصل من خارج الدولة أو من داخلها.[٢٢٥] وهو في الواقع اعطاء الحق للدولة الاقوى في الحلف أي الولايات المتحدة بالتدخل في حالات الثورة أو الانقلابات التي لا تناسب سياساتها، وهو ما حصل مثلاً في الحرب الأهلية في الدومينيكان سنة ١٩٦٥.

أما المادة التاسعة من الاتفاقية وتحديداً في الفقرة الأولى فشملت القطع البحرية أو الجوية التابعة لأحد الدول الأميركية.[٢٢٦] هذا يعني أن على الدول الاعضاء، الدفاع عن أي هجوم تتعرض له القطع البحرية والجوية في أي مكان في العالم، مما يعد دعماً والحاقاً للولايات المتحدة كونها الدولة الوحيدة في الحلف التي تملك قواً بحرية وجوية منتشرة في العالم.

كما يظهر التمسك الأميركي بالسيطرة على القارة الأميركية من خلال الاصرار على الابقاء على قاعدة غوانتانامو في كوبا بعد الأزمة الكوبية، وامداد قوات اليونيتا المعارضة في نيكاراغوا بالدعم مباشرة وعبر السلفادور والهندوراس.

---

* حلف الريو: ضم الدول الأرجنتين، باربادوس، بوليفيا، البرازيل، التشيلي، كولومبيا، كوستاريكا، كوبا، جمهورية الدومينيكان، الإكوادور، السلفادور، غواتيمالا، هايتي، هندوراس، المكسيك، نيكارغوا، بناما، بارغواي، البيرو، ترينيداد وتوباغو، الولايات المتحدة الأمريكية، أورغواي، فنزويلا. وقد تم طرد كوبا عام١٩٦٢ بعد أزمة الصواريخ.

225 **Inter-American Treaty of Reciprocal Assistance (Rio pact of 1947),** U.S. Ministry of State website, site visisted on 10 Feb 2019 https://www.state.gov/p/wha/rls/70681.htm

226 Ibid.

اوراسياً، اعتمدت الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة سياسة الاحتواء التي وضعها جورج كينان(١٩٠٥-٢٠٠٥)* وبدأت "بتنفيذها ادارة الرئيس هاري ترومان، لمواجهة توسيع نفوذ الاتحاد السوفياتي في العالم."[٢٢٧] وقد هدفت هذه الاستراتيجية الى الحفاظ على التفوق العسكري الاستراتيجي على الاتحاد السوفياتي، دعم دول أوروبا الغربية لمواجهة النفوذ السوفياتي فيها، واعتماد سياسة الاحلاف لتطويق الاتحاد السوفياتي بأحلاف غربية. ولهذا الهدف أقيم حلف شمال الأطلسي وحلف جنوب شرق آسيا وحلف بغداد.

وقد أولت السياسة الخارجية الأميركية خلال الحرب الباردة أهمية كبرى لزيادة النفوذ في أوروبا وقطع الطريق أمام أي تقدم سوفياتي معاكس. فعلى سبيل المثال، استغلت الولايات المتحدة الانسحاب السياسي البريطاني من اليونان وخلاف السوفيات مع يوغوسلافيا (التي كانت صلة الوصل مع الحركات التحررية الشيوعية في اليونان)، وقدمت لأثينا مساعدات اقتصادية ومالية كبيرة وفق مبدأ ترومان، ثم دعمت "العسكريين في انقلابهم ضد الملك وهكذا أصبحت اليونان ضمن الدول الحليفة للولايات المتحدة."[٢٢٨]

ثم أظهر الرئيس الأميركي ريغان بعد انتخابه عام ١٩٨٠ تحولاً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية حيث انتقلت من التدخل المباشر الى تقديم "كل اشكال الدعم من مال وسلاح واعلام ودعاية مضادة للنظم الشيوعية... تمثل هذا الدعم بتخصيص مبالغ كبيرة في ميزانية الولايات المتحدة لدعم المنظمات المعادية للشيوعية."[٢٢٩] واستغلت الولايات المتحدة فترة الاهتمام السوفياتي بشؤونه الداخلية أواسط الثمانينات واستمرت في تطوير البرنامج الصاروخي، فكان "قبول (الاتحاد السوفياتي) التحدي بزيادة في الانفاق العسكري"[٢٣٠] أحد الاسباب التي أدت الى ضعفه. ومع تفاقم الازمة الاقتصادية اواخر الثمانينات، عُقدت قمة موسكو بين غورباتشوف وبوش الأب، الذي اشترط مساعدة السوفيات "بوقف المساعدات عن كوبا والتخلي عن جزر الكوريل لصالح اليابان ومنح دول البلطيق استقلالها وأكد أيضاً رفض تقديم مشروع مارشال جديد للإتحاد السوفياتي."[٢٣١]

أما عسكرياً فسعت الولايات المتحدة لايجاد حلف شمال الأطلسي** الذي بدأ بـ"ميثاق التعاون" أو حلف بروكسل*** عام ١٩٤٨، وتتطور لحلف دفاع مشترك في معاهدة حلف شمال الأطلسي في ٤ نيسان ١٩٤٩.

---

* جورج كينان George F. Kennan (١٩٠٥-٢٠٠٥): دبلوماسي ومؤرخ اميركي، ابرز المؤيدين والمؤثرين على سياسة الاحتواء التي اتبعتها الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي ابان الحرب الباردة.

[٢٢٧] اسماعيل صبري مقلد، **الاستراتيجية والسياسة الدولية**، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢١٤

[٢٢٨] علي صبح، م.س.، ص ٦٧

[٢٢٩] م.ن.، ص ١٩٦

[٢٣٠] ايوجين جاريكي، م.س.، ص ١٣

[٢٣١] علي صبح، م.س.، ص ٢٠٧

** حلف شمال الاطلسي: يضم الدول الولايات المتحدة، ألبانيا، بلجيكا، بلغاريا، كندا، كرواتيا، جمهورية التشيك، الدنمارك، إستونيا، فرنسا، ألمانيا، اليونان، هنغاريا، أيسلندا، إيطاليا، لاتفيا، ليتوانيا، لوكسمبورغ، هولندا، النرويج، بولندا، البرتغال، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا، إسبانيا، تركيا، المملكة المتحدة.

*** حلف بروكسل: حلف دفاعي ضم فرنسا، بريطانيا، الولايات المتجدة، هولندا، بلجيكا، اللوكسمبورغ. ويعد هذا الحلف هو الأساس لحلف شمال الأطلسي.

وقد أدخل هذا الحلف الدول الأوروبية الليبرالية مع المانيا الغربية (التي انضمت عام ١٩٥٥)، في معسكر الولايات المتحدة، التي بقيت المحرك الأكبر لسياسات هذا الحلف. وفي السياق العسكري أيضاً، ورداً على نشر الاتحاد السوفياتي الصواريخ النووية في اسيا واوروبا عام ١٩٧٧، أقدمت الولايات المتحدة الأميركية على "نصب صواريخ نووية بيرسنغ II في أوروبا وعلى الأراضي الالمانية الأقرب الى الاتحاد السوفياتي"[٢٣٢]. كما تقرر في مؤتمر لندن عام ١٩٤٨* تشكيل "مكتب أمن عسكري يجمع قادة الجيوش الأميركية والبريطانية والفرنسية للإشراف على تجريد ألمانيا من السلاح."[٢٣٣]

أما اقتصادياً، تعهدت الولايات المتحدة بقابلية تحويل الدولار الى ذهب بمعدل ٣٥ دولار لأونصة الذهب استناداً الى اتفاقية بريتون وودز عام ١٩٤٤. أعطى ذلك الدولار ثقة تبادلية باعتباره مساو لضمان الذهب. وقد استفاد الأميركيون من الدمار الحاصل في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تم الاعتماد بشكل كبير على الاستيراد من الولايات المتحدة. لكن مع استعادة أوروبا لقدرتها الانتاجية، بدأ الاقتصاد الأميركي يعاني من أزمات أدت الى خروج كميات كبيرة من الذهب حيث "فقدت الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٥٨-١٩٦٠ حوالي ٥.١ بليون دولار من جراء التحويل."[٢٣٤]

عندها اعلن الرئيس نيكسون وقف قابلية تحويل الدولار الى ذهب في ١٥ آب ١٩٧١، وهنا برزت مشكلة جديدة حول قيمة الاحتياط الأوروبي الدولاري. فبدأت أوروبا بشراء كميات كبيرة من الدولار بغية زيادة الطلب عليه واستقرار صرفه. وما كان على الولايات المتحدة الأميركية الا طبع المزيد من الدولارات واغراق السوق فيها لإعادة التوازن الى اقتصادها، طالما أن العالم لا يزال يقبل التعامل به. مما مكنها من الاستمرار في تغطية نفقات التسليح والدعم للحركات المناوئة للشيوعية دون أن يتحمل اقتصادها عبء ذلك، بل على حساب الاقتصاد الدولي الذي يعتمد الدولار وحدته النقدية. كما استطاعت الولايات المتحدة من اعادة تدوير الفوائض المالية للدول النفطية العربية خاصة لتعود اليها عن طريق مؤسسات النقد العالمية (صندوق النقد الدولي، البنك الدولي وسوق الدولارات...).[٢٣٥]

أما آسيوياً ، فانتصار الشيوعية في الصين وتحولها الى حليف للاتحاد السوفياتي، أخاف الدول الآسيوية المجاورة من التوسع الشيوعي. استفادت الولايات المتحدة من هذه الحالة لزيادة نفوذها في منطقة جنوب وجنوب شرق آسيا عملاً بمبدأ الاحتواء، عبر "اقامة تنظيم دفاعي في جنوب شرق آسيا. وتم ذلك بتوقيع

---

[٢٣٢] علي صبح، م.س.، ص ١٩٦

* مؤتمر لندن عام ١٩٤٨: مؤتمر بين الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، فرنسا، بلجيكا، هولندا واللوكسمبورغ، تقررت فيه مواجهة الهجمة الشيوعية على أراضي ألمانيا الانجلوسكسونية.

[٢٣٣] علي صبح، م.س.، ص ٦٢

[٢٣٤] م.ن.، ص ١٨٠

[٢٣٥] م.ن.، ص ١٨١-١٨٨-١٨٩

حلف مانيلا في الفيليبين في ١٨ أيلول ١٩٥٤"[٢٣٦]، والذي أصبح يعرف بحلف جنوب شرق آسيا SEATO[*]. يمكن رؤية الهدف الأميركي في ابقاء قرار الحرب لهذا الحلف عندها من خلال فقرة خاصة في المعاهدة، التي اعتبرت أن "العدوان المسلح الوحيد الذي يوجب التدخل الجماعي هو العدوان الشيوعي فقط. أما في الحالات الأخرى التي لا يكون فيها مصدر العدوان شيوعياً فإن الولايات المتحدة ستلجأ للتشاور مع حلفائها."[٢٣٧] وعليه عززت الولايات المتحدة تواجدها العسكري في منطقة الشرق.

كما دفعت العلاقة السوفياتية الصينية، الولايات المتحدة لجعل اليابان حليفاً لها، نظراً لموقعه الجيوبوليتيكي في تلك المنطقة. لذلك عقد مؤتمر سان فرنسيسكو في ٢٠ تموز ١٩٥١ الذي أدى الى توقيع معاهدة صلح تقضي بتخلي اليابان عن الأراضي التي احتلتها، و"التعويض على الخراب والآلام، والالتزام بميثاق الامم المتحدة."[٢٣٨] لكن الأهم كان توقيع معاهدة الأمن بعد معاهدة الصلح والتي "تعهدت اليابان بموجبها بالسماح للقوات الأميركية بالبقاء على أراضيها."[٢٣٩]

لكن تطور الخلاف العقائدي بين الصين والاتحاد السوفياتي الى الاختلاف الكلي في الحرب الهندية الباكستانية ووقوف كل من الدولتين الى جانب طرف في النزاع، "أعطى الولايات المتحدة فرصة فتح علاقات مع الصين. توجت بزيارة الرئيس نيكسون لبكين عام ١٩٧٣"[٢٤٠]، على قاعدة "أن اطالة الخلاف وتأجيله كفيل بمفاقمة المشاكل الاقتصادية في المعسكر الاشتراكي"[٢٤١]، كما رأى الرئيس نيكسون.

فيما خص الشرق الأوسط، فاهمية هذه المنطقة تكمن في قربها جغرافياً لمنطقة قلب العالم والمجال الحيوي للاتحاد السوفياتي، اضافة الى الأهمية الاقتصادية للمخزون النفطي الكبير، فضلاً عن أن "لسواحله الطويلة على البحار والمحيطات ميزة جغرافية مهمة، ما يجعل منه موقعاً جغرافياً واستراتيجياً مميزاً بين الشرق والغرب."[٢٤٢] لذلك اهتمت السياسات الخارجية الأمريكية بها، فشكلت هذه المنطقة محوراً أساسياً في سياسة مواجهة الاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة، وزيادة النفوذ العالمي خلالها وبعدها.

لذلك أشار كيسنجر الى ان "المخطط الاستراتيجي الأمريكي يهدف الى ادخال المنطقة (الشرق الاوسط) تحت مظلة حلف الاطلسي."[٢٤٣] وتتبين أهمية هذه المنطقة في السياسة الخارجية الأميركية من خلال عدد المعاهدات التي تم توقيعها مع دول المنطقة. نذكر منها الحلف العسكري العربي (الأردن ١٩٤٨)، معاهدة

---

[٢٣٦] م.ن.، ص ١٠٢

[*] حلف جنوب شرق آسيا: حلف دفاعي مشترك يضم باكستان، الفلبين، تايلاند، استراليا، نيوزيلندا، فرنسا، بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية وانسحبت منه باكستان بعد الحرب الباكستانية الهندية واستقلال بنغلادش. تم انهاء الحلف بناء على قرار المجلس الوزاري للحلف في ٢٤ أيلول ١٩٧٥

[٢٣٧] محمد عزيز شكري، **السياسة الأميركية في الخليج العربي**، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٢، ص ٥٩

[٢٣٨] رياض الصمد، **العلاقات الدولية في القرن العشرين**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص٢١٠

[٢٣٩] علي صبح، م.س.، ص ٧٩

[٢٤٠] م.ن.، ص ١٢٩

[٢٤١] هنري كيسنجر، **الدبلوماسية**، ترجمة مالك فاضل البديري، الأهلية للتوزيع، عمان، ١٩٩٥، ص ٣٨٣

[٢٤٢] كمال حماد، م.س.، ص ٦٢

[٢٤٣] محمد مراد، م.س.، ص ١٨٣

التحالف العسكرية الليبية الأميركية (١٩٥٤)، والاتفاقية الدفاعية بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية ١٩٥١. إلا أن الحلف الأهم في تلك الفترة كان حلف المعاهدة المركزية أو حلف بغداد الذي لم تكن الولايات المتحدة من مؤسسيه لكنها "كانت القوة الرئيسية المحركة لهذا الحلف... والبادئة بفكرته وهي التي وضعت تصميمه وحددت اطاره العام... للابقاء عليها (منطقة الشرق الأوسط) ضمن مناطق نفوذه."[٢٤٤]، ثم أصبحت عضواً كاملاً في الحلف عام ١٩٥٩.

عربياً، قامت الاستراتيجية الأمريكية "على خلق حالة دائمة من اللااستقرارية السياسة والاقتصادية العربية."[٢٤٥] من هنا سعت الى تفريق الأطراف العربية ووضعها تحت النفوذ المباشر للولايات المتحدة، من خلال الدعم المطلق لـ"اسرائيل"، وابرام معاهدات سلام "اسرائيلية" عربية بشكل منفرد، وربط الجيوش العربية عتاداً وتسليحاً (تكنولوجياً) بالولايات المتحدة مباشرة وحصرياً.

وقد كانت الولايات المتحدة الأكثر دعماً لقيام "اسرائيل"، فعند الاعلان عن وعد بلفور أشار حاييم وايزمان الى أن الأميركيين "قرروا شكل الدولة التي ستقوم، منادين بقيام جمهورية يهودية."[٢٤٦] لذلك تعتبر "اسرائيل" نقطة الارتكاز الأساسية في سياسة التوسع وابقاء السيطرة على الشرق الاوسط عموماً، والمنطقة العربية خصوصاً، من خلال ارساء نموذج الدولة الدينية لترسيخ الانقسام العربي من جهة، ونموذج الديمقراطية الأميركية من جهة أخرى.

ثم عملت الولايات المتحدة على اضعاف الموقف العربي في الصراع العربي الاسرائيلي عبر عقد اتفاقيات السلام بشكل منفرد. فمن خلال معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٨، أُخرجت مصر التي كانت الدولة العربية الأقوى والأكثر فعالية في الصراع من دائرة الفعالية. ولحقتها اتفاقيتي أوسلو ووادي عربة مع فلسطين والاردن عام ١٩٩٣ و١٩٩٤ في السياق نفسه.

وكانت سياسة الاتباع العربي قد بدأت مع مخطط مارشال بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، والذي قام على تقديم مساعدات عسكرية وسياسية واقتصادية لعدد من الأنظمة العربية للوصول الى "استتباع اقتصادي ـ سياسي لتلك الانظمة الطرفية وربطها بعجلة المركز الرأسمالي الأمريكي."[٢٤٧]

كما يعد مبدأ ايزنهاور عام ١٩٥٧ المحدد العام للاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط بعد أزمة السويس، والذي قام على المساعدة الاقتصادية والعسكرية لدول الشرق الأوسط. اقتصادياً عبر تقديم المساعدات اللازمة لدعم قوة اقتصادها والحفاظ على استقلالها. وعسكرياً عبر تفويض الكونغرس للرئيس الأميركي في

---

[٢٤٤] كمال حماد، م.س.، ص ٦٨، ٦٩

[٢٤٥] محمد مراد، م.س.، ص ١٧٩

[٢٤٦] كريستوفر سايكس، **مفارق الطرق الى اسرائيل**، ترجمة خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٧

[٢٤٧] محمد مراد، م.س.، ص ١٧٧

استخدام القوة العسكرية، عند طلب أي دولة في الشرق الأوسط "لمقاومة أي اعتداء عسكري تتعرض له من قبل أي مصدر تسيطر عليه الشيوعية الدولية."[٢٤٨]

أما ايران، فاستطاعت الولايات المتحدة من ضمها الى المعسكر الغربي عبر توقيع "معاهدة تعاون في ٢٠ حزيران ١٩٤٧ كان من نتائجها ارسال الولايات المتحدة بعثة عسكرية الى ايران... لتصبح أكبر قاعدة أميركية في الشرق الأوسط حتى عام ١٩٧٩."[٢٤٩] لكن خسرت الولايات المتحدة الاميركية أبرز حلفائها في الشرق الأوسط بعد سقوط نظام الشاه في ايران عقب نجاح الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩.

بناء على ما تقدم، يظهر ان أساس سياسة الاحتواء التي اتبعتها الولايات المتحدة جيوبوليتيكي بامتياز. فالتشابه بين سياسة الاحتواء وسياسة الاناكوندا التي تكلم عنها ماهان، تدفعنا الى الاعتقاد أن المنطلقات الفكرية لها أبعاد جيوبوليتيكية واضحة. حيث تهدف سياسة الاناكوندا، التي سبق وشرحناها في الفصل الأول، الى فرض طوق بحري على منطقة قلب العالم من خلال السيطرة على المناطق الشاطئية وحصاره من بعيد، في الوقت الذي كانت تقوم هذه السياسة على منع الاتحاد السوفياتي من التوسع من أجل "حماية أكبر للمناطق والابقاء عليها في ملك أميريكا وحلفائها بعيداً عن يد السوفيات."[٢٥٠]

كما تشير الأحلاف التي نسجتها الولايات المتحدة الأميركية على النية الواضحة للسيطرة على الاطار ومحاصرة قلب العالم المتمثل بالاتحاد السوفياتي ومنعه من السيطرة على المناطق الشاطئية، فطوقت الولايات المتحدة الأميركية المعسكر الشرقي عبر حلف شمال الأطلسي من أوروبا، وحلف بغداد من الشرق الأوسط، وحلف جنوب شرق آسيا من الشرق.

من هنا يمكن القول أن الولايات المتحدة أسست لمرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي من خلال سياساتها الخارجية. فربطت كل المناطق الجيوبوليتيكية في أوراسيا بقراراتها. ذلك من خلال الشراكة العسكرية مع دول الخليج واليابان، الشراكة غير المتوازنة سياسياً وعسكرياً مع أوروبا عبر حلف الأطلسي، الدعم المطلق لـ"اسرائيل" للتحكم بالشرق الأوسط، وارساء "الشخصانية والتفرقة بين دول أوراسيا واتباعها للسياسة الأطلسية."[٢٥١]

ثانياً: الملامح العامة للسياسة الاميركية بعد الحرب الباردة

بعد انتهاء الحرب الباردة، اكملت الولايات المتحدة الاميركية سعيها الى فرض نفوذها العالمي والعمل على عدم بروز اي قوة دولية، او تطور اي قوة اقليمية الى قوة نفوذ دولي. فقد سلط الاستراتيجي البلجيكي

---

[٢٤٨] كمال حماد، م.س.، ص ٧٠

[٢٤٩] علي صبح، م.س.، ص ٧٠

[٢٥٠] ايوجين جاريكي، م.س.، ص ١٣

[٢٥١] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٢١١

برونو كولسون(١٩٥٧-٠٠٠)* الضوء على الاهداف الاميركية على الصعيد العالمي. وأشار الى ان الملامح العامة لهذه الاهداف بقيت دون تغيير يذكر، واختصرها بـ"القضاء على الخصوم، اكانوا من الاصدقاء او الاعداء في سبيل المحافظة على التفوق، والحفاظ على الامن القومي والمصالح الحيوية في الاقاليم المختلفة."[٢٥٢]

وبغية تحقيق الولايات المتحدة لاهدافها، عمدت الى توسيع قاعدة اهتماماتها وربطها مباشرة بالامن القومي الاميركي. فتغيرت فكرة المجال الحيوي والامن القومي لتشمل مناطق مختلفة من العالم، من غير حصرها بمنطقة دون اخرى، كاعتبار ان "الشرق الاوسط يقع ضمن امنها القومي"[٢٥٣]. فـ"اصبحت فكرة الامن القومي مرتبطة بفكرة الامن العالمي... وجاءت خطابات الامن القومي تبرر وتعطي الشرعية لتصميم استراتيجيتهم المنظورة والبعيدة المدى بجوانبها الاقتصادية والسياسية والعسكرية."[٢٥٤]

فالقلق الاميركي الاساسي كان ظهور قوة دولية او تحالف اقليمي يمتلك مبررات القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية لمنافسة الهيمنة الاميركية في الشؤون الدولية. وليس من شأن أي قوة أو تحالف اقليمي ان يشكل هذا التهديد على السيطرة الاميركية العالمية، بل الاهم كان موقع هذه القوة ونفوذها في المناطق التي تتمتع بأهمية جيوبوليتيكية تتيح لها التمدد وبسط السيطرة والنفوذ. من هنا برزت الحاجة الاميركية للتحكم في اوراسيا ومنع اي قوة اوراسية من التمتع بمقومات القدرة على التأثير. في هذا السياق حذر بريجينسكي من "نشأة كتلة مسيطرة (سياسية استراتيجية) تجمع بين روسيا والصين وايران وإن نشأت هذه الكتلة فإن نفوذ الولايات المتحدة معرض للخطر."[٢٥٥] لذلك دعا الى ضرورة اهتمام الولايات المتحدة بآسيا الوسطى والشرق الاوسط بشكل خاص، وزيادة نفوذها فيها من أجل تأمين سهولة الوصول الى قلب أوراسيا.

وفي السياق نفسه، قال صاحب نظرية صراع الحضارات صموئيل هانتينغتن ان المصالح الاميركية تحدد بـ"الحفاظ على الولايات المتحدة كأول قوة عالمية، والحيلولة دون بروز قوة مهيمنة سياسية وعسكرية في اوروبا وآسيا، وحماية المصالح الاميركية في عالم الجنوب خصوصاً في الخليج العربي."[٢٥٦]

ايديولوجياً، اعتمدت الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة على معاداة الشيوعية وتسويق الليبرالية على أنها الحل. وقد بنيت السياسات الخارجية والاستراتيجيات العسكرية والاقتصادية على هذا الاساس الايديولوجي. لكن بعد انتهاء الحرب، وانهيار النظام الشيوعي، لم يتأخر ظهور "العدو السياسي الايديولوجي" الجديد. فبعد

---

* برونو كولسون Bruno Colson (١٩٥٧-٠٠٠): كاتب واستراتيجي بلجيكي.

[٢٥٢] باهر مردان، **الاستراتيجية الامريكية الاهداف والوسائل والمؤسسات**، ل.ن.،بكين، ٢٠١٤، ص ١٠

[٢٥٣] عمار بهاء الدين، **مستقبل التنافس الروسي الاميركي في الشرق الاوسط: دراسة في الابعاد الاقتصادية والسياسية**، ط١، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٠٧

[٢٥٤] باهر مردان، م.س.، ص ٨-٩

[٢٥٥] كمال حماد، م.س.، ص ٥٤

[٢٥٦] باهر مردان، م.س.، ص ١٢

تفجيرات مركز التجارة العالمي في شباط ١٩٩٣، ومكتب التحقيق الفدرالي في نيسان ١٩٩٥، تم "توجيه الرأي العام الأميركي ضد العرب والمسلمين، وقد صور الاعلام الأميركي أن العدو الجديد أصبح الاسلام بدلاً من الشيوعية."[٢٥٧] اما حالياً وبعد الاعلان عن القضاء على داعش، فان التوجه لاعلان العدو الجديد بات واضحاً وهو ايران التي تبنت قمة وارسو بقيادة الولايات المتحدة في شباط ٢٠١٩ توصيفها بـ"الخطر الاكبر الذي يهدد امن واستقرار المنطقة"[٢٥٨]، اضافة الى وضع كل المنظمات المرتبطة بها مثل حزب الله في لبنان وحماس وحتى الحرس الثوري (والذي يعد سابقة نظراً لتصنيف احد الاذرع الرسمية لدولة على بالارهابية) على قوائم الارهاب الاوروبية والاميركية والخليجية.

بناء عليه اعتبرت الولايات المتحدة نفسها الوصية على نشر الديقراطية والحفاظ على حقوق الانسان والسلم الدولي ومحاربة الارهاب الذي يعد المهدد الابرز للسلم الدولي، لكنها عمدت الى محاولة فرضها على الدول انتقائياً بما يتناسب مع مصالحها. فقدمت الدعم السياسي والعسكري للمعارضة ضد الانظمة التي لا تحترم حقوق الانسان والمجتمعات التي لا تتمتع بالديمقراطية وفق تصنيفها، في المناطق التي تخدم استراتيجيتها كما حصل في سوريا وفنزويلا. في حين أن اهم حلفائها يتكونون من نظم غير ديمقراطية، مثل دول الخليج العربي.

وقد انقسم سياق السياسة الخارجية للولايات المتحدة الى قسمين: اتباع حلفائها لقرارها السياسي، وتقديم الدعم السياسي عند تقاطع مصالح الحلفاء مع مصالحها. فقد حرصت على عدم تمكين الاتحاد الاوروبي على سبيل المثال، من تحقيق تكامل سياسي يمكّنه من اخذ خيارات سياسية مستقلة لا تأخذ بعين الاعتبار المصالح الأميركية. وهو ما يظهر ايضاً في الازمة الخليجية مع قطر، حيث تُظهر الولايات المتحدة نفسها كوسيط يملي على الاطراف كيفية التصرف وفقاً لمصالحه، مع عدم تمكن الاطراف من الوصول الى حل في ضوء التدخلات الاميركية لحل الازمة.

اما الدعم السياسي فقد تمثل بحركة السفراء النشطة، والمساندة على الصعيد الدولي من خلال السيطرة على القرار الدولي. فتارة تتحرك ازاء الازمات تحت غطاء دولي عبر تفعيل هيئة الأمم المتحدة كما حصل في الخليج العربي والصومال، و تارة أخرى بدونها أو حتى بتهميشها كحالة البوسنة. اضافة الى ذلك، تعمل الولايات المتحدة على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة اذا ما اقتضت مصلحتها ذلك، وهو ما حصل في حالة العراق. أو انها تمنع أي قرار دولي لا توافق عليه كما هو الحال في الصراع العربي "الاسرائيلي". فعملية ثعلب الصحراء ضد العراق، وما حصل من تجاوز للامم المتحدة والقانون الدولي، اعادت مجدداً طرح استفهام عريض حول

---

[٢٥٧] كمال حماد، م.س.، ص ٦٣

[٢٥٨] عبد الباري عطوان، **"مع اقتراب اعلان هزيمة داعش النهائية من هو العدو الجديد"**، موقع رأي اليوم، ٧ ٣ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٩ ٨ ٢٠١٩ www.raialyoum.com

دورها بعد الحرب الباردة. وهو ما تبرزه سياسات الولايات المتحدة اما عبر "التجاهل والاستهانة بالقانون الدولي اما في صورة خرق وانتهاك دائمين لاحكامه، او في صورة تطويع وانتقاء انتهازيين له عند الحاجة الى استعماله."[٢٥٩] والجدير ذكره في هذا المجال أن الولايات المتحدة حاولت اضفاء شرعية على تدخلاتها في مجموعة من الازمات من خلال المفاهيم السياسية التي طُبقت انتقائياً مثل حق التدخل الانساني ومسؤولية الحماية، حقوق الانسان، ونشر الديمقراطية.

أما الاساس الاقتصادي الذي قامت عليه السياسة الخارجية الاميركية، فقد تمثل بشكل اساسي في حماية مصادر الطاقة وابقائها تحت سيطرة ونفوذ الولايات المتحدة، اضافة الى سيطرتها على الممرات البحرية والبرية التي تشكل اساس الحركة التجارية العالمية.

بناء على ما تقدم، صنفت "استراتيجية الامن القومي لقرن جديد" التي اعدتها ادارة الرئيس بيل كلينتون والتي صدرت نسختها الاخيرة عام ٢٠٠٠، المصالح الاميركية الى ثلاث درجات: المصلحة الملحة التي تضمن الوجود المادي للولايات المتحدة ... الثانية المصالح المهمة التي لا تؤثر في البقاء المادي... ويشمل ذلك المناطق التي توجد فيها مصالح اقتصادية... الثالثة المصالح الانسانية كقضايا حقوق الانسان ونشر الديمقراطية."[٢٦٠]

وانطلاقاً من هذه المصالح بنت السياسات الخارجية الاميركية استراتيجياتها، وسعت الى تحقيقها من خلال مجموعة من الادوات التي يمكن تقسيمها الى قوة صلبة، قوة ناعمة، وقوة ذكية. والقوة الصلبة تعني الحرب بشكل مباشر او غير مباشر من خلال استخدام القوة العسكرية في حرب او ضربات او حصار عسكري. فلم تتردد الولايات المتحدة من خوض حروب والقيام بغزو بلدان أخرى وتنفيذ عمليات عسكرية واسعة النطاق حين وجدت فيها ضرورة كما حصل في العراق. في هذا السياق ادرجت الولايات المتحدة استراتيجية الحرب الاستباقية التي استندت الى القيام بعمليات عسكرية في مناطق من المحتمل أن تشكل تهديداً لمصالح الولايات المتحدة قبل ظهور هذا الخطر فعلياً، مما أعطاها مرونة اكبر في تحركاتها العسكرية.

الا أنها لم تلجأ للقوة الصلبة عند تمكنها من تحقيق مصالحها عبر القوة الناعمة والتي تعني استخدام عناصر القوة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية. ثم برزت القوة الذكية في مرحلة الرئيس الاميركي باراك اوباما، وهو ما اكدته استراتيجية الامن القومي الاميركي للعام ٢٠١٠ لتثبيت مبدأ حفاظ اميركا على مصالحها في غير منطقة من العالم، مع تقليص احجام القوى العسكرية المنتشرة[٢٦١]، والذي كان الدافع وراءه اقتصادي عبر تقليص مصاريف هذه القوى. والقوة الذكية تعني المزج بين القوة الصلبة والقوة الناعمة

---

[٢٥٩] عبد الاله بلقزيز، **ماذا تبقى من الامم المتحدة في العدوان على العراق والمجتمع الدولي**، افريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٩، ص ٧١

[٢٦٠] باهر مردان، م.س.، ص ١٠

[٢٦١] علي بشار بكر اغوان، **الفوضى الخلاقة: العصف الرمزي لحرائق الشرق الاوسط**، ط١، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٦٩-١٧١

كسبيل لتأمين الاهداف، والتي يتابع استعمالها الرئيس ترامب، ولو بصيغ مختلفة وأكثر عدائية، من خلال التلويح بالخيارات العسكرية تارة ودعوة أعدائه للحوار تارة أخرى.

بناء على ما تقدم، يظهر أن الولايات المتحدة تعمل بعد الحرب الباردة على ايجاد نظام عالمي تستطيع بموجبه التحكم بمفاصله. فالسياق الذي سارت فيه السياسات الخارجية الاميركية تدل على النية الاميركية في ابقاء مركزية القرار الدولي لديها، من خلال منع أي قوة أخرى من منافسة نفوذها وسيطرتها، والحفاظ على مصالحها في مجمل الازمات بغض النظر عن أطراف النزاع أكانوا حلفاء ام أعداء.

وبغية تحقيق هذه الاهداف، اشار الاستراتيجيون الاميركيون أمثال بريجينسكي وكيسنجر الى ضرورة انتباه الولايات المتحدة من صعود أي قوة أوراسية بالدرجة الاولى، وزيادة النفوذ الاميركي في تلك المناطق لمنع ملئه من أي قوة أخرى لا سيما منطقة الشرق الاوسط، فـ"النجاح الجيوسياسي الاساسي يتمثل في بسط الهيمنة الاميركية على أوراسيا."[٢٦٢] فالتقارب الذي تتبعه روسيا "مع كل من الهند والصين، وتقاربها مع كل من المانيا وفرنسا قد يمكنها من ان تصبح في مستقبلاً منافساً للولايات المتحدة."[٢٦٣] لذلك كان لزاماً علينا تسليط الضوء على السياسات الخارجية الاميركية تجاه بعض الازمات في اوروبا وآسيا، وتحليل اهدافها، من أجل معرفة الاهمية الجيوبوليتيكية التي توليها الولايات المتحدة لها.

ثالثاً: المصالح الاميركية في أوروبا

لطالما حظيت اوروبا باهتمام كبير من سياسات الولايات المتحدة الخارجية. وقد انصب هذا الاهتمام بشكل دائم على عملية اتباع اوروبا للقرار الاميركي، والحرص على تكريس السيادة الدولية للولايات المتحدة. من هنا يظهر جلياً اهمية اوروبا كبقعة جيوبوليتيكية للقوى الدولية من اجل ضمان الهيمنة العالمية وقطع الطريق على اي قوة اخرى تسعى للهدف عينه. لذلك من المهم تسليط الضوء على السياسات الاميركية تجاه اوروبا والتي يمكن تبيانها من خلال عرض السبل الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي اتبعتها الولايات المتحدة اتجاه اوروبا.

ان تبعية الغاز الاوروبية لروسيا دفعت الولايات المتحدة للبحث عن بدائل له لتحقيق هدفين اساسيين: الاول يتمثل بحرمان روسيا من التحكم باوروبا وبالتالي حيازتها على ملف يمكن لها من خلاله الضغط على اوروبا لتمرير مشاريعها او جذب اوروبا لجانبها. اما الثاني فيكمن في استكمال سيطرة الولايات المتحدة على السوق النفطي العالمي وابقاء مشاريع وخطوط مد النفط والغاز تحت نفوذها.

---

[٢٦٢] اليكس كالينيكوس، **الاستراتيجية الكبرى للامبراطورية الامريكية**، مركز الدراسات الاشتراكية، ل.م.، ل.ت.، ص ١٣

[٢٦٣] نغم ابو شقرا، **"تفكك الاتحاد السوفياتي بين المؤثرات الخارجية والتفاعلات الداخلية"**، اشراف الدكتور محمد منذر، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادراية، رسالة لنيل ماستر في العلاقات الدولية والدبلوماسية بيروت، ٢٠١٣، ص ٨٠

وقد تبلورت هذه المحاولات عن طريق العمل على "مشروع خط انابيب نقل النفط (باكو–تبليسي– جيهان)، القادم من منابع اذربيجان ويمر عبر اراضي جورجيا ليصل الى تركيا"[٢٦٤] والذي تترجم بتوقيع اعلان انقرة[*] في تشرين الاول من عام ١٩٩٨. من هنا يرى بريجينسكي ان قطع العلاقات بين جورجيا وروسيا "سوف يؤدي الى منع الاحتكار الروسي للغاز الاوروبي."[٢٦٥] على صعيد آخر، تحرّكت أوروبا ومن بعدها أميركا، وولّدت فكرة مشروع خط "نابوكو" الذي تمّ التوقيع عليه في أنقرة في العام ٢٠٠٩، الذي يربط الغاز من آسيا الوسطى عبر بحر قزوين ثم اذربيجان فتركيا ليصل الى النمسا بعيداً عن اراضي روسيا.

ان من شأن مثل هذه الخطوط اعطاء فكرة عن النية الاميركية بعزل روسيا، والغاء اعتماد اوروبا على الغاز الروسي من جهة، وتكريس سيطرتها على خطوط امداد الطاقة الدولية. فهي تقوم، على اقل تقدير، بتقيلص الدور الروسي المتحكم بالغاز الاوروبي، والذي يعد الاداة الاسياسية التي يمكن لروسيا أن تتحرك بها تجاه أوروبا، اضافة الى اعتماد الاقتصاد الروسي عليه.

وفي سياق اقتصادي آخر، تشكل اوروبا سوقاً هاماً للتجارة العالمية، اضافة الى موقعها الذي يشكل حاجة اميركية من اجل السيطرة على التجارة العالمية. من هنا اطلق ممر النقل الرابط بين اوروبا ومنطقة القوقاز وآسيا او ما اطلق عليه تسمية "تراسيكا". وبغية تحقيق هذا الممر لاهدافه، كان لزاماً على الولايات المتحدة ان تبسط نفوذها على شرق اوروبا، وخاصة اوكرانيا التي يمر بها هذا الخط، كصلة وصل بين مصادر الطاقة في آسيا واسواق الطاقة والتجارة الكبيرة في اوروبا. وهو ما ينقلنا الى تبعية الاقتصاد الاوروبي للولايات المتحدة "فالنظام الكنتي الجديد لأوروبا يمكنه الازدهار فقط في ظل مظلة القوة الأمريكية."[٢٦٦] وهو ما يدفع الولايات المتحدة للسعي الى وقف اندفاعة روسيا اتجاه اوروبا، "على خلفية هاجس امريكي حاد بخطورة قيام حالة من الاقتران بين القوة الاقتصادية الضاربة للقطب الاقتصادي الدولي الجديد (الاتحاد الاوروبي) وبين القوة العسكرية الضاربة الروسية."[٢٦٧]

ان الاهداف الاقتصادية الاميركية في اوروبا على صعيد النفط والتجارة تتبين من خلال ما تم عرضه، الا انه في ظل الازمات الاقتصادية المتلاحقة في الولايات المتحدة والعالم الرأسمالي، ظهرت اهمية اقتصادية اخرى لاميركا في اوروبا تكمن في مبدأ الدفع مقابل الحماية الذي ينادي به الرئيس الاميركي ترامب. وهو ما دفعه للقول ان"الولايات المتحدة لن تدافع عن الحلفاء الاوروبيين اللذين يمتنعون عن الدفع."[٢٦٨] حيث ترى

---

[٢٦٤] فتيحة فرقاني، م.س.، ص ١٠٠

[*] اعلان وقعه كل من تركيا، اذربيجان، اوزبكستان، كازاخستان وجورجيا برعاية اميركية لاعتماد خط باكو-جيهان لنقل نفط قزوين الى تركيا ومنه الى اوروبا

[٢٦٥] زبيغنيو بريجينسكي، **رؤية استراتيجية: امريكا والسلطة العالمية**، ترجمة فاضل حبتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٠٧-١٠٨

[٢٦٦] اليكس كالينيكوس، م.س.، ص ٣٨

[٢٦٧] عبد الاله بلقزيز، م.س.، ص ٤٧

[268] Philip H. Gordon and Jeremy Shapiro, **“how Trump killed the Atlantic alliance”,** foreign affairs, 26 2 2019, site visited on 28 2 2019

الولايات المتحدة ان اوروبا محمية اميركياً عبر حلف الاطلسي، وان الحصة الاوروبية من تمويله ليست عادلة، لذا وجب زيادة هذه الحصة التمويلية وبالتالي تخفيف الاعباء الاميركية في هذا الخصوص مع ابقاء الولايات المتحدة للناتو كأداة عسكرية بيدها.

عسكرياً، تشكل اوروبا العنصر الاهم في السيطرة الاميركية على العالم. ولم يكن الحلف الاميركي الاوروبي قائماً على اساس العلاقات الودية والمصالح المشتركة. بل سعت الولايات المتحدة الى استغلال هذه العلاقة حسب مصالحها، فـ"توسيع حلف الأطلنطي والاتحاد الأوروبي كان وسيلة لتأكيد الهيمنة الأمريكية في أوراسيا، وليس بديلاً عن السيادة الأمريكية."[٢٦٩] فلم تر الولايات المتحدة اوروبا شريكة لها في السابق، ولا يبدو ان الامر تغير، فالرئيس ترامب "يرى في اوروبا منافس للولايات المتحدة اكثر من كونها شريك."[٢٧٠]

لذلك تحاول الولايات المتحدة تجميع الاوروبيين حول مركزية القيادة الاميركية للعالم التي تحاول الادارة الاميركية العودة اليها، انطلاقاً من أن اي تجمع او تحالف في اوراسيا من شأنه تهديد الموقع الريادي للولايات المتحدة في الساحة الدولية. وهو ما ظهر في استراتيجية الامن القومي للرئيس بوش الابن القائلة: "أن هدفنا الأول هو منع اعادة ظهور منافس جديد... يجب أن تركز استراتيجيتنا الآن على منع انبثاق أي منافس كوني مستقبلي كامن."[٢٧١] ولا يزال منطلق ان "اوروبا ليست كياناً قائماً" مُعتمَداً في السياسة الخارجية الاميركية وهو ما اكده وزير الخارجية الاميركي مايك بومبيو خلال تصريح له في عاصمة الاتحاد الاوروبي بروسيل، في كانون الاول ٢٠١٨، حين استثنى "الاتحاد الاوروبي من القائمة القصيرة للمنظمات الدولية التي تعتبرها الولايات المتحدة فعالة."[٢٧٢]

هكذا يكون الاتحاد الاوروبي على الحال الذي هو عليه، اي غير مستقل سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وبتبعيته للولايات المتحدة، ضرورة جيوبوليتيكية اميركية لمنع ظهور اي اتحاد اوراسي، او اوروبي من شأنه منافسة النفوذ الاميركي. والدليل الاحدث على ذلك، الدعم العلني للرئيس ترامب لعملية خروج بريطانيا من الاتحاد الاوروبي، اضافة الى التصريحات التي هاجم فيها فرنسا بعد اقتراح الرئيس ماكرون في ٥ تشرين الثاني ٢٠١٨ "ان تكون لدى اوروبا القدرة على حماية نفسها في الغالب بمفردها، حتى بدون مساعدة الولايات المتحدة"[٢٧٣]، مما يؤكد حاجة الولايات المتحدة لاوروبا غير موحدة.

---

www.foreignaffairs.com

[٢٦٩] اليكس كالينيكوس، م.س.، ص ١٦

[270] Philip H. Gordon and Jeremy Shapiro, opcit.

[٢٧١] اليكس كالينيكوس، م.س.، ص ٢٦

[272] Philip H. Gordon and Jeremy Shapiro, opcit.

[٢٧٣] موقع روسيا اليوم بالعربية، ٩ تشرين الثاني ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣٠ ٩ ٢٠١٩
www.arabic.rt.com

لكن بقاء الاتحاد الاوروبي بشكله غير المتكامل ليس المصلحة الوحيدة للولايات المتحدة. فمن جهة، تستخدم الولايات المتحدة حلف الناتو في الازمات التي تستدعي التدخل العسكري، خاصة في اوروبا، كي تضفي على هذا التدخل صفة الدولي. فقد شنت الولايات المتحدة حرب البلقان في عام ١٩٩٩تحت غطاء حلف الناتو، على الرغم من عدم وجود مسوغ اممي من مجلس الأمن. فالحملة التي قام بها الناتو على صربيا عام ١٩٩٥ وفي عام ١٩٩٩ تؤكد على تبعية الاتحاد الاوروبي للولايات المتحدة. فقد "اضطلع توسع حلف الناتو في وسط وشرق اوروبا اثناء حرب البلقان عام ١٩٩٩ بثلاثة مهام: اولاً قام بتدعيم قيادة أمريكا لأوروبا الغربية ووسع مدى هذه القيادة ناحية الشرق. ثانياً قام باضفاء المشروعية على اختراق المنطقة الهامة لوسط آسيا وأعطى لحلف الاطلنطي الرخصة للقيام بعمليات هناك. ثالثاً سمح باستراتيجية جديدة لتطويق روسيا."[٢٧٤]

ومن جهة أخرى لاستعمال هذا المكون العسكري كبديل للقوات الاميركية في حماية مصالحها في بقع التوتر والازمات. ففي افغانستان استندت الادارة الاميركية على قرار مجلس الامن ١٣٧٣، لكنها نفذت هجومها عبر حلف الاطلسي، فكانت هذه الحرب "هي الابعد فيما يتعلق بالعمل العسكري للحلف خارج المجال الاوروبي."[٢٧٥] كذلك إثر اعلان ترامب نية الانسحاب من سوريا، "طلب رسميون اميركيون من الاوروبيين ارسال قوات ليحلوا مكان القوات الاميركية."[٢٧٦] وهذه الفكرة يؤكدها تصريح وزير الخارجية الاميركي مايك بومبيو، ان الانسحاب، ان حصل، سيكون تغييراً في التكتيك وليس في الاستراتيجية. اي ان الوجود العسكري الاوروبي سيكون مستغلاً اميركياً للحفظ المصالح الاستراتيجية الاميركية في الازمة.

اما في العراق، فقد استعانت الولايات المتحدة بـ"تحالف الراغبين" المبني اساساً على حليفتها الاوروبية بريطانيا، بعد فشل الحصول على قرار دولي، لاعطاء الصفة الدولية ومن خلفها الشرعية على هذا الهجوم. خاصة بعد فشل استصدار قرار من مجلس الامن لاستخدام القوة في العراق بعد مزاعم اشلحة الدمار الشامل. لكن التحالف استند الى القرار ١٤٤١ وفسره على انه ايذان لاستخدام القوة عبر التحذير الموجه للعراق بانه سيواجه عواقب وخيمة نتيجة لانتهاكاته المستمرة لالتزاماته.[٢٧٧]

ان الاهتمام الاميركي باوروبا يتعدى التحالف العسكري واستخدامها عبر الناتو او الاحلاف المرحلية كقوة عسكرية تحقق بها مصالحها في اوروبا واسيا. فاوروبا القارة التي تتوسط العالم القديم، تمتلك مقومات جيوبوليتيكية تجعلها قادرة على لعب دور عالمي في حال توحدها، وتشكل نقطة ارتكاز اساسية في السياسة االخارجية لاي دولة تسعى لبسط النفوذ العالمي. من هذا المنطلق، تعمل الولايات المتحدة على ابقاء اوروبا

---

[٢٧٤] اليكس كالينيكوس، م.س.، ص ١٤

[٢٧٥] عدنان السيد حسين، **التوسع الاطلسي**، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٨٠

[276] Philip H. Gordon and Jeremy Shapiro, opcit.

[277] Garry Leech, **Crude Interventions: The United States, Oil and the New World (did)order**, Palgrave Macmillan, New York, 2006, p 34

في فلكها السياسي، وتوسيع بقعة تأثيرها خاصة ناحية الشرق لمواجهة محاولات التمدد من القوى الاوراسية، والتي تشكل تهديداً استراتيجياً للنفوذ العالمي الاميركي، وخاصة روسيا.

لذلك سعت الولايات المتحدة الى جذب الدول الاوروبية خارج الاتحاد الاوروبي، وخاصة دول اوروبا الشرقية، والتي كانت تحت التأثير السوفياتي او تابعة له، من خلال السعي الى ضمها للاتحاد الاوروبي او حلف الناتو، ابرام اتفاقيات دفاعية واقتصادية معها، او دعمها بالسلاح والاقتصاد. من هنا، ايدت الولايات المتحدة سيادة جورجيا عقب الهجوم الروسي عام ٢٠٠٨، وايدت انضمامها الى الناتو، بعد ان "قدمت لها مساعدات بقيمة مليار دولار".[٢٧٨] وبعد ضم روسيا للقرم، اعلنت الولايات المتحدة رفضها لهذا العمل، و"اقر الكونغرس الاميركي قانون دعم الحرية في اوكرانيا فضلاً عن دعمها بمساعدات عسكرية بقيمة ٣٥٠ مليون دولار."[٢٧٩]

لم تتمكن جورجيا من الانضمام الى الناتو لاسباب سياسية وتدخلات روسية، لكن ذلك لم يمنع الانخراط العسكري معه. فقد أعلن رئيس الوزراء الجورجي، إيراكلي غاريباشفيلي، أن بلاده أصبحت رابع دول العالم غير الأعضاء في الناتو، لكنها انضمت الى قوات الرد السريع التابعة للحلف الأطلسي[٢٨٠]. ان من شأن زيادة التعاون العسكري بين جورجيا والناتو أن يضع قوات غربية على الحدود مباشرة مع روسيا، اضافة الى امكانية نشر الدرع الصاروخي هناك في حال الانضمام للحلف.

كما "اكد مركز الدراسات الإستراتيجية الروسي، في تقرير له أن كييف ستبني علاقات مع المؤسسات الغربية من دون عضويتها في الحلف"[٢٨١]، فالنفوذ الاميركي في اوكرانيا يعد "اداة ضغط على روسيا في منطقة الشرق الاوسط واوراسيا."[٢٨٢] كما سعت الولايات المتحدة اضافة الى ضم جورجيا واوكرانيا الى حلف الاطلسي، الى وضع بولندا تحت النفوذ الاميركي فوقعت معها "اتفاقية في العام ٢٠٠٨ تقضي بنشر الدرع الصاروخي الاميركي على الاراضي البولندية في العام ٢٠١٢."[٢٨٣]

ان عدم وجود حواجز جغرافية بين اوكرانيا وروسيا، اضافة الى موقع اوكرانيا الرابط لروسيا باوروبا والمياه الدافئة، جعلتها هدفاً اساسياً للنفوذ الغربي بغية تقليص الهيمنة والتأثير الروسي الاقليمي والدولي، شأنها شأن جورجيا. فأوكرانيا تشكل "جسراً بين اوروبا وروسيا من جهة كما انها تعتبر منطقة عازلة بينهما من جهة اخرى"[٢٨٤]، وكما قال بريجينسكي فانه "من دون اوكرانيا لا تعود روسيا امبراطورية اوروبية، وهو ما يجعل

---

[٢٧٨] زبيغنيو بريجينسكي، **رؤية استراتيجية: امريكا والسلطة العالمية**، ترجمة فاضل حبتكر، م.س.، ص ١٠٧

[٢٧٩] حيدر سامي عبد، **القوة الذكية في السياسة الخارجية الاميركية بعد عام ٢٠٠٨**، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٧، ص٣٣٣-٣٣٤

[٢٨٠] يارا انبيعة، م.س.

[٢٨١] يارا انبيعة، "، م.س.

[٢٨٢] وسيم خليل قلعجية، **روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين**، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٨٥-١٨٦

[٢٨٣] فتحي ذيات سبيتان، **قضايا عالمية معاصرة**، الجنادرية للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١١، ص ٢٥٦-٢٥٨

[٢٨٤] وسيم خليل قلعجية، م.س.، ص ١٨٤

اوكرانيا جزء لا يتجزأ من مفهوم روسيا عن الخارج القريب (اي مفهوم النفوذ الروسي في المناطق المحيطة بها)."[٢٨٥]

ان السعي الاميركي الى زيادة النفوذ في اوكرانيا وجورجيا تعني اغلاق المجال البحري الروسي. فينقطع اتصال القوى البحرية الروسية مع المياه الدافئة من جهة، وتؤدي الى تأمين حماية طرق المشاريع النفطية، كما تهدد ميناء طرطوس وهو المطل الروسي الوحيد على المتوسط. وهكذا تكون الولايات المتحدة قد احاطت بروسيا ضمن حدودها، والهتها بمشاكل مع جيرانها على حدودها وداخل مجالها الحيوي. ومع "تقليص مناطق نفوذها في الجوار الاقليمي تضطر روسيا للخروج كقطب مؤثر"[٢٨٦]، وتعود الى ممارسة سيادتها على ارضها فقط كأي دولة اخرى لا يتعدى تأثيرها حدودها السياسية، وان فعلت لم تتجاوز مناطق جوارها.

ان الاقتراب من الحدود الروسية ومحاولة فرض النفوذ في دول الجوار الروسي هدفه "الحد من ممارسة روسيا لنفوذها الاقليمي بما يتعارض مع مصالح الغرب."[٢٨٧] لذلك نرى ان الاهتمام الاستراتيجي باوروبا الشرقية لا زال قائماً، فقد "ارسل ترامب المزيد من القدرات الدفاعية الى اوروبا الشرقية، والسلاح الى اوكرانيا"[٢٨٨] بعد الازمة الاوكرانية لابقائها ضمن المنظومة المدعومة اميركياً، في مواجهة التمدد الروسي.

سياسياً، استخدمت الولايات المتحدة اوروبا في ملفات ترتبط مباشرة بمصالحها. انطلاقاً من "اتفاق دايتون"، حيث عهدت الولايات المتحدة للحلف الاطلسي بالتعامل مع ازمة البلقان "وصولاً الى اشرافها على حل سياسي رأى النور على النحو الذي استجاب لمصالحها."[٢٨٩] مروراً باستخدام الثورات الملونة لاظهار روسيا على أنها العدو لدول الجوار كاوكرانيا، وهو ما اشارت له وثيقة الامن القومي الروسي الصادرة عام ٢٠١٥ بأنه يشكل تهديد "في المحيط الروسي، وخصوصاً في اوكرانيا، السيادة الروسية وسط تغذية الايديولوجيات القومية المتطرفة"[٢٩٠] وترسيخ العداء "على مستوى الفكر السياسي والوعي الاجتماعي"[٢٩١].

ويظهر استمرار الولايات المتحدة اتباع سياسة ترسيخ الهوة بين روسيا ومحيطها، فقد اتهمت الولايات المتحدة روسيا في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية المحدثة عام ٢٠١٧ بالتدخل في جورجيا وأوكرانيا باعتبار أن روسيا تظهر بذلك استعدادها إلى خرق سيادة دول المنطقة. كما أكدت الاستراتيجية أن الولايات المتحدة وأوروبا ستعملان سويا لمواجهة نشاط روسيا التخريبي وعدوانيتها.[٢٩٢] كما "كان الهدف الاميركي (من الازمة الجورجية)

---

[٢٨٥] باراج خانا، **العالم الثاني السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد**، ترجمة دار الترجمة، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٦٢

[٢٨٦] حيدر سامي عبد، م.س.، ص٣٣٠-٣٣١

[٢٨٧] فتحي ذيات سبيتان، م.س.، ص ٣٠٢

[288] Philip H. Gordon and Jeremy Shapiro, opcit.

[٢٨٩] عبد الاله بلقزيز، م.س.، ص ٤٨

[٢٩٠] جورج الخوري، م.س.، ص ١٣

[٢٩١] يارا انبيعة، م.س.

[292] **2017 National Security Strategy of the united states December 2017**
WWW.WHITEHOUSE.GOV>2017/12>NSS-FINAL-12-18-2017-0905

تخويف دول المعسكر الشرقي السابق من تنامي الخطر الروسي."[٢٩٣]وصولاً الى ازمة الاتفاق النووي مع ايران في العام ٢٠١٥، فعلى الرغم من ارادة الاطراف الاوروبيين في الحفاظ على الاتفاق، الا انهم تبنّوا التوجه الاميركي فيما خص الاتفاق.[٢٩٤]

بناء على ما تقدم، يمكن القول ان النفوذ الاميركي في اوروبا يحقق لها مجموعة من الاهداف تصب في فرض النفوذ الاميركي العالمي:

أ- الحؤول دون قيام اتحاد اوروبي كامل يتمتع بالقرار السياسي المستقل مع قوة عسكرية تمكنه من التصرف وفقاً لمصالحه دون اخذ المصالح الاميركية بعين الاعتبار.

ب-استخدام التحالف الاقوى عسكرياً، الناتو، في القضايا التي تعني الولايات المتحدة فتأخذ الطابع الدولي بدل ان يكون تدخلاً اميركياً من طرف واحد.

ج- محاصرة روسيا وحرمانها من مداها الحيوي، ومن الوصول الى المياه الدافئة، وصولاً الى منعها من تحقيق الاتحاد مع اوروبا.

د- التحكم بمفاصل الملاحة البحرية العسكرية والتجارية.

هـ-كسر الاحتكار الروسي للغاز الاوروبي والسيطرة على منابع وخطوط نقل النفط، وبالتالي اضعاف روسيا اقتصادياً وزيادة السيطرة الاقتصادية الاميركية اوروبياً وعالمياً.

الا ان السياسات الخارجية للولايات المتحدة في اوروبا لا بد ان تتلاقى مع تلك في الشرق الاوسط من اجل تحقيق الغاية الجيوبوليتيكية العليا المتمثلة في منع تطور اي قوة او تحالف اوراسي مناوئ لها، كـ"الشراكة الروسية الصينية التي تشكل تهديد للمصالح الاميركية"[٢٩٥]. ومواجهة طموحات تمدد الدول الاوراسية التي تسعى لتوسيع نفوذها العالمي مثل روسيا والصين. فما هو شكل السياسات الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط والمكملة لتلك في اوروبا؟ وما هي اهدافها ووسائل تحقيقها؟

رابعاً: الوجود الاميركي في الشرق الأوسط

تعتبر منطقة الشرق الاوسط ضرورة جيوبوليتيكية اميركية لابقاء الهيمنة الاحادية على مفاصل العلاقات الدولية. من هنا نرى ان السياسات الخارجية الاميركية بعد الحرب الباردة لم تخلُ من مخططات ابقاء هذه المنطقة تحت السيطرة الاميركية ومواجهة كل ما من شأنه تهديد نفوذها فيها. انطلاقاً من سياسات الشرق

---

[٢٩٣] سارة ابو راشد، **"تغيرات النظام العالمي منذ العام ٢٠٠١ وحتى العام ٢٠١٧"**، اشراف الدكتور علي محمود شكر، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، رسالة لنيل ماستر بحثي في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠١٨، ص ١٠٨

[294] Philip H. Gordon and Jeremy Shapiro, opcit.

[295] Andrea Kendall-Taylor and David Shullman, **“can Washington act before it’s too late?”**, foreign affairs, 14 5 2019

الاوسط الكبير والشرق الاوسط الجديد، مروراً بمحور الشر ومحاربة الارهاب و "سياسة التمحور نحو اسيا"[٢٩٦] التي اعلنتها ادارة الرئيس اوباما، وصولاً الى التواجد العسكري المباشر عبر "الاسطول الأميركي السادس اضافة الى حلف شمال الأطلسي"[٢٩٧]، الذي تدخّل في أكثر من مرة تماشياً مع الادراة الأميركية، لا بد من تسليط الضوء على ابرز الاهداف الجيوبوليتيكية التي تشكلها هذه المنطقة للنفوذ الاميركي وابراز اهم استراتيجياتها لتحقيقها.

تنطلق اهمية الشرق الأوسط الجيوبوليتيكية في السياسات الاميركية، من موقعه الرابط بين طرق المواصلات العالمية البحرية والبرية والجوية، ومخزون موارد الطاقة الكبير الذي يحويه، في ظل الهداف الاستراتيجي للادارة الاميركية في المنطقة والمتمثل بـ"السيطرة الكاملة على منابع النفط ومصادر الطاقة في المنطقة بالاضافة الى خطوط نقلها الى اوروبا واميركا"[٢٩٨] اضافة الى الحفاظ على امن "اسرائيل".

من هنا تظهر أهمية ابقاء النفوذ الأميركي في الشرق الاوسط في شقين. **الاول يتمثل في فرض الهيمنة الاميركية وزيادة النفوذ في تلك المناطق التي تحتوي على الممرات البحرية والبرية التي يمكن استخدامها لانابيب النفط والغاز. والثاني من أجل منع القوى الاقليمية والدولية الاخرى، على رأسها روسيا، من تركيز مكان لها في تلك المعادلة الجيوبوليتيكية.** فقد زادت اهمية الشرق الاوسط للولايات المتحدة مع ضم روسيا للقرم وتثبيت نفوذها في جورجيا مخافة امتداد هذا النفوذ الى المياه الدافئة ومنابع النفط وطرق الامداد العالمي به. لذلك تعمل الولايات المتحدة على استثمار الازمات فيه لزيادة نفوذها.

قال روبرت كابلان ان تركيا تشكل "القوة التي تفرض التوازن"[٢٩٩]، فهي صلة الربط بين اوروبا وآسيا. ويمكن الاستدلال على ذلك من اهميتها للصين التي تراها "تشغل موقعاً استراتيجياً اساسياً في مبادرة "الحزام والطريق"."[٣٠٠] فتركيا تؤمن حاجزاً بين اي قوة اوراسية والبحر المتوسط، وخاصة القوة البحرية الروسية المتواجدة في ميناء سيفاستيبول في البحر الاسود، والتي تعد تركيا ممرها الالزامي للوصول الى المياه الدافئة.

كما تسعى الولايات المتحدة الى الغاء او تقليص الاعتماد الاوروبي على الغاز الروسي، وفي هذا السياق لتركيا دور هام بما يخص خطط امداد الغاز البديل لاوروبا. فوصل موارد الطاقة القوقازية بسوق الطاقة العالمي يمر شمالاً عبر روسيا او جنوباً عبر ايران، وهذا يعطي منافسي الولايات المتحدة القدرة على التأثير على خط نقله. من هنا، يعد نقل هذا النفط غرباً "من جيهان التركية عبر خط أنابيب ايلات–اشكلون

---

[٢٩٦] جوان كول، **"السياسة الاميركية في الشرق الاوسط في الفترة الرئاسية الثانية لباراك اوباما"**، ط١، سلسلة محاضرات الامارات ١٦٧، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ٢٠١٤، ص ٣-٤

[٢٩٧] كمال حماد، م.س.، ص ٨٢

[٢٩٨] احمد سعيد نوفل وآخرون، **التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية**، ط١، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣٠٠

[299] Robert Kaplan, **Monsoon**, random house trade paperbacks, USA, 2011, p 329

[٣٠٠] نادين شلق، **"محفزات الاستدارة وكوابحها"**، جريدة الاخبار، ٢٣ ٨ ٢٠١٩

"الإسرائيلي"، ضرورة قصوى للولايات المتحدة، وبالتالي يُكسب تركيا اهمية اضافية. فبذلك يصبح من الممكن تسويق النفط الأذري وحتى الغاز إلى الأسواق العالمية".[301]

اما الغاز القطري الذي تعمل الولايات المتحدة على وصله باوروبا، فان سبيله يمر عبر "خط ينطلق منها ويمرّ بسوريا وتركيا ليلتقي بخط نابوكو"[302]. بناء عليه، تصبح تركيا ممراً وصلة هامة للنفط والطاقة باوروبا خاصة وان الممرات البحرية هرمز وباب المندب والسويس، والتي لا بد ان تسلكها هذه المواد في حال محاولة ايصالها عبر المتوسط، غير مستقرة وتخضع لتأثير مجموعة من الاطراف.

كما شكلت تركيا، ولا تزال، موقعاً مهماً للقواعد العسكرية الاميركية التي تسهل لها وللناتو الحركة البحرية في المتوسط، اضافة الى المرونة القتالية في الازمات في اوروبا وآسيا من خلال القواعد البرية والجوية. فسمحت الاتفاقية التي عقدت بين الولايات المتحدة وتركيا عام ١٩٦٨ ببناء "٢٦ قاعدة عسكرية، بالاضافة الى مراكز الرصد والانذار المبكر، ومراكز الاتصالات اللاسلكية، وقواعد التجسس وجمع المعلومات، وكذلك التسهيلات البحرية في اهم الموانئ التركية... اضافة الى مجموعة ضخمة من الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى."[٣٠٣] وقد استخدمت الولايات المتحدة هذه القواعد في الكثير من المهمات في الشرق الاوسط اهمها في سوريا، وآخرها العملية التي اودت بحياة زعيم داعش ابو بكر البغدادي في ٢٧ تشرين الاول ٢٠١٩.

اما ايران، فان موقعها على بحر قزوين والخليج الفارسي، ونفوذها في المنطقة يمنحها اهمية على صعيد طرق المواصلات البحرية من خلال تأثيرها على اهم الممرات المائية في المنطقة. هذا التأثير يكون مباشرة بحكم موقعها مثل حالة هرمز، او بالوكالة من خلال نفوذها على باب المندب عبر الحوثيين. وهو ما يعطيها المقومات لتلعب دوراً اقليمياً كبيراً. ويعد البحر الاحمر صلة الوصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، مما يعطي الممرين المائيين باب المندب والسويس اهمية كبرى للتحكم بالملاحة الدولية. ويأتي اعلان سيطرة الولايات المتحدة في شباط ٢٠١٦ على "جزيرة سوقطرة اليمنية التي تتحكم ببحر العرب المطل على باب المندب لجعلها قاعدة عسكرية اميركية"[٣٠٤] ليعطي فكرة عن البعد الجيوبوليتيكي لازمة اليمن وضرورة مكافحة الدور الايراني فيها.

اضف الى ذلك اهميتها على صعيد طرق المواصلات البرية. فخلال لقاء وزير الطرق وبناء المدن الايراني مع الامين العام لبرنامج ممر النقل الرابط بين أوروبا ومنطقة القوقاز وآسيا (تراسيكا) في ٢٨ اب

---

[301] علي حسين باكير، م.س.

[302] م.ن.

[٣٠٣] عوني الحمصي، **"اهم القواعد الامريكية في تركيا"**، موقع دام برس الاعلامي، ٧ ٩ ٢٠١٣، تم الدخول الى الموقع في ١٩ ايار ٢٠١٨
http://www.dampress.net/?page=show_det&category_id=48&id=31653&lang=ar

[٣٠٤] جمال واكيم، **أوراسيا والغرب والهيمنة على الشرق الاوسط**، ط١، دار ابعاد، بيروت، ٢٠١٦، ص ٢٢٧

٢٠١٦، لبحث توسيع التعاون قال الأمين العام للممر "ان ايران تلعب دوراً مهماً من بين ١٣ دولة عضوة في تراسيكا."[٣٠٥]

من هنا، تقوم الولايات المتحدة بمكافحة النفوذ الايراني في المنطقة كونها تعلن العداء لها، مما يجعل من الصعب الحفاظ على المصالح الاميركية بالطرق السياسية معها. لذلك سعت الولايات المتحدة الى محاصرة ايران واحتوائها انطلاقاً من ذريعة محاربة الارهاب الدولي لتقليص نفوذها في المنطقة، من خلال مجموعة من الخطوات العسكرية والسياسية والاقتصادية.

فمن جهة اعتمدت سياسة الضغوط الاقتصادية القصوى التي تهدف الى عزل ايران عن النظام المالي العالمي وحصارها اقتصادياً، اضافة الى خلق حالة من عدم الاستقرار الداخلي. وعسكرياً من خلال اقحامها في صراعات اقليمية عبر اذرعها تؤدي الى استنزافها، وحصارها عبر جيرانها وهو احد اهداف غزو العراق وافغانستان، اضافة الى قاعدة التنف شرق سوريا والتي "يعتقد الاستراتيجيون الاميركيون ضرورة الابقاء على تلك القاعدة لاحتواء ايران ونفوذها الاقليمي في المنطقة."[٣٠٦]. اما سياسياً فعبر اظهارها العدو الاول للمنطقة وخلق حالات الفوضى حولها كما يحصل في العراق اليوم، ومحاولة ادخالها في اتفاقيات تلزمها الحد من تطوير قدراتها كما يجري في محاولة تعديل الاتفاق النووي. بناء على ما تقدم، فان من شأن اخضاع ايران بموقعها الاستراتيجي وشبكة علاقاتها ونفوذها، ان يعزز الهيمنة الأميركية في الشرق الأوسط والتأثير المباشر على الامن القومي الروسي حليف ايران في الشرق.

على صعيد شاطئ المتوسط، لكل من سوريا ولبنان اهمية خاصة في اكمال السيطرة الاميركية على امدادات النفط، ومحاربة التوسع الروسي في المنطقة، بعد التطويق الاقتصادي والبحري الذي قادته الولايات المتحدة في شرق آسيا وبحر البلطيق والبحر الاسود والخليج العربي لمنع القوى الاوراسية من الوصول الى طرق الملاحة العالمية.

لذلك نجد ان الولايات المتحدة تعمل في لبنان على "انشاء قاعدة واسعة لاستقبال الاساطيل الاميركية الرادعة والمراقبة تبدأ من قاعدة حامات في البترون وتمتد حتى مدينة جبيل"[٣٠٧]، وذلك بعد نجاح روسيا في التموضع في سوريا وادخالها ضمن نفوذها. ويؤمن لبنان للولايات المتحدة قوة بحرية وجوية اضافية للقوات الاميركية في المنطقة في مواجهة قاعدتي حميميم وطرطوس اللتان تمركزت فيهما روسيا في سوريا. اضافة

---

[305] **"طهران و"تراسيكا" تدرسان توسيع التعاون الثنائي في مجال النقل"**، موقع الوفاق اونلاين الاخباري، ٢٩ ٨ ٢٠١٦، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٠ ١٠ ٢٠١٨
http://www.al-vefagh.com/News/163938.html

[٣٠٦] ليلى نقولا، **"الشمال السوري...منطقة آمنة أم خطة لتقسيم سوريا؟"**، موقع الثبات، ٢٥ ٢ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٧ ٢ ٢٠١٩
http://athabat.net/article/125649

[٣٠٧] مرلين وهبة، **"الاميركان... الى البترون در؟"**، جريدة الجمهورية، بيروت، ١٢ ٣ ٢٠١٩

الى الاستفادة من الغاز اللبناني و"الاسرائيلي" الذي يمكن ان ينقل الى اوروبا في مواجهة الغاز الروسي. كما ان تأمين منطقة التنف السورية من الجانب الاميركي سيسمح ايضاً للغاز والنفط "الاسرائيلي" بالمرور من الاردن الى العراق بموازاة "مشروع خط الغاز "الإسرائيلي" الذي يشقّ طريقه نحو المرحلة النهائية في الأراضي الأردنية"[٣٠٨]. هذا اضافة الى مشاريع الغاز القطري التي تصل الى تركيا عبر سوريا لتلتقي بخط نابوكو. كما ان موقع التنف بين العراق وسوريا والاردن يساهم في حماية المصالح الاميركية في اية مشاريع اخرى تضم هذه الدول.

اما بالنسبة للخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، فان موقعها واحتياطاتها الهائلة من الطاقة جعلت منها جزء مهماً من السياسات الخارجية للولايات المتحدة. فالتواجد الاميركي في دول الخليج العربي يؤمن له الوصول السهل والسريع على ممرين مائيين من اكثر الممرات حيوية على صعيد نقل النفط والتجارة الدولية وهما هرمز وباب المندب. لذلك تسعى الولايات المتحدة الى ربط دول الخليج بها عبر اتفاقيات امنية دفاعية وتحالفات تضمن لها ابقاء قوات اميركية في المنطقة، ونفوذاً كبيراً على الصعيد السياسي للدول الخليجية.

من هنا نرى القواعد الاميركية الكبرى المتواجدة في هذه الدول، ففي قطر تقع اكبر قاعدة اميركية جوية في العالم، وفي البحرين تكمن قيادة القوة البحرية الاميركية في القيادة الوسطى التي تمتد من القرن الافريقي الى كازاخستان.[٣٠٩] اما السعودية فاهمية التواجد الاميركي يُرى من خلال القوات السعودية حيث "تشتري التكنولوجيا العسكرية الأمريكية المعقدة مع أطقمها البشرية... فهو سلاح استراتيجي لأمريكا على أرض عربية."[٣١٠] اضافة الى انظمة الباتريوت المنتشرة في السعودية والامارات والبحرين وقطر وسلطنة عمان والكويت، والتي تؤمن حماية القوى والمصالح الاميركية في المنطقة.

ان التعاون العسكري والاتفاقيات الامنية الدفاعية بين الولايات المتحدة والدول العربية، والخليجية خاصة، بدأت تأخذ منحاً جديداً، ومنذ ايار العام ٢٠١٧ حين اقترح الرئيس ترامب اثناء القمة العربية الاسلامية في السعودية، "وضع أسس لتشكيل "تحالف الاستراتيجي في الشرق الأوسط (وهو الاسم الرسمي لما أطلق عليه "الناتو العربي") الذي يفترض أن يشمل وفقا للمخططات الأمريكية، ست دول خليجية عربية هي البحرين وقطر والكويت والإمارات وعمان والسعودية، إضافة إلى مصر والأردن."[٣١١] ان الهدف الاساسي من هذا التحالف هو الاستفادة من قوى عسكرية غير اميركية للحفاظ على المصالح الاميركية على غرار الناتو "بما يخفف الضغوط

---

[٣٠٨] اسماء عواد، **"مشاريع النفط العراقية-الاردنية: مخطط اميركي لعزل سوريا؟"**، جريدة الاخبار، ١٣ ٩ ٢٠١٩

[٣٠٩] محمد السيد غنايم، **"القواعد العسكرية الاميركية في العالم العربي"**، ل.ت.، موقع قناة الجزيرة الالكتروني، تم الدخول الى الموقع في ١٧ كانون الاول ٢٠١٩ https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/577162f9-7b5a-4f8d-9fbf-b31a0216fe00

[٣١٠] محمد مراد، م.س.، ص ١٧٩

[٣١١] موقع روسيا اليوم بالعربية تاريخ ١١ نيسان ٢٠١٩، الدخول ٢٩ تشرين الاول ٢٠١٩ www.arabic.rt.com

والعبء العسكري على الولايات المتحدة في الحفاظ على استقرار المنطقة."[312] ان من شأن هذا الحلف ان يحقق غايات السياسات الخارجية الاميركية من حيث فرض السيطرة للمصالح الاميركية في المنطقة من خلال خمسة ميادين اساسية:

أ- تحويل الصراع في المنطقة الى صراع عربي - ايراني بدل عربي - "اسرائيلي".

ب-مجابهة النفوذ التركي والضغط على تركيا في مجال سياساتها التوسعية.

ج- مساندة الحليف "الاسرائيلي" عبر تطبيع العلاقات معه.

د- ابقاء قوة عسكرية للتدخل في المنطقة للدفاع عن المصالح الاميركية عند الحاجة.

هـ-مواجهة محاولة التمدد الروسي في المنطقة من خلال اتفاقيات التسليح.

ويجدر ذكر اهمية موارد الطاقة في السياسة الخارجية الاميركية، فنفط الخليج وشرق المتوسط يشكل بديلاً هاماً للغاز الروسي. لذلك، نرى ان السياسات الاخيرة التي اتبعها الرئيس ترامب حول تخفيف القوات العسكرية بشكل مباشر في المنطقة من اجل تخفيف التكاليف المالية، قد ركزت على "حماية حقول النفط. وأضاف ترامب في كلمة له بالبيت الأبيض أن قسما من جنوده المنتشرين في قرى تقع شمال شرق سوريا قرب حقول النفط "ليسوا في طور الانسحاب.""[313]

ان اهمية الشرق الاوسط الجيوبوليتيكية في الاستراتيجيات الاميركية وجهت السياسة الخارجية الاميركية نحو العمل على ضمها الى نفوذها المباشر. وانطلاقاً من كثرة الدول والجماعات واختلاف الانظمة في المنطقة، عملت الولايات المتحدة على استراتيجية تضعيف المنطقة وتقسيمها الى مجموعات ومناطق غير متجانسة يسهل التدخل بها وجذبها، "وقد قام برجينسكي بشرح دوافع هذه الاستراتيجية وقدمها باعتبارها أحد مكونات توجه عام لتدعيم الهيمنة الأمريكية اعتماداً على سياسة "فرق تسد"."[314] بناء عليه، بُنيت استراتيجيات في المنطقة لتقسيمها، على غرار ما بعد سايكس بيكو وبلفور، لانتاج مجموعات ضعيفة ولا تمتلك مقومات الاتحاد وفق اهداف عدة كان ابرزها:

أ- تقسيمات تحت عناوين غير متجانسة كالموقع الجغرافي مثل استراتيجيات الشرق الاوسط الجديد، الشرق الاوسط الكبير، والمتوسطية.

---

[312] محمد المنشاوي، **"مشروع الناتو العربي ... ماذا ينتظره في ٢٠١٩"**، موقع قناة الجزيرة الالكتروني، واشنطن، ٢٠ كانون الثاني ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٩

www.aljazeera.net

[313] **"ترامب يعلن بقاء عدد "محدود" من القوات الأمريكية بسوريا قرب حدود الأردن وإسرائيل وحقول النفط"**، موقع فرنس ٢٤ الالكتروني، تاريخ ٦ تشرين الاول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٩ تشرين الاول ٢٠١٩

www.france24.com

[314] اليكس كالينيكوس، م.س.، ص ١٥

ب- تحالفات واتحادات تكون تحت التأثير المباشر للولايات المتحدة مثل مجلس التعاون الخليجي، والناتو العربي.

ج- منظمات غير فعالة لا تمتلك القدرة على اتخاذ قرارات فعلية، وان فعلت فهي لا تمتلك القدرة على تنفيذها بسبب قلة امكاناتها او عدم تجانسها السياسي وانسجامها.

وقد بدأ الحديث عن الشرق أوسطية بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، ثم تم طرحه كجزء من التسوية في اطار مؤتمر مدريد في العام نفسه. وفي مؤتمر الدار البيضاء الاقتصادي عام ١٩٩٤، تم التطرق الى النظام الاقتصادي الشرق أوسطي والسوق الشرق أوسطية، وهذا الطرح أتى على أربع ركائز هي الاستقرار السياسي والاقتصاد والأمن والديمقراطية. اما المتوسطية فقد ظهرت في مؤتمر برشلونة الأوروبي ـ المتوسطي في تشرين الثاني ١٩٩٥. ثم خرج مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي يضم "بلدان العالم العربي اضافة الى باكستان وأفغانستان وايران وتركيا و"اسرائيل"،"[٣١٥] عن الأميركيين في قمة مجموعة الدول الصناعية الثمانية في الولايات المتحدة الأميركية في حزيران ٢٠٠٤، استناداً على تقريري الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية للعامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٣.

وتحقق هذه المشاريع المصالح الجيوبوليتيكية الأميركية القائمة على ربط منطقة الشرق الأوسط بها، وذلك يتبين من خلال دعائم وأساسات هذا المشروع القائم على: **"فصل بلدان المشرق عن بلدان المغرب العربي، شمول "اسرائيل" بالمشرق الجديد، دمج المغرب العربي في فضاء عالم البحر المتوسط، وعزل بلدان الأطراف والسودان والصومال واليمن وضمها الى منظومات خاصة بافريقيا والقرن الأفريقي."**[٣١٦]

وبعد طرح هذه الاستراتيجيات لانتاج منطقة وفق الرؤية الاميركية تحت قيادتها، بدأت بتقسيم الدول او اضعافها اما عسكرياً، سياسياً، او اقتصادياً. فاحتلال العراق، وفق مبدأ "العمل الانفرادي كجزء من الحرب الاستباقية"[٣١٧]، ازال احد اقوى الجيوش العربية واحد اكثر الانظمة عداء لـ"اسرائيل"، وخلق حالة من الفوضى في بلد قُسّم مذهبياً وفق مبدأ الحصص الطائفية وحقوق الطوائف مثل النموذج اللبناني، مما يقونن الانقسام الداخلي ويجعل تطور البلد امراً صعباً. ثم أتت حرب تموز ٢٠٠٦ بين لبنان و"اسرائيل"، التي هدفت الى تدمير القوة اللبنانية المقاومة للمشروع الاميركي في المنطقة، وهو ما برز على لسان وزيرة الخارجية الاميركية آنذاك كوندليزا رايس حين قالت ابان الحرب اننا نشهد مخاض ولادة شرق اوسط جديد. وبعد فشل الحرب من تحقيق هذا الهدف، دخل لبنان ضمن الاهتمام الاميركي المباشر عبر المساعدات العسكرية للجيش اللبناني الذي بات معتمداً بشكل كلي على الاسلحة الاميركية، مع عدم امكانية استقدام اي سلاح غير اميركي. ومن

---

[٣١٥] كمال حماد، م.س.، ص ٧٢-٧٦

[٣١٦] م.ن.، ص ٧٣، ٧٤

[317] Jerel A.rosati and james M.scott, **the politics of united states foreign policy**, fifth edition, wadsworth cengage learning, USA, p 35

جهة ثانية، عبر الاضعاف الاقتصادي لضرب هذه المقاومة والبيئة اللبنانية الحاضنة وادخال لبنان الى التبعية الاقتصادية للمؤسسات المالية الدولية.

وفي سياق سياسات الاضعاف الاقتصادي، عملت الولايات المتحدة على ادخال الاقتصادات العربية في برامج المؤسسات الاقتصادية الدولية التي تسيطر عليها من اجل ربطها مباشرة بتلك المؤسسات من جهة، واضعاف الدول لتسهيل عملية التأثير السياسي عليها. فـ"برامج الاصلاح الهيكلي التي قادها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي اضعفت بشكل كبير الاقتصادات العربية."[٣١٨]

بناء عليه، يمكن القول ان الولايات المتحدة اعتمدت بشكل كبير على السياسات الاقتصادية تجاه الدول العربية كوسيلة لتحقيق اهداف جيوبوليتيكية لاضعاف دول المنطقة وجذبها الى التأثير الاميركي. وقد استخدمت هذه السياسات ضد الدول الاخرى الساعية الى زيادة نفوذها الدولي حيث "سعت الى المزيد من التقسيم في المنطقة العربية لابعاد روسيا والصين عن البحر المتوسط، ووضع اليد على غاز مصر وساحل شرقي المتوسط وقطع الطريق في آسيا على أية مشاريع روسية واسقاط شمالي افريقيا في أتون الربيع العربي."[٣١٩]

ان ما انتجته احداث ما عُرف بالربيع العربي يدل بشكل صريح على خدمة المصالح الاميركية التي استغلت المطالب المحقة للشعوب لتمرير اهدافها السياسية التقسيمية. فعلى الرغم من ان المطالب المرجوة كانت اجتماعية او متعلقة بنظام الحكم الداخلي، الا ان ما آلت اليه هذه التحركات يشي بأنه استُغل ليكون امتداداً للمشاريع الاميركية في الشرق الاوسط، والقائمة على "تفتيت الكيانات الحالية وبعث الاثنيات والطائفيات في المنطقة (الامر الذي) سيفتح الطريق لإعادة رسمها من جديد."[٣٢٠] ففي مصر، تم الانقلاب على نتائج الانتخابات الاولى التي انتجتها الثورة، وانتخب الرئيس السيسي المقرب من الولايات المتحدة. وفي تونس، تم تحويل الهم الاساسي الى منافسة داخلية تحت مسمى اللامركزية التي تؤدي الى تنافس مباشر بين الجماعات المحلية حول تقاسم الموارد.

وعلى الرغم من التمكن من فرض هذه اللامركزية دون القوة العسكرية، "يأخذ مشروع دعم اللامركزية والحكم المحلي اشكالاً عنفية تختلف حسب البلدان، حيث يفرض بجذرية عبر الحرب في العراق وسوريا."[٣٢١] ففي العراق كما سبق وذكرنا، انه دخل مرحلة الصراع الداخلي والتقسيم الفئوي الضيق للمصالح والمنافع على الاسس الطائفية. اما سوريا، فتقع وعود الرئيس ترامب بضم الجولان المحتل لـ"اسرائيل"، و"الاتفاق الاميركي

---

[٣١٨] هالة اليوسفي، **"سيادة يوتوبية للدول العربية"**، موقع الهدف، بيروت،٣ اذار ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٥ ايار ٢٠١٩ www.hadfnews.ps

[٣١٩] كمال ديب، م.س.، ص ١٥٨

[٣٢٠] يحيى الامير، **"نسخة مختلفة للشرق الاوسط الجديد"**، موقع قناة العربية الالكتروني، ٣٠ اذار ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣٠ تشرين الاول ٢٠١٩

www.alarabiya.net

[٣٢١] هالة اليوسفي، م.س

التركي على اقامة منطقة آمنة شمال شرق سوريا، وما سيترتب عليه من تعاون بين الطرفين"[٣٢٢]، جزء من سياسة تقسيم سوريا. ان هذا التقسيم سيُنتج بقعاً فئوية عبر "اقتطاع جزء لاعطائه للاكراد، وجزء آخر لتشكيل منطقة سنية معارضة يكون تحت الاحتلال التركي المباشر."[٣٢٣] وفي السياق عينه تأتي صفقة القرن التي تكرس الاحتلال "الاسرائيلي" وتنهي القضية الفلسطينية، وتقسم مجدداً الارض العربية وهو ما اتى على لسان رئيس وزراء العدو "الاسرائيلي"، حين وعد بضم كل الاراضي الفلسطينية اضافة الى اراضٍ اردنية.

اما سياسياً، فقد اعتمدت الولايات المتحدة في سياساتها الخارجية على مزعمين: نشر الديمقراطية ومحاربة الارهاب. فتعتقد واشنطن أنه من خلال فرض الديمقراطية في المنطقة سوف تزيد من نفوذها، وتؤثر بشكل سلبي على منافسيها الدوليين. فوثيقة الامن القومي الاميركي التي نشرت في ايلول ٢٠٠٢ سمحت التدخل في اي دولة لا تعتبرها تتوافق مع "معاييرها" الحقوقية والمبدأية.[٣٢٤] كما شكل منطق "الترويج للقيم الاميريكية"[٣٢٥] احد المبادئ الاساسية لادارة الرئيس بوش الابن. لذلك تركزت السياسات الخارجية الاميركية في المنطقة على فكرة ان "ضمان امن الخليج الفارسي والتصدي للارهاب يمكن تحقيقه من خلال انتشار الديمقراطية الليبرالية في الشرق الاوسط."[٣٢٦] كما جرى العمل على اقناع دول المنطقة "أن موسكو تكاد تعمل على إعاقة السعي الديمقرطي لشعوب الشرق الأوسط، حيث تقلصت نسبة العلاقة الودية نحو روسيا في مصر والتي تعتبر عادة هي المؤشر النسبي للشارع العربي من حوالي ٥٠٪ سنة ٢٠٠٧ الى ٣٠٪ سنة ٢٠١٢، وفي الاردن وصل هذا المؤشر الى ٢٥٪، وفي تركيا الى ١٦٪ فقط."[٣٢٧]

اما فيما خص الارهاب، فقد شكل البديل الايديولوجي لمرحلة ما بعد محاربة الشيوعية، فباتت محاربة الارهاب اساس الاستراتيجيات التوسعية في الشرق الاوسط، كونه يحتوي على النسبة الاكبر من المسلمين. فكما صاغ الرئيس ريغان مفهوم امبراطورية الشر في الحرب الباردة، استعمل الرئيس بوش محور الشر، المكون من العراق وايران وكوريا الشمالية، لتقديم رؤيته الخارجية والدفاعية.[٣٢٨]

ان أبرز ما أوصى به التقرير الذي أعدته لجنة خاصة في وزارة الدفاع الأميركية عام ١٩٩٦ كان "تجريد دول المنطقة من اسلحة التدمير الشامل، من دون المساس بالقدرة العسكرية "الاسرائيلية"، وبخاصة

---

[٣٢٢] وليد شرارة، **"من الانضباط الاطلسي الى تعدد الشراكات"**، جريدة الاخبار، ٢٣ ٨ ٢٠١٩
https://al-akhbar.com/World/275319

[٣٢٣] ليلى نقولا، **"الشمال السوري...منطقة آمنة أم خطة لتقسيم سوريا؟"**، م.س.

[٣٢٤] هشام الاعور، **"مفهوم الحرب الاستباقية الاميركية في اطار العولمة الامنية"**، اشراف الدكتور غسان العزي، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، رسالة لنيل دبلوم في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠٠٤/٢٠٠٥، ص ١٤

[٣٢٥] سمير مرقس، **الامبراطورية الاميريكية ثلاثية الثروة الدين القوة من الحرب الاهلية الى ما بعد ١١ سبتمبر**، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١١٥-١١٦

[326] Steven wright, **the united states and Persian gulf security**, first edition, Ithaca press, UK, 2007, P 167

[٣٢٧] نجاة مدوخ، م.س.، ص ١١٩

[328] Gary Hart, **The Fourth Power: A Grand Strategy For The United States In The Twenty First Century**, Oxford University Press, New York, 2004, p 113

سلاحها النووي... تعزيز الوجود العسكري الأميركي في دول الخليج... عقد اتفاقات أمنية ثنائية وتهميش أي جهد عربي أو خليجي في مجال الدفاع والأمن."[٣٢٩] وهو ما يدفعنا للاعتقاد ان اسس الاستراتيجية الاميركية بعد الحرب الباردة في الشرق الاوسط، والمبنية على مصالحها الحيوية، والجيوبوليتيكية بوجه خاص، لم تتغير، ولا تزال قائمة على مجموعة مبادئ:

أ- "السيطرة العسكرية في كل البحار والمحيطات والممرات الاستراتيجية"[٣٣٠] ومنع اي قوة دولية من زيادة تأثيرها عليها.

ب-تفريق البلدان عبر ربطها ثنائياً باتفاقيات امنية او دفاعية او سياسية معها.

ج- اضعاف دول المنطقة وابقاء الانقسام فيها لمنع بناء مقومات الاتحاد.

د- تعزيز مكانة وتفوق "اسرائيل" في المنطقة على كافة الصعد.

هـ-التواجد العسكري الامريكي المباشر في الخليج وبالقرب من المناطق النفطية وطرق امدادها.

[٣٢٩] كمال حماد، م.س.، ص ٦٤-٦٥

[٣٣٠] شفيق المصري، **"العالم في ظل السلم الأميركي"**، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، عدد ٨، نيسان ١٩٩٤، ص ٧-٨

خلاصة المبحث الأول

خلال الحرب الباردة استطاع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية من التحكم في مفاصل العلاقات الدولية، وادارة الأزمات الدولية حسب مصالحهما. وقد استخدمت القوتان الكبرتان استراتيجيات مختلفة من أجل الوصول الى اهداف كل منهما. منها سياسة الاحتواء التي اتبعتها الولايات المتحدة الأميركية لمحاصرة الاتحاد السوفياتي ومنعه من التمدد، وسياسة حافة الهاوية وتوازن الرعب التي حرص عليها الاتحاد السوفياتي من أجل الحفاظ على مصالحه واظهار قدرته على مجابهة المعسكر الرأسمالي للدول المنضوية تحت المعسكر الشيوعي.

هذه السياسات المتبعة من القطبين العالميين خلال الحرب الباردة، برزت بشكل كبير في اوروبا والشرق الاوسط من خلال ارادة كل منهما في ضمهما الى نفوذهما. فسعت الولايات المتحدة الى حصار الاتحاد السوفياتي واغراقه بمشاكل في مجاله الحيوي. في المقابل سعى الاتحاد السوفياتي الى زيادة نفوذه من خلال الدعم العسكري وايجاد قوة مناوئة للقوة الغربية على غرار حلف وارسو مقابل شمال الاطلسي.

اما بعد الحرب الباردة، فقد عملت كل من هاتين القوتين على تثبيت دورهما في العلاقات الدولية باستخدام مجموعة من الاستراتيجيات الاقتصادية والعسكرية والسياسية، ساهمت في تدعيم قوة كل منهما وزيادة نفوذهما في المناطق ذات الاهمية الجيوبوليتيكية الكبرى. فسعت الولايات المتحدة الأميركية اقتصادياً الى ربط الاقتصاد العالمي باقتصادها عبر الدولار وترويج النظام الرأسمالي كنظام لا بد من تبنيه من كافة الدول، وسياسياً عبر نشر الديمقراطية وربطها بالنموذج الأميركي. كما سعت عسكرياً الى الدخول في مجموعة من الأحلاف الدفاعية والعسكرية ونشر قواتها في مختلف مناطق العالم. أما ثقافياً فيبقى "الحلم الأميركي" و"طريقة الحياة" الاميركية النماذج التي يتم تسويقها لشعوب الدول، اضافة الى محاولة اظهار روسيا على انها المعادية للديمقراطية وتقدم الشعوب.

في المقابل عملت روسيا على اعادة قوتها الاقتصادية والعودة الى المساعدات الاقتصادية بغية جذب الدول الى فلكها كما حصل مع اوزبكستان لاغلاق القاعدة الاطلسية ابان الحرب على افغانستان. وعسكرياً عادت الى السوق الدولي عبر تطوير تكنولوجيا السلاح وتصديره الى الدول بغية ايجاد علاقات امنية ودفاعية تعود لها بالنفوذ السياسي من جهة، وعائدات مالية كبرى من جهة ثانية. اضافة الى تمتين تواجدها في قواعد خارج الجوار الروسي ما يتيح لها حرية المناورة، وتأمينها للمرات المائية الحيوية التي تضمن وصولها الى المياه الدافئة وخطوط نقل النفط. اما سياسياً، فتقود روسيا محوراً معادياً لتمدد النفوذ الغربي خاصة في الشرق الاوسط، مع محاولة لعب دور فعال في القضايا العالقة الكبرى مثل الصراع العربي "الاسرائيلي".

بناء على ما تقدم، يظهر أن اهداف الاستراتيجيات التي اعتمدتها الولايات المتحدة الأميركية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي من أجل ضمان السيطرة على العالم، ومنع ظهور منافس لها على الساحة الدولية تكمن فيما يلي:

أ- الحفاظ على التفوق العسكري الاميركي.

ب-التحكم بالممرات المائية الحيوية التي تربط المسطحات المائية ببعضها.

ج- السيطرة او النفوذ في المناطق التي تشكل ممرات نفطية محتملة خاصة اتجاه اوروبا.

د- التحكم بالمناطق النفطية.

هـ-تعزيز مكانة "اسرائيل"، وتحويل العداء العربي لها نحو ايران.

و- الدخول في تحالفات عسكرية ثنائية وجماعية لاستخدام القوات العسكرية غير الاميركية في حماية مصالحها.

ز- اضعاف وضرب كل مقومات الاتحاد لدول المناطق ذات الاهمية الجيوبوليتيكية لتسهيل التأثير عليها.

ح- منع ظهور اي تحالف من شأنه تشكيل قوة اوراسية او تقدم اي قوة آسيوية نحو اوروبا والشرق الاوسط.

اما روسيا، فقد عادت الى المشهد الدولي عبر سياساتها لتحقيق الاهداف الجيوبوليتيكية التي من شأنها ان تعطي القوة الروسية القدرة المطلوبة للتأثير في القضايا الدولية والعودة كقوة عالمية فعالة، ويمكن اختصار هذه الاهداف بالتالي:

أ- تأمين ممراتها البحرية نحو المياه الدافئة.

ب-وصل قواتها البحرية في البحر الاسود بمياه المتوسط عبر اقامة قواعد بحرية على شواطئه.

ج- مواجهة السياسة الاميركية للتقسيم الممنهج في الشرق الاوسط.

د- منع وقوع ممرات النفط، والتي تنهي التحكم الروسي بالغاز الاوروبي، تحت النفوذ الغربي.

هـ-جذب دول الجوار الروسي ومنع تمدد الحلف الاطلسي والدرع الصاورخي الى حدودها.

و- اقامة اتفاقيات دفاعية وعسكرية من شأنها زيادة التأثير الروسي على القرارات السياسية للدول.

ز- العمل على التقارب من اوروبا بغية ايجاد القوة الاوراسية القادرة على المنافسة العالمية.

وبعد تسليط الضوء على ابرز اهداف الولايات المتحدة وروسيا في منطقة اوراسيا التي تشكل اساس نظريات البر في الجيوبوليتيك. لا بد لنا من استشراف مستقبل السياسات والاستراتيجيات بناء على الواقع الجيوبوليتيكي للمنطقة. انطلاقاً من هنا، ما مدى تطابق هاتين التجربتين مع اسس نظريات البر في

الجيوبوليتيك؟ ومن هي القوى التي يمكن ان تأخذ دوراً عالمياً على صعيد التأثير في العلاقات الدولية ووفق اية وسائل واستراتيجيات؟

المبحث الثاني: المتغيرات في الجيوبوليتيك المعاصر

جغرافياً تشكل اوراسيا مجموع قارتي اوروبا وآسيا، فهي الامتداد القاري لاقصى الغرب الاوروبي الى اقصى الشرق الصيني مروراً بالشرق الاوسط. لكن النظرة الجيوبوليتيكية الى اوراسيا لا تهتم للامتداد الحدودي والدول التابعة للقارات على كونها تقع جغرافياً في هذه القارة او تلك، على قدر ما تنظر لأي دولة وفق اهميتها الجيوبوليتيكية ومقومات جغرافيتها وما يمكن ان تقدمه خدمة لاستراتيجيات الدول الساعية الى زيادة نفوذها.

وانطلاقاً من موقع اوراسيا المتوسط للعالم وكل ما تحويه من مقومات قوة، بُنيت نظريات البر في الجيوبوليتيك على ان السيطرة والنفوذ في هذه المنطقة من العالم، من شأنه ان يؤمن السيطرة والنفوذ العالميين. فأهمية مقوماتها هي التي اعطتها هذه المكانة الجيوبوليتيكية، حيث تحتوي اوراسيا على "ثلاثة ارباع مصادر الطاقة في العالم"[331]، اضافة الى معظم الممرات المائية الاستراتيجية التي تربط المسطحات المائية ببعضها. كما تعطي المسيطر عليها القدرة على التحكم بمعظم طرق المواصلات العالمية البحرية والبرية والجوية.

وانطلاقاً من هذه الحقائق، قامت سياسات الدول الكبرى على اساس تأمين مصالحها في هذه البقعة من الارض، الا ان اكثر السياسات والاستراتيجيات وضوحاً وأكثرها اهمية كانت في اوروبا وبالاخص شرقها، الشرق الاوسط، ومنطقة القوقاز. لذلك يمكن البحث عن مدى ثبات نظرية البر في الجيوبوليتيك من خلال تسليط الضوء على توافق وثبات اهداف السياسات الخارجية للولايات المتحدة من جهة والاتحاد السوفياتي وبعده روسيا من جهة أخرى، في المناطق الآنفة الذكر.

بناء على ما تقدم، سوف نناقش في هذا المبحث نقداً لاسس نظريات البر في الجيوبوليتيك بناء على التجربتين السوفياتية/الروسية والاميركية لمحاولة تحديد الثابت والمتغير فيها. لذلك سوف نقسم المبحث الى فقرتين، نتناول في الاولى مقاربة للسياسات الخارجية الاميركية والروسية ومدى توافقها مع اسس نظرية البر في الجيوبوليتيك وصولاً الى التوجهات الجيوبوليتيكية الجديدة للقوى الكبرى. اما في الفقرة الثانية، فسوف نسلط الضوء على ابرز ادوات الجيوبوليتيك المعاصر وسياسات الدول الكبرى لتحقيق غاياتها الجيوبوليتيكية، مع الاشارة الى المواقع والمناطق الجديدة التي تشكل اهمية جيوبوليتيكية للقوى الكبرى اضافة الى ابرز القوى المرشحة للعب دور عالمي بناء على البقعة الجيوبوليتيكية الجديدة.

---

[331] جنان العلي، **"الاوراسية الروسية والاوراسية المريكية استراتيجية جديدة للهيمنة على العالم"**، موقع الوحدة الاسلامية الالكتروني، شباط ٢٠١٣، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣ تشرين الثاني ٢٠١٩

https://www.wahdaislamyia.org/issues/134/jali.htm

تعد منطقتا قلب العالم والهلال الداخلي اللتان تكلم عنهما ماكيندر، وتقاطع الاخيرة مع منطقة الهلال لسبيكمان، الاساس الجيوبوليتيكي لنظريات البر في الجيوبوليتيك. وعلى الرغم من تغير حدود منطقة القلب بالنسبة لماكيندر، الا انه يمكن الاعتماد على الحدود التي وردت في التعريف الاخير الذي عرضه ماكيندر عام ١٩٤٣ لمنطقة القلب والهلال الداخلي، بغية مقاربة مدى ثبات اسس هذه النظرية.

وفق تعريف ماكيندر الاخير لمنطقة قلب العالم فهي تمتد من نهر الفولغا غرباً الى سيبيريا شرقاً، ومن جبال الهملايا في الجنوب الى منطقة القطب الشمالي في الشمال مضافاً اليها أوروبا الشرقية والوسطى والتيبيت وأعالي أنهار الصين والهند ومنغوليا. اما الهلال الداخلي فيضم أوروبا الشرقية والمتوسطية، البحر المتوسط وشمال افريقيا، شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر، وصولاً الى الهند وأجزاء كبيرة من الصين. لذلك لا بد من معالجة النفوذ الروسي والاميركي في هذه المناطق وتأثيره على النفوذ العالمي لنقد او تثبيت النظرية بشكل كامل او جزئي، وصولاً لتحديد الاسس الجيوبوليتيكية المعاصرة واعتمادها على البر منفرداً من عدمه.

أوّلاً: مقاربة النفوذ الروسي والاميركي في منطقتي قلب العالم والهلال الداخلي

لقد شهدت منطقة قلب العالم والهلال الداخلي ابرز واوضح معالم الصراع على النفوذ العالمي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة. ثم بعد انهيار الاخير، بقي الصراع على هذه المناطق ولو أخذ ابعاداً واشكالاً مختلفة. لذلك لا بد من بحث اهداف القوى العالمية من السيطرة على هذه المناطق، خلال وبعد الحرب الباردة، بغية معرفة اهميتها الجيوبوليتيكية.

لقد حاول الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية التمدد غرباً عبر اوروبا من اجل بناء القوة الاوراسية التي تقوده للنفوذ العالمي. ومع انقسام العالم بين معسكرين شرقي وغربي، استطاعت الولايات المتحدة من منع توسع النفوذ السوفياتي غرباً، عبر اعتماد سياسة الاحتواء معه. فقد استقرت على منع الامتداد السوفياتي في المعسكر الغربي، وتكريس هيمنتها على اوروبا الغربية ونشر النموذج الاميركي مقابل حرمان الاتحاد السوفياتي من مجالات فك الحصار والتمدد. فـ"كان الدفاع عنها (السيطرة الاميركية) في الجبهة الغربية بحصار برلين"[٣٣٢]، رمزاً اشار الى ان الامتداد السوفياتي الى اوروبا الغربية من شأنه تهديد النفوذ العالمي لاميركا.

اما بعد الحرب الباردة، فقد عملت الولايات المتحدة على استغلال ضعف روسيا (القوة التي اخذت مكانة الاتحاد السوفياتي في الصراع العالمي) من اجل اكمال السيطرة على اوروبا. وذلك انطلاقاً من ان المصلحة الاميركية تكمن في بناء أوروبي متماسك مرتبط بها ويخضع لها، فمن دونه "لا يمكن بناء منظومة تعاون أوراسي–أطلنطي، وهو الخيار الأفضل والأهم للإدارة الأمريكية، في مواجهة أي استيقاظ للطموح

---

[٣٣٢] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، ط ٣، ترجمة امل الشرقي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ١٩

الجيوسياسي الروسي تجاه أوروبا الوسطى."[333] اضافة الى ان تمكن روسيا من زيادة نفوذها في هذه المنطقة، من شأنه ان يعيد لها مقومات القدرة على زيادة النفوذ في غيرها من المناطق. ففي هذا السياق، يرى بريجينسكي ان اخضاع روسيا لجورجيا سوف يؤدي الى نوع من مفعول الدومينو في اذربيجان التي تعد المصدر الاساسي للطاقة الاوروبية المحتملة للغاز الروسي، مما سيضع اوروبا تحت التأثير المباشر للسياسة الروسية.[٣٣٤]

دفعت هذه السياسة الاميركية في اوروبا روسيا الى العمل على اعادة الثقة والحد من الاقتراب الغربي لحدودها، وذلك من خلال السعي الى المزيد من التحالفات والتكتلات التي تجمعها باوروبا. ويمكن رؤية هذه السياسة الروسية بعد وصول بوتين الى الحكم، وهي المرحلة التي عادت بها روسيا لتنظيم وتدعيم قواها. فقد ورد في احد المبادئ التي اضافها الرئيس بوتين عند وصوله للحكم عام ٢٠٠٠ أنه "اذا استمر توسيع حلف الاطلنطي شرقاً من روسيا، فستسعى الى دعم الترابط بين دول الاتحاد السوفييتي السابق لحماية منطقة دفاعها الاول." [٣٣٥]

كما عملت روسيا على زيادة قدرتها في التأثير على ازمات منطقة اوروبا الشرقية. فقد "أكد مركز الدراسات الإستراتيجية الروسي، في تقرير له أن هناك أزمات عالقة حتى الآن، بعد الحقبة السوفياتية يجب حلها كتلك الواقعة بين أرمينيا وأذربيجان حول منطقة قره باخ (أرستاخ). وعلى وجوب مواصلة تطبيع العلاقات مع جورجيا، واستعادة العلاقات الدبلوماسية، ونظام السفر بدون تأشيرات الدخول مع تبيليسي، والمساعدة على مصالحة جورجيا مع كل من أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية."[٣٣٦]

اما فيما خص الشرق الاوسط، فقد كان ابان الحرب الباردة منقسماً بين المعسكرين الشرقي والغربي. حيث خضعت ايران قبل الثورة الاسلامية للنفوذ الاميركي، لحماية المصالح الاميركية في الخليج، ومنطقة عزل للاتحاد السوفياتي نحوه حيث كان "الوجود العسكري للولايات المتحدة في الخليج الفارسي كرادع لاي تغلغل إلى الجنوب للنفوذ الروسي السوفيتي السياسي العسكري"[٣٣٧]. ولعبت "اسرائيل" الدور الاساسي في حماية المصالح الاميركية على الساحل الشرقي للمتوسط. فقد عملت الولايات المتحدة على اخذ مكان دول الانتداب عن طريق ضرب الحركات القومية ومنح الاستقلال لكيانات غير متجانسة على اساس التفرقة المذهبية، على قاعدة فرق تسد، بغية خلق دول ضعيفة يسهل لها السيطرة عليها، وهو ما أُتبع بمشروع ايزنهاور للتواجد المباشر في المنطقة تحت ذريعة تقديم الدعم.

---

[333] جنان العلي، م.س.
[٣٣٤] زبيغنيو بريجينسكي، **رؤية استراتيجية: امريكا والسلطة العالمية**، ترجمة فاضل حبتكر، م.س.، ص ١٠٧-١٠٨
[٣٣٥] فتيحة فرقاني، م.س.، ص ١١٢
[٣٣٦] يارا انبيعة، م.س.
[٣٣٧] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ٢٠

اما الاتحاد السوفياتي فقد عمل على ايجاد توازن عسكري عبر الاحلاف العسكرية واعتماد بعض الدول العربية على السلاح السوفياتي. اضافة الى دعم الحركات التحررية التي لم تكن تثق بالغرب بعد فترة الانتداب. فاستطاعت ان تخلق نفوذاً لها في عدد من اهم دول المنطقة مثل العراق، ليبيا، سوريا، ومصر. من هنا، فقد كان الشرق الاوسط منقسماً بين المعسكرين الشرقي والغربي، ولم تستطع قوة واحدة من الحفاظ على نفوذ كامل في المنطقة.

اما بعد الحرب الباردة، فاعتمدت الولايات المتحدة الأميركية مع العالم العربي استراتيجية تدريجية ومنفردة، حيث عالجت كل حالة على حدى. إما بالاحتلال المباشر كما حصل في العراق من ١٩٩٠ حتى ٢٠٠٣، أو التحكم غير المباشر مثل "اسرائيل" وسوريا ولبنان وفلسطين، او العمل العسكري غير المباشر كاستخدام الناتو في ليبيا. لذلك، يمكن القول ان الاهتمام الاميركي بمنطقة الشرق الاوسط، وبالاخص العالم العربي، يدل على اهمية هذه المنطقة في الحسابات الجيوبوليتيكية الاميركية.

كما ان الشرق الاوسط لا يزال يشكل اهمية كبرى في الحسابات الجيوبوليتيكية لروسيا الساعية الى نفوذ عالمي. فتأتي زيارة الرئيس بوتين الى المملكة العربية في تشرين الاول ٢٠١٩ بعد التطورات الاخيرة التي افرزتها حرب اليمن وقصف شركة ارامكو تأكيداً على اهتمام روسيا بهذه المنطقة. في هذا السياق اشار الرئيس بوتين في مقابلة تلفزيونية معه جرت اثر وصوله الى المملكة، والتي بينت اهتمامه بالمنطقة كلها، الى ان روسيا مهتمة بتطوير العلاقات الاقتصادية والامنية والعسكرية مع المملكة. لكنه اكد في الوقت ذاته على ضرورة العمل مع ايران وتركيا من اجل تأمين الاستقرار في المنطقة.[٣٣٨] واللافت هو ذكر بوتين الى الخطأ في عدم تعميق العلاقات السوفياتية-السعودية، مشدداً على ضرورة تحسينها، وفي هذا الكلام رؤية واضحة الى ان استهتار الاتحاد السوفياتي بهذه المنطقة قد كلفه حينها، وروسيا اليوم، خسارة الكثير من عناصر القوة.

وبقي العمل على تكوين القوة الاوراسية من قبل روسيا قائماً بعد الحرب الباردة، وهو ما يبرر العمل الروسي الدائم على انشاء التحالفات والتكتلات في المنطقة تحت قيادتها، من خلال زيادة نفوذها في المناطق والدول الاوراسية. فقد أعلن بوتين في الأول من تشرين الأول عام ٢٠٠٠ " أن روسيا هي دولة أوراسية" وهذا التعبير على إيجازه يحمل برنامجاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً لسياسة بوتين ولمستقبل روسيا. وقد بادرت روسيا عام ٢٠١١ إلى توقيع الاتحاد الجمركي مع بيلاروسيا وكازاخستان[٣٣٩]، وكان قد تم التوقيع على اتفاقية الأمن الجماعي بين روسيا وأرمينيا وبيلاروسيا وكازاخستان وقرغيزيا وطاجاكستان وأوزبكستان. "إنه المستقبل الذي يولد اليوم" على حد تعبير الرئيس بوتين، ويشرح في كلام له في ٢ كانون الثاني ٢٠١٢ "أن

---

[٣٣٨] مقابلة تلفزيونية لتلفزيون روسيا اليوم وسكاي نيوز والعربية مع الرئيس بوتين عُرضت بتاريخ ١٣ ١٠ ٢٠١٩

[٣٣٩] ليونيد سافين، **"الاوراسية في سياق القرن الحادي والعشرين"**، ترجمة جلة سماعين، المستقبل العربي، العدد ٤٦٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٧، ص ١٢٢

الفضاء الأوراسي المشترك بين بيلاروسيا وكازاخستان وروسيا سيبدأ فعلياً، وستلغى التأشيرات بين هذه البلدان بعد أن ألغيت الإجراءات الجمركية وسيتم لاحقاً اعتماد عملة موحدة على طريقة الاتحاد الأوروبي[340]." وبالفعل تم تأسيس الاتحاد الاقتصادي الاوراسي (Eurasian Economic Union) في العام ٢٠١٥ من روسيا، بيلاروسيا، كازاخستان، قرغيزستان وارمينيا ثم نضمت اليه ايران في تشرين الثاني عام ٢٠١٩، وهو اتحاد قائم بالدرجة الاولى على التجارة الحرة بين اعضائه[٣٤١].

وفي هذا السياق، أشار بريجنسكي إلى وجود منطقة فراغ في القوة تتميز بعدم الاستقرار، عملت روسيا على ابقائها مجزأة ليسهل إخضاعها بعد الحرب الباردة، أسماها البلقان الاوراسية. تضم المنطقة اجزاء من جنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى وأجزاء من جنوب آسيا ومنطقة الخليج الفارسي والشرق الاوسط.[٣٤٢] لذلك يرى بريجنسكي أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحرم روسيا من ثلاث دول هي ركائز جيوسياسية مهمة بحكم موقعها الجغرافي ومواردها الطبيعية وهي أوكرانيا، وأوزبكستان وأذربيجان.[343] والملاحظ ان من شأن هكذا اتجاه اميركي ان يحرم روسيا من النفوذ في البلقان الاوراسي.

بناء على كل ما تقدم، يبقى لنا اسقاط اسس نظريات البر في الجيوبوليتيك والعلاقة بين منطقة القلب والهلال الداخلي مع النفوذ العالمي، على التجربتين السوفياتية/الروسية والاميركية بغية معرفة مدى ثباتها. فخلال الحرب الباردة تبين لنا ان الاتحاد السوفياتي سيطر على منطقة القلب بشكل كامل، اضافة الى امتلاكه نفوذاً كبيراً في منطقة الهلال الداخلي. لكن هذا النفوذ والسيطرة لم يمكنا السوفيات من الحفاظ على القوة العالمية. في المقابل سيطرت الولايات المتحدة على معظم منطقة الهلال الداخلي، مع نفوذ في بعض مناطق القلب عبر مجموعة من القوى مثل مقاتلي الشيشان وافغانستان ضد السوفيات.

اذاً يمكن القول ان القوتان الكبرتان في العالم خلال الحرب الباردة تقاسمتا النفوذ والسيطرة على منطقتي القلب والهلال الداخلي، لكن العوامل التي لعبت دوراً في بروز القطب الاميركي الوحيد وانهيار السوفياتي يمكن تخليصها بالتالي:

أ- توازن الرعب النووي الذي نقل الحرب من عسكرية الى ثقافية سياسية واقتصادية.

ب-فارق القوة بين الولايات المتحدة وحلفائها، مما سمح لها بقيادتهم. وعدم قدرة الاتحاد السوفيتي في معاملة الحلفاء بصفة التابع بسبب قوتهم مما ادى الى خسارتهم كما حصل مع الصين.

---

340 جنان العلي، م.س.

٣٤١ علي النمر، **"ايران تواجه الحظر عبر بوابة الاتحاد الاوراسي"**، جريدة الاخبار، بيروت، الاربعاء ١١ كانون الاول ٢٠١٩

٣٤٢ زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ١٥٧، ١٦٠

343 جنان العلي، م.س.

ج- نجاح الولايات المتحدة في تفريق القوميات خاصة في الاتحاد السوفياتي، حيث "اخذ السكان غير الروس الذين يشكلون ٥٠٪ يرفضون تسلط موسكو"[٣٤٤].

د- البراغماتية السياسية الاميركية مقابل التشبث الايديولوجي السوفياتي.

هـ- النموذج الاقتصادي الاميركي القائم على الفردية وحياة الرفاهية مقابل نموذج اقتصادي شيوعي تضيع فيه حقوق الفرد مقابل الجماعة.

بناء على كل ما تقدم، يمكن لنا القول ان السياسات والاستراتيجيات التي اتبعتها القوتان الكبرتان خلال الحرب الباردة سعت الى تثبيت نفوذها في مناطق القلب والهلال الداخلي. وقد اعطت هذه السيطرة القدرة والمقومات اللازمة لتلعب كل منهما دوراً على الساحة الدولية، لكن المقدرات التي انهت الصراع لم تكن مرتبطة ببسط النفوذ، بل بالادوات الجيوبوليتيكية (وهو ما سنتناوله في الفقرة القادمة). والدليل على اهمية هذه المناطق، هو استكمال السياسات التوسعية من القوة العالمية الوحيدة بعد الحرب الباردة، ومواجهتها لكل اشكال الاتحاد الاوراسي باعتباره تهديداً مباشراً على سيادتها العالمية، حيث "تعتبر الولايات المتحدة الاميركية ان اهتمامها الحيوي الضروري يتمثل في منع الهيمنة على مناطق اوراسيا من جانب اي دولة عدوانية او مجموعة دول."[٣٤٥] لذلك لا يمكن تجاهل ان سيطرة اي قوة على مناطق القلب والهلال الداخلي اي ما يعرف بأوراسيا، تعطيها المقدرات على ممارسة النفوذ العالمي. من هنا "يخوض الامريكيون والروس والصينيون تنافساً محتدماً اصبح يعرف بعودة لعبة الجيوبوليتيك لحيازة الموقع الاول داخل المجال الاوراسي."[٣٤٦]

فاذا ما تحقق الاتحاد الأوراسي فإنه يملك ثلاثة ملايين نهر يبلغ طولها عشرة ملايين كلم، تعطي أكثر من ٣ آلاف مليار متر مكعب من المياه سنوياً، ما يفسح المجال واسعاً أمام الزراعة وتأمين الغذاء وكسر احتكار الولايات المتحدة الأمريكية للقمح في العالم. كما تغذي روسيا أوروبا الغربية بثلث احتياجاتها من النفط، ومن المتوقع أن يصبح الاتحاد قوة اقتصادية عظمى مع توفر الإمكانات النفطية الكبرى لدول مثل كازاخستان[347]. اما من ناحية الممرات المائية والبرية والجوية، فمن شأن اي اتحاد اوراسي ان يؤمن الاتصال بثلاث قارات هي آسيا واوروبا وافريقيا، مما يعطيه قوة عسكرية واقتصادية تؤدي الى قوة سياسية ونفوذ عالمي.

لذلك لا تزال اوراسيا منطقة صراع نفوذ، بين القوة العالمية الاولى اي الولايات المتحدة من جهة، والقوى الساعية للنفوذ العالمي التي تحاول خرق النفوذ الاميركي فيها. فتحاول روسيا ايجاد مكان لها في ازمات المنطقة عبر دفع "حلفاء الولايات المتحدة مثل مصر والسعودية يرجعون دوريا الى موسكو للمشورة حول

---

[٣٤٤] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ٢٢

[٣٤٥] اناتولي اوتكن، **الاستراتيجية الاميركية للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة انور محمد ابراهيم ومحمد ناصر الدين الجبالي، ط١، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٤

[٣٤٦] حسام مطر،م.س.، ص١١٣

[347] جنان العلي، م.س.

التطورات الإقليمية في حين أن صفقات الأسلحة واستثمارات الطاقة الروسية تغلغلت من الخليج العربي الى المغرب."[٣٤٨] حتى ان "إسرائيل" الحليف الأقرب إلى الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بدأت تحتضن الدور الروسي كقوة إقليمية، حيث "اقامت "إسرائيل" قمة الأمن القومي الروسي والأمريكي أواخر حزيران ٢٠١٩ في القدس"[٣٤٩] وهو ما بعث برسالة إلى الدور الروسي المتنامي في المنطقة والذي يكاد يكون موازياً للدور الأميركي.

في المقابل دفع زيادة النفوذ الإيراني في منطقة شرق المتوسط والشرق الاوسط الى تسريع اعادة الولايات المتحدة إلى المنطقة خاصة مع التقارب الروسي الإيراني استراتيجياً. وهو ما يفسر إلغاء الاتفاق النووي وعمل الرئيس ترامب "لإنشاء تحالف إقليمي ودولي لإخراج إيران من سوريا والعراق وتغيير سلوكياتها تجاه الدول المجاورة"[٣٥٠].

يذكر موقع GEOPOLITICAL FUTURES ان "عدم الاستقرار المستشري في اوروبا واسيا وصل الى معدل لم يشهده العالم حتى خلال الاعوام التي سبقت الحرب االعالمية الثانية."[٣٥١] ان وصول الازمات في اوراسيا الى هذه الدرجة من الحساسية، يشير الى الاهمية التي لا زالت تحظى بها اوراسيا في الاستراتيجيات الكبرى. لكن على الرغم من عدم انتفاء الاهمية الجيوبوليتيكية لاوراسيا، فانه من الملاحظ ان السياسات الخارجية للدول الكبرى التي تسعى للنفوذ العالمي، بدأت تتوجه الى مناطق جديدة تتمتع بأبعاد جيوبوليتيكية مشابهة، من المرجح ان تكون الاساس المكمل لاوراسيا بغية فرض النفوذ العالمي. فلم يعد الشرق الاوسط والمتوسط واوروبا المناطق الوحيدة للازمات التي تعكس الصراع الدولي على النفوذ. بناء على كل ما تقدم، لا بد لنا من تسليط الضوء على هذه المناطق والبحث في كيفية مساهمتها في تعزيز القوى المسيطرة عليها، وبالتالي اهميتها الجيوبوليتيكية.

ثانياً: ثبات اسس نظرية البر في ظل التوجهات الجيوبوليتيكية الجديدة للقوى الكبرى

ان الفكرة الاساسية من السيطرة على منطقة القلب والهلال الداخلي وفق نظريات البر في الجيوبوليتيك، تكمن في تمكين هذه القوة من الامساك باوروبا واسيا من خلال الامتداد البري، وافريقيا من خلال البحر المتوسط. من هنا، فقد عملت الولايات المتحدة على منع اي قوة اوراسية من الاكتمال. فمن جهة يبقى النفوذ

---

348 Vance Serchuk, **"Russia's Middle East Power play",** National Review, September 12 2019, site visited on 9 December 2019
https://www.nationalreview.com/magazine/2019/09/30/russias-middle-east-power-play/

349 Vance Serchuk, opcit.

٣٥٠ نزار عبد القادر، **"الاستراتيجية الاميركية وعقيدة ترامب في الشرق الاوسط"**، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، ع ١٠٨، اليرزة، نيسان ٢٠١٩، ص ٢٥

351 **"The world before world war II re-emerges**", geopolitical futures, 8 sep 2016, site visited on 14 march 2019
https://geopoliticalfutures.com/the-world-before-world-war-ii-re-emerges/

الاميركي كبيراً في تركيا من خلال الناتو، ما يضع ممري البوسفور والدردنيل عائقاً اما الوصول الى البحر المتوسط. ومن جهة أخرى تعطي القوات الاميركية المتواجدة في دول الخليج العربي القدرة على منع استخدام مضيق هرمز ضد مصالحها، وهو ما يبرر القواعد البحرية في دبي ومسقط اضافة الى قيادة القوة البحرية الاميركية في البحرين.

بناء عليه، لا بد للقوى الساعية لزيادة نفوذها الدولي ان تعمل على الوصول الى البحر المتوسط من اجل تأمين وصلها بكامل اوروبا وآسيا وافريقيا، وأحد الحلول لهذا الوضع يكون عبر تجنب الممرات التي تسيطر عليها الولايات المتحدة. من هنا تظهر مجموعة من المناطق الجديدة التي تحظى بأهمية جيوبوليتيكية لأي قوة عالمية تعمل لمجاراة الولايات المتحدة على الساحة الدولية.

وانطلاقاً من تعريف بريجينسكي للمحاور الجيوبوليتيكية على انها المناطق التي جغرافيتها "تمنحها في بعض الأحيان دورا خاصا إما في تحديد النفاذ إلى مناطق مهمة أو في حجم الموارد عن لاعب مهم"[٣٥٢]، يمكن القول ان الطريقة الفضلى لتحديد هذه المناطق تكمن من خلال تسليط الضوء على اهم المشاريع الخارجية الاستراتيجية التي تعمل عليها القوى الاوراسية الساعية للعب دور على الساحة الدولية.

وفي هذا السياق تعتبر مبادرة الطريق والحزام التي اطلقها الرئيس الصيني شي جيبينغ عام ٢٠١٣، والتي اخذت مجموعة من الاسماء مثل طريق واحد حزام واحد أو طريق الحرير الجديد، من اهم المشاريع الاقتصادية الاستراتيجية التي تأخذ البعد الجيوبوليتيكي من حيث هيكليتها واهدافها. فهدفها الاساسي هو "ربط الصين بالعالم عبر استثمار مليارات الدولارات في البنى التحتية على طول طريق الحرير الذي يربطها بالقارة الأوروبية، ليكون أكبر مشروع بنية تحتية في تاريخ البشرية، ويشمل ذلك بناء مرافئ وطرقات وسكك حديدية ومناطق صناعية ومشاريع للطاقة."[٣٥٣] وتجدر الاشارة الى ان "ايران إعلنت نواياها لإحياء طريق الحرير في مايو ١٩٩٦"[٣٥٤]، وهو ما يشكل دلالة على اهمية هذا المشروع كطريق رابط للمناطق الاوراسية.

وتعمل الصين من خلال هذا المشروع على إحياء وتطوير طريق الحرير التاريخي، الذي لعب دوراً اساسياً على الصعيد التجاري ووصل منطقة شرق آسيا بأوروبا، من خلال مجموعة الطرق البرية والممرات البحرية التي تحوي خطوط نقل للنفط والبضائع، حيث "يهدف إلى تغيير خريطة العالم بشق طريقين أحدهما

---

[٣٥٢] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ٥٩

[٣٥٣] **"لماذا تخشى اميركا من مبادرة الحزام والطريق الصينية؟"**، موقع قناة الجزيرة الالكتروني، ٢١ آب ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣ تشرين الثاني ٢٠١٩

www.aljazeera.net

[٣٥٤] جمال واكيم، م.س.، ص ١٥٨

بري ويمتد من الصين إلي آسيا الوسطي حتى البحر المتوسط وأوروبا، والثاني خطوط بحرية تمر بمجمعات تجارية وصناعية ومناطق حرة."[٣٥٥]

وبغية تسليط الضوء على المناطق والممرات ذات الاهمية الجيوبوليتيكية، لا بد لنا من معرفة الخطوط العريضة للطرق البرية والبحرية التي تقوم عليها هذه المبادرة. حيث يمكن تقسيم هذه الطرق الى ثلاث طرق برية وطريقين بحريين وفقاً لما يلي:

أ- "طريق الحرير الشمالي: ويمتد من الصين إلى أوروبا مرورا بسيبيريا جنوب روسيا وصولا إلى بحر البلطيق.

ب-طريق الحرير الوسطى: وتمتد من الصين عبر آسيا الوسطى مرورا بإيران وشبه الجزيرة العربية وانتهاء بأوروبا.

ج- طريق الحرير الجنوبي: ويمتد من الصين نحو جنوب آسيا إلى غاية الهند.

د- الطريق البحرية الغربية: وتمتد من بحر الصين نحو المحيط الهندي مرورا ببحر العرب والبحر الأحمر وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط.

هـ- الطريق البحرية الجنوبية: وتمتد من بحر الصين الجنوبي إلى المحيط الهادئ."[٣٥٦]

بناء عليه، سوف نبدأ بتحديد المناطق البرية الضرورية لانجاح هذه المبادرة، ثم ننتقل الى الممرات المائية الاستراتيجية التي تقوم عليها، والتي تشكل بأجمعها بُعداً جيوبوليتيكياً هاماً وفق تعريف بريجينسكي للمحاور الجيوبوليتيكية الذي ورد سابقاً في بداية هذه الفقرة.

ان طريق الحرير الشمالي يمر بشكل اساسي بالاراضي الروسية بعد الاراضي الصينية، حتى يصل الى دول البلطيق قبل انتهائه عند بحر البلطيق. وانطلاقاً من ان التوجه الاستراتيجي الروسي والصيني يلتقان في مواجهة النفوذ الغربي، فان **منطقة شرق دول البلطيق سوف تكون المحطة الجيوبوليتيكية الهامة** لتحقيق غاية هذا الفرع من الطريق. من جهة ثانية، الطريق الوسطى تعتمد بشكل اساسي على دول الشرق الاوسط للوصول الى اوروبا. وهذا ما **يعطي دول جنوب بحر قزوين، العراق، سوريا وتركيا اهمية كبرى في انجاحه. اما طريق الحرير الجنوبي، فهو ينطلق من الصين الى الهند حيث يلتقي مع الطرق البحرية.**

في مقلب الطرق البحرية، فهدف الطريق الاول هو الوصول الى البحر المتوسط عبر المحيط الهندي، وهذا الطريق البحري يمر في موازاة مجموعة من المناطق. فبعد الهند، لا بد من المرور ببحر العرب، وهو الذي تتحكم به دول الخليج العربي، وتشرف عليه كل من اليمن وسلطنة عمان. ثم يلتقي مع الساحل الشرقي

---

[٣٥٥] عمار شرعان وآخرون، **مبادرة الحزام والطريق الصينية: مشروع القرن الاقتصادي في العالم**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ٢٠١٩، ص ١٢

[٣٥٦] عمار شرعان وآخرون، م.س.، ص ٧٢

لافريقيا من اثيوبيا وصولاً الى مصر ومنها الى شاطئ المتوسط. من هنا **تكتسب منطقة الخليج العربي اضافة الى الساحل الافريقي الشرقي اهمية جيوبوليتيكية كبيرة. اما الاهمية الكبرى فهي لمصر، حيث ان قناة السويس تشكل الحاجز الاخير قبل الوصول الى المتوسط،** لذلك فحين أعلن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي عن دعمه لمبادرة الحزام والطريق، خلال قمة بكين ٢٠١٨ لمنتدى التعاون الصيني الأفريقي، أثار "العديد من التساؤلات الغربية المشككة حول تلك المبادرة."[٣٥٧]

اما الطريق البحري الثاني، فمهمته وصل الصين بالمحيط الهادئ، وبالتالي لا بد من تأمين طريقه من خلال بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي. لذلك تتمتع اليابان والكوريتين، اضافة الى دول جنوب شرق آسيا باهمية جيوبوليتيكية كبيرة بالنسبة للصين او اي قوة اوراسية محتملة لتوسيع نفوذها العالمي، ولاي دولة تحاول منع النفوذ الصيني او الاوراسي من التمدد وعلى رأسها الولايات المتحدة.

انطلاقاً من تحليل المناطق التي يمر فيها طريق الحرير الجديد، يمكن القول ان **المنطقة الواقعة بين الهند وجنوب افريقيا، وخاصة المسطحات المائية، اضافة الى المحيط الهادئ، تلعب دوراً كبيراً في الحسابات الجيوبوليتيكية الحديثة للقوى الكبرى.**

ففيما يخص المحيط الهادئ اكدت وزيرة الخارجية الاميركية السابقة هيلاري كلينتون في مقال لها بعنوان "عصر اميركا الباسيفيكي" على اهمية اسيا والمحيط الهادئ على اعتبارهما من المحركات الرئيسية في السياسة الدولية.[٣٥٨] فهذا المحيط يمكّن اي قوة اوراسية من التوجه نحو اميركا اللاتينية وفتح ممرات ملاحة لها الى تلك المنطقة. اما المحيط الهندي فهو يكتسب اهميته من موقعه الرابط بين الشرق الاسيوي الذي يمكن ان تنطلق منه القوى الاوراسية تجاه الشرق الاوسط الغني بالموارد الطبيعية وخاصة الطاقية، والذي يشكل منطقة ذات اهمية جيوبوليتيكية تمكن المسيطر عليها من تسهيل الوصول الى كامل اوراسيا وافريقيا.

من المحيط الهندي ندخل الى اهمية دور دول "طريق ماجلان الجديد"[*] المكونة من الهند ـ جنوب افريقيا ـ البرازيل. حيث ان هذه الدول "بدأت تشعر بثقل وطأة الهيمنة الامريكية على طرق المواصلات البحرية التي تعتمد عليها هذه الدول."[٣٥٩] وبالتالي لا بد لها من اعادة التموضع الاستراتيجي الذي من شأنه اعادة التوازن الدولي للخروج من الهيمنة الاميركية المطلقة على القضايا الدولية، لحماية قدرتها الملاحية التي تعتمد عليها بشكل كبير.

---

[٣٥٧] شريف عيسى، **"محطات تاريخية في ماددرة الطريق والحزام"**، موقع جريدة المال الالكتروني، القاهرة، ٥ ايلول ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٧ كانون الاول ٢٠١٨
https://almalnews.com//خريطة-زمنية-محطات-تاريخية-فى-مبادرة-ال

[358] Hillary Clinton, "**America's Pacific Century**", foreign policy, 11 10 2011, site visited on 15 December 2019 https://foreignpolicy.com/2011/10/11/americas-pacific-century/

[*] طريق ماجلان الجديد: تنطلق هذه التسمية نسبة للرحلة التي انطلق بها البحار البرتغالي ماجلان قبل ما يزيد عن خمسة قرون بين الهند وافريقيا الجنوبية والبرازيل

[٣٥٩] جمال واكيم، م.س.، ص ٢٠٩

وفي هذا السياق، تلتقي هذه الدول مع استراتيجية القوى الاوراسية وعلى رأسها روسيا والصين فيما يخص كسر الاحتكار الاميركي للقرار الدولي، وانشاء تحالفات وتكتلات تمتلك من القوة والمقومات الجيوبوليتيكية ما يجعلها توازي القدرة الاميركية على التأثير في القرار الدولي، فـ"ان قوى على طريق ماجلان بالتعاون مع قوى صاعدة في آسيا تؤذن بنهاية عصر الهيمنة."[٣٦٠] **فسيطرة الولايات المتحدة على الشرق الاوسط والبحر المتوسط، اضافة الى الممرات البحرية التي تصل الاخير باوروبا، تحتم على القوى الاوراسية ايجاد البديل الذي يضمن الوصول الى الشرق الاوسط واوروبا ضمن ما يشبه الالتفاف على مناطق نفوذ الولايات المتحدة التي تعترض طريقها.** من هنا نرى تقاطع المصالح بين دول طريق ماجلان، اي الهند وجنوب افريقيا والبرازيل، والقوى الاوراسية الساعية للمنافسة الدولية اي روسيا والصين. وفي هذا السياق، برزت مجموعة البريكس ومجموعة شنغهاي اللتان سنتناولهما في الفقرة القادمة ضمن ادوات الجيوبوليتيك المعاصر مع شرح اهميتهما اضافة الى كيفية مساهمتهما في تغيير الواقع الجيوبوليتيكي ومسار القوى المرشحة للعب دور عالمي.

ان هذا التوجه الاوراسي لاعتماد الممرات البحرية عبر المحيط الهندي مروراً ببحر العرب وصولاً الى المتوسط، **يُعطي البحر الاحمر موقعاً هاماً في الصراع الجيوبوليتيكي الجديد، وبالتالي تصبح الممرات البحرية المؤدية اليه ومنه، ذات اهمية جيوبوليتيكية كبيرة.** من هنا يكتسب كل من باب المندب والسويس اهمية خاصة في تسهيل عملية وصول القوى الاوراسية الى البحر المتوسط، او عملية عرقلة هذا الوصول من قبل القطب الدولي الحالي اي الولايات المتحدة. لذلك يمكن القول ان جزء من الحرب على اليمن يتعلق بصراع النفوذ على هذا الممر المائي، الذي يتمتع بأهمية جيوبوليتيكية كبيرة، واحكام السيطرة عليه من قبل الولايات المتحدة وحلفائها.

ان صعود الدور المصري كصلة الوصل بين المحيط الهندي والمتوسط يمكن ان يعطي مصر الفرصة للخروج من الهيمنة الاميركية، ولعل هذا ما يفسر التقارب الذي تسعى له روسيا في العلاقات مع مصر. ويقابله محاولة الولايات المتحدة بابقاء الرئيس السيسي بعيداً عن النفوذ الروسي، ففي هذا السياق يمكن تفسير الضغط الذي تمارسه "اسرائيل" ومن خلفها الولايات المتحدة الاميركية على مصر في ملف سد النهضة الذي تعتبره مصر يمس بالامن القومي المصري لما يحدثه من ضرر على نهر النيل الذي يعد المورد الاهم لامدادات المياه لمصر.

لقد "اعترف أوباما وترامب بأن آسيا قد اكتسبت المزيد من الأهمية في الاستراتيجية الكبرى"[٣٦١] لا سيما مع التقارب الروسي الصيني والمحاولات الصينية الدائمة زيادة النفوذ في بحر الصين الجنوبي وما يتحكم به من طرق الملاحة التجارية والنفطية إضافة إلى محاولة التقرب من جيرانها لا سيما اليابان وتايوان. لذلك تعد

---

[٣٦٠] جمال واكيم، م.س.، ص ١٩٩
[٣٦١] نزار عبدالقادر، م.س.، ص ١٧

السياسات الاميركية في هذه المناطق خلال العقد الماضي دليلاً واضحاً على أهميتها الاستراتيجية وقيمتها الجيوبوليتيكية كقوة تأثير على مسار أي قوة يمكن ان تنافس النفوذ الدولي للولايات المتحدة.

فقد تغيرت التوجهات العامة للسياسات الخارجية الاميركية، فقبل العام ٢٠١٠ كانت اولوية التوجهات الاميركية مركّزة في الشرق الاوسط. اما بعده فقد كان واضحاً التحول في الاستراتيجية نحو "اسيا وافريقيا لاعتبارات جيوبوليتيكية ومواجهة خصومها المحتملين في الاستئثار بنفوذ استراتيجي على صعيد الشراكة او العلاقات او الموارد الاولية."[٣٦٢] فقد ادركت الولايات المتحدة ان وقوع هذه المناطق تحت سيطرة او نفوذ اخصامها الاستراتيجيين، وعلى رأسهم روسيا والصين، من شأنه ان يزيد من القدرة التأثيرية لهذه الدول على كامل اوروبا وآسيا.

لذلك عملت الولايات المتحدة لزيادة نفوذها في مجموعة من المناطق التي تعيق وصول القوى الاوراسية الى ربط مناطقها بالبحر المتوسط او التقدم نحو المحيط الهادئ. فمن أجل مواجهة نفوذ خصومها في المحيط الهادئ، عملت على تعميق العلاقات مع اليابان من خلال الدخول معها في اتفاقيات جوهرية تجعل من الاخيرة في مواجهة محاولات التمدد الاوراسية. كما ان سياساتها اتجاه كوريا الجنوبية تتجه نحو تعميق العلاقات العسكرية والاقتصادية.

هنا لا بد من الاشارة الى ان محاولات الولايات المتحدة الوصول الى اتفاق مع كوريا الشمالية من شأنه انهاء حالة العداء بين البلدين، وتعزيز الوجود الاميركي في اقصى الشرق الاسيوي فاتحاً المجال للنفوذ الاميركي للتوسع في مناطق النفوذ الروسي والصيني. الا ان هذه المحادثات لا تبدو انها ستعطي النتائج الاستراتيجية المرجوة للولايات المتحدة أقله في الوقت الراهن. لذلك نرى ان **التواجد العسكري الاميركي مقابل بحر الصين الشرقي له اهمية استراتيجية من حيث عرقلة طريق وصول الصين او اي اتحاد روسي صيني الى المحيط الهادئ**. وهذا ما يفسر التواجد العسكري الاميركي الكبير في هذه المنطقة حيث "حوالي ١٠٩ من اصل ٧٥٠ قاعدة عسكرية اميركية في العالم تقع في اليابان و٨٥ في كوريا الجنوبية."[٣٦٣]

اما في جنوب شرق آسيا، يعد بحر الصين الجنوبي الممر المائي الاهم من اجل وصول القوة الاوراسية المحتملة الى المحيط الهندي وبعده الى البحر الاحمر. وفي هذا السياق تعمل الولايات المتحدة لإيجاد حلفاء لها في جنوب شرق آسيا مثل تايوان والفيليبين وإندونيسيا وماليزيا وفييتنام وتايلاند من أجل منع الصين من الوصول الى الممرات البحرية اضافة الى العمل على تعميق الخلاف فيما يتعلق بأزمة بحر الصين الجنوبي للحؤول دون ازدياد النفوذ الصيني فيه. كما عملت الولايات المتحدة في الوقت نفسه على احاطة الصين بطوق

---

[٣٦٢] وائل محمد اسماعيل، **التغيير في النظام الدولي**، ط١، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٦، ص١٤٦
[٣٦٣] سارة ابو راشد، م.س.، ص ٦٥

من الأزمات يمتد من "وسط آسيا مروراً في أفغانستان وباكستان وميانمار وجنوب شرق آسيا بما فيها بحر جنوب الصين وصولا إلى بحر اليابان".[٣٦٤]

وفي اطار السعي الاميركي لتعطيل المشاريع الصينية في المحيطين الهادئ والهندي، عملت على تسليط الضوء على الأضرار البيئية والاجتماعية مقارنة بمشاريع الطاقة الأميركية في إطار مبادرات إستراتيجية المحيط الهادي الهندي التي تسعى إلى تنمية أسواق الطاقة بالمنطقة مع الحد من التداعيات البيئية الناجمة عنها.[٣٦٥] كما تسعى الى التنبيه من خطورة وقوع الدول المستفيدة من مشروع مبادرة الطريق والحزام في مديونية كبيرة للصين، متهمة بذلك الاخيرة بالسعي الى زيادة النفوذ السياسي عبر وسائل اقتصادية اهمها اغراق الدول في الديون.

اما ايران فتلعب دوراً هاماً في المعادلة الجيوبوليتيكية المعاصرة لعدة اعتبارات. فمن جهة تمتلك ايران مخزوناً طاقياً كبيراً اضافة الى سعيها للتحول الى دولة نووية مع ما يعنيه ذلك من حيازة التكنولوجيا الحديثة. ومن جهة ثانية، **تلعب ايران دوراً اقليمياً كبيراً من خلال المجموعات العسكرية في لبنان وسوريا والعراق وفلسطين المحتلة واليمن**، ما يعطيها تأثيراً كبيراً على المسطحات المائية الاستراتيجية كالبحر المتوسط ومضيق باب المندب، اضافة الى تأثيرها على مضيق هرمز بحكم موقعها الجغرافي المطل عليه وقدرتها البحرية على التواجد فيه او التأثير على الملاحة فيه.

اما فيما خص الازمة السورية وما تحويه من ابعاد جيوبوليتيكية تخص طرق الامداد البري بالنفط لاوروبا، فايران تلعب دوراً فعالاً ولها تأثير كبير على مسار الازمة بحكم تواجدها العسكري المباشر في سوريا، وعلاقتها الاستراتيجية مع سوريا اضافة الى تأثيرها على بعض المجموعات المسلحة المشاركة في القتال. كما لايران دور فعال في العراق عبر مجموعات الحشد الشعبي والارتباط الديني بشريحة عراقية كبيرة، مما يعطي ايران نفوذاً كبيراً في هذا البلد الذي يعد من ابرز الممرات البرية التي تربط آسيا بأوروبا على صعيد التجارة والنفط. لذلك فإن لايران دور كبير في الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر، لذلك نرى الضغط الاميركي عليها عبر السياسات الاقتصادية المسماة بالضغوط القصوى، اضافة الى محاربتها بمشروع الملف النووي والملف الدفاعي الصاروخي للحؤول دون، او اضعاف، التوجه الاستراتيجي الايراني الذي يلتقي مع التوجه الروسي في مواجهة النفوذ الغربي العالمي.

من هنا، تظهر مجموعة من المناطق الجديدة التي تلعب دوراً جيوبوليتيكياً هاماً على صعيد النفوذ الدولي. هذه المناطق من شأنها امداد القوة ذات النفوذ فيها على مقدرات تعطيها الافضلية في الصراع على السيطرة الدولية، اضافة الى ممرات مائية تمكنها من تأمين حرية ملاحة الاساطيل التجارية والعسكرية لربط

---

[٣٦٤] جمال واكيم، م.س.، ص ١٢٧

[٣٦٥] موقع قناة الجزيرة الالكتروني، **"لماذا تخشى اميركا من مبادرة الحزام والطريق الصينية؟"**، م.س.

آسيا، اوروبا وافريقيا ومن بعدها اميركا اللاتينية. لذلك تشكل المناطق التالية محاور جيوبوليتيكية جديدة في الصراع الدولي على النفوذ:

أ- اليابان والكوريتين لاهميتها كطريق اجباري بين اوراسيا والمحيط الهادئ عبر بحر الصين الشرقي، وما تفتحه من آفاق لحرية الملاحة الدولية للقوة النافذة فيها.

ب- دول جنوب شرق آسيا لما من شأنها من تمكين او اعاقة اي قوة اوراسية من الوصول الى المحيطين الهادئ والهندي، ومن الاخير نحو الهند في الطريق نحو البحر الابيض المتوسط.

ج- الهند كونها دولة نووية تتمتع بمقومات بشرية وموارد كبيرة تمكنها من لعب دور مهم في أي تحالف اوراسي مؤثر على المسرح الدولي، اضافة الى اشرافها على طرق الملاحة في المحيط الهندي الذي يربط جنوب شرق آسيا بالبحر الاحمر.

د- بحر العرب والخليج العربي وخاصة اليمن للتمكن بالتحكم بمضيق باب المندب الذي يعد المدخل الاول للطريق البحري القادم من المحيط الهندي نحو المتوسط.

ه- مضيق هرمز واهميته كصلة وصل بين منطقة جنوب قزوين والمحيط الهندي.

و- الساحل الشرقي لافريقيا من اثيوبيا وصولاً الى مصر اضافة الى البحر الاحمر انطلاقاً من كونه ممراً الزامياً للوصول من المحيط الهندي الى البحر المتوسط.

ز- دول جنوب بحر قزوين، ايران، العراق، سوريا وتركيا لتكوينها ممراً برّياً هاماً يربط آسيا بأوروبا على صعيد التجارة وخطوط نقل النفط.

بناء على كل ما تقدم، يمكن لنا القول ان اوراسيا لا زالت تتمتع بأهمية جيوبوليتيكية كبيرة في سعي الدول الكبرى لاحكام السيطرة على العالم. فمنطقة القلب والهلال الداخلي واللتان تعتبران اساس نظريات البر في الجيوبوليتيك، لا زالتا مسرحاً لصراع النفوذ بين القوى الدولية. وعلى الرغم من النفوذ الكبير للولايات المتحدة في الشرق الاوسط وشاطئ المتوسط، اضافة الى الممرات البحرية التي تمكّن القوى الاوراسية من الوصول الى اوروبا والشرق الاوسط، الا ان ذلك لم يمنع القوى الاسيوية من اللجوء الى ممرات اخرى لتفي بالغرض نفسه.

فمن جهة تشكل مبادرة الحزام والطريق الصينية اساس الاستراتيجية الصينية في الوصول الى المتوسط واوروبا من خلال مجموعة الممرات المائية والبرية التي تمر بجنوب شرق آسيا والمحيط الهندي. ومن جهة أخرى تستغل روسيا علاقاتها التاريخية مع دول المنطقة اضافة الى مشاريع امدادات الطاقة والغاز خاصة الى اوروبا من أجل تعزيز نفوذها في الشرق الاوسط، المتوسط واوروبا. من هنا برزت مناطق جنوب شرق آسيا والمحيطين الهادئ والهندي كمحاور جيوبوليتيكية جديدة يمكن لنا ان نعتبرها مكملة لنظريات البر في

الجيوبوليتيك كون الهدف لا زال واحداً وهو السيطرة على اوراسيا وتأمين المواصلات بين القوة الاوراسية وكامل اوروبا واسيا والشمال الافريقي، مقابل ابقاء هذا المجال تحت النفوذ الاميركي لمنع القوى الاوراسية الصاعدة من تمكين نفوذها في منطقة القلب والهلال الداخلي، وبالتالي تشكيل قوة دولية لها القدرة على فرض السيطرة الدولية في مواجهة الولايات المتحدة. فما هي ادوات الصراع في الجيوبوليتيك المعاصر؟ ومن هي القوى التي تمتلك تلك الادوات التي تمكّنها من لعب دور على الساحة الدولية؟ وما هي ملامح الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر؟

الفقرة الثانية: الجيوبوليتيك المعاصر

لقد بنت معظم نظريات الجيوبوليتيك افكارها على اساس اهمية مناطق معينة، كنظريات البر التي تقوم على اساس ان السيطرة على قلب العالم تؤهل للقدرة على فرض السيادة العالمية، او ممرات محددة كالنفوذ في الممرات البحرية الاستراتيجية كشرط اساسي للسيادة العالمية عند اصحاب نظريات البحر. وقد اظهرت هذه النظريات مجموعة من المقومات التي تدعم فكرتها، فكان العمق البري الاستراتيجي والقوة البرية العظمى من اهم مقومات الدولة الكبرى عند منظري البر في الجيوبوليتيك، يقابله اهمية امتلاك القوة البحرية المسيطرة عند منظري البحر. اما وسائل وأدوات تحقيق الاهداف فتباينت بين سياسية عسكرية واقتصادية وثقافية. وقد افرزت هذه النظريات بأدواتها ومقوماتها ومناطق اهتمامها قواً محددة مرشحة للسيادة الدولية كان على رأسها حديثاً الولايات المتحدة وروسيا.

لكن بروز قوى كبيرة من جديد على الساحة الدولية، اضافة الى مسار التكتلات والتحالفات، يفرض صراعاً جيوبوليتيكياً جديداً يشمل غير منطقة من العالم. وبالتالي تبدلت اهمية المناطق وزادت الادوات التي يتم استخدامها في الصراع الجيوبوليتيكي، مما افرز مجموعة من الدول والقوى التي يمكنها لعب دور مؤثر على الساحة الدولية. لذلك سوف نعمد الى الاشارة الى ادوات الجيوبوليتيك المعاصر، والقوى التي تمتلكها ما يجعلها من اللاعبين الجيوبوليتيكيين، اضافة الى ابراز المحاور الجيوبوليتيكية الجديدة وصولاً الى ملامح الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر.

أوّلاً: أدوات الصراع في الجيوبوليتيك المعاصر

شهدت مرحلة ما بعد الحرب الباردة بروز القطب الاميركي الواحد الذي تمكن من ادارة مفاصل العلاقات الدولية بشكل منفرد. واستخدمت الولايات المتحدة في انتشارها الجيوبوليتيكي لتثبيت نفوذها العالمي، مجموعة من الادوات كان ابرزها الاتفاقات الدفاعية والامنية، الحرب على الارهاب، النفوذ الديبلوماسي والسياسي، والضغط الاقتصادي. الا ان بروز قوى جديدة على مسرح العلاقات الدولية ورغبتها في منافسة النفوذ الاميركي، كرّس مجموعة من هذه الادوات وافرز مجموعة اخرى:

أ- **<u>الأداة العسكرية:</u>** تقوم الدول الطامحة لزيادة سيطرتها باستخدام كافة الوسائل التي تمكنها من توسيع نفوذها في المناطق التي تهمها. **فلا زالت التحالفات العسكرية والاتفاقيات الامنية والدفاعية احدى الادوات الفعالة في الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر.** حيث تعمل الولايات المتحدة على تثبيت شراكتها الامنية الدفاعية في المناطق الجيوبوليتيكية الهامة. "فهي في شراكة أمنية-دفاعية مع دول الخليج من جهة، ومع دول منطقة آسيا-المحيط الهادئ من جهة ثانية. وهي في شراكة "أطلسية" مع دول أوروبا الغربية لكي تبقى للمركزية

الأميركية الارادة المقررة في المجالين السياسي والعسكري في أوروبا. وهي في شراكة استراتيجية مع "اسرائيل" لكي تضمن لهذه الاخيرة تفوقاً نوعياً تضبط من خلاله الشرق الأدنى بل الأوسط كله."[٣٦٦]

وعلى الرغم من اعتماد ادارة الرئيس ترامب شعار "أميركا أولاً" كعنوان لفترة حكمه، ما يمكن ان يُفسَّر على انه عودة الى الانعزال الاميركي وتخفيف الاعتماد على القوة العسكرية خارجياً. الا ان **السياسة الخارجية الاميركية تُظهر انها لا تزال تعتمد بشكل كبير على التحالفات العسكرية والقوة الصلبة.** حيث "استعمال ادارة ترامب للقوة الصلبة، تبدو اكثر من اي شيء اكثر طموحاً من ادارة باراك اوباما."[367] هذا اضافة الى صفقات الاسلحة بمليارات الدولارات، والمساعدات العسكرية التي تقدمها، والتي لا زالت تُجرى مع مختلف الدول، ما يزيد الارتهان العسكري للولايات المتحدة عبر امكانية تشغيل التكنولوجيا، وقطع الغيار، كذلك الامر بالنسبة للاهتمام بتطوير الناتو واستمرار الاهتمام ببرنامج الدرع الصاروخي.

في مقابل هذه السياسة الاميركية، تسعى روسيا لاستمالة الدول التي يمكنها ان تشكل تحالفاً عسكرياً استراتيجياً معها، وعلى رأسها الصين وايران، بوصفها البديل عن الغرب كشريك، وليس كقوة هيمنة تقوم بفرض السياسات، وذلك عبر "الأحلاف والمحاور وليس من خلال الغزو... فالتسلط الأطلسي واستتباع من حوله من أوروبا وآسيا يفتح الباب لروسيا للدخول"[٣٦٨]. **فالتحالف الاستراتيجي الروسي الصيني من شأنه ايجاد قوة اوراسية لها القدرة على منافسة الولايات المتحدة على الصعيد الدولي،** وبالفعل "دخلت المناورات العسكرية الصينية الروسية المشتركة مرحلة تنفيذ العملية البحرية المشتركة"[369] ما ينذر باهتمام هذه القوى بالتحالف العسكري. اما ايران فهي تشكل ضرورة عسكرية روسية عبر اذرعها العسكرية المنتشرة في الشرق الاوسط، والمعادي للنفوذ الاميركي، وهو ما يبرر التحالف العسكري الاستراتيجي بينهما والذي ظهر بشكل واضح في سوريا، ومن وجود الاسلحة الروسية مع حركات المقاومة المدعومة من ايران.

وفي السياق العسكري ايضاً، تسعى روسيا للاستفادة من اي تباعد بين الولايات المتحدة وحلفائها من اجل تثبيت علاقاتها العسكرية معها. وهو ما حصل بعد رفض الولايات المتحدة تزويد تركيا بمنظومة الباتريوت، مما دفع روسيا لعرض تزويدها بمنظومة الـ اس٤٠٠. ومن المنظور عينه يمكن رؤية الطرح الروسي على المملكة العربية السعودية لتزويدها بمنظومات صاروخية دفاعية بعد فشل التواجد الاميركي في السعودية في الدفاع عنها اثر الهجوم على منشآت ارامكو النفطية في ١٤ ايلول ٢٠١٩.

---

[٣٦٦] شفيق المصري، م.س.، ص١١-١٢

[367] Barry Posen, "**the rise of illiberal hegemony trump's surprising grand strategy**", foreign affairs, 13 2 2018

[٣٦٨] الكسندر دوغين، م.س.، ص ٢٣٥

[369] **"المناورات العسكرية الصينية الروسية تدخل مرحلة تنفيذ العملية البحرية المشتركة"**، موقع CGTN الاخباري، ٤ ٥ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٤ ٥ ٢٠١٩

https://newsar.cgtn.com/news/3d497a5835417a4d78457a6333566d54/p.html

وتأتي منظمة شانغهاي* كدلالة على استمرار سياسة الاحلاف مقابل الاحلاف. فالمنظمة هدفها "مكافحة الإرهاب، والتطرف، والانفصالية، والتخطيط لبناء تعاون عسكري، وانشاء مركز إقليمي، ضد الإرهاب في بيشك عاصمة قرغزستان"[٣٧٠]، والتي تشكل دولها "٦٠٪ من اوراسيا وربع سكان العالم"[٣٧١]. **وتُعتبر منظمة شنغهاي القوة العسكرية المقابلة للناتو، ويبدو هدفها واضحاً بمواجهة النفوذ الغربي حين رُفض منح الولايات المتحدة عضوية كمراقب في المنظمة عام ٢٠٠٥.**

ب- **الأداة الاقتصادية:** لا تقتصر اداة التحالفات على تلك العسكرية فقط، فالبعد الاقتصادي يُعد من اهم مقومات القوة الحديثة، وبالتالي تصبح التحالفات الاقتصادية ضرورة لزيادة قدرات اية قوة. من هنا، تسعى القوى الطامحة للنفوذ العالمي الى تكريس قوتها الاقتصادية عبر مجالين: ثنائي، وجماعي. **ثنائياً، تقوم القوى بتعميق شراكاتها الاقتصادية مع الدول، عبر فرض نماذج اقتصادية معينة، او اغراقها بالديون من اجل فتح المجال امام التبعية السياسية.** من هنا تدخل الولايات المتحدة في شراكات اقتصادية عبر اتفاقيات التجارة الحرة والتبادل الثنائي، التي تضع الدولة الاضعف في مكان المُستنزف على المدى الطويل لعدم قدرتها على مجاراة المنافسة. كما تسعى الى ربط اقتصادات الدول بالدولار واغراقها بالديون بالعملة الصعبة ومن ثم استخدامها كأداة ضغط. او تقوم باضعاف الدولة المستهدفة عبر الحصار الاقتصادي، بغية احداث نقمة داخلية من شأنها ان تؤسس لتغيير سياسي في البلد او دفعه الى تقديم التنازلات، زنموذج سياسة الضغوط القصوى الاميركية على ايران نموذج.

في المقابل، نرى سعي الصين على سبيل المثال الى خلق حالة مماثلة عبر تمويل المشاريع الاستثمارية والاتفاقات الثنائية التي تخدم الهدف نفسه. حيث تتهمها واشنطن في سياق مبادرة الحزام والطريق "بأن التمويلات الصينية قد تؤدي إلى ديون تعجز الدول عن خدمتها مقابل البحث عن نفوذ سياسي".[٣٧٢] كما تقوم روسيا باستعمال الغاز الطبيعي وأسعار النفط كوسيلة ضغط، نظرا لما تنتجه أو يمر عبر مناطق نفوذها، من هذه المواد المهمة استراتيجيا لكل العالم وخاصة أوروبا التي تعتمد بشكل كبير على الغاز الروسي.

اما **جماعياً، فزيادة النفوذ تتم من خلال اتباع الدول لمنظمات ومؤسسات اقتصادية ومالية عالمية تتحكم بها القوى الكبرى.** فمن جهة، تسعى الدول الكبرى من خلال مجموعة الدول السبع والدول العشرين، اضافة الى اتفاقيات الغات، الى رسم السياسات الاقتصادية التي تتناسب مع زيادة نفوذها. ومن جهة أخرى تؤدي سيطرة الولايات المتحدة على المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية وعلى رأسها البنك الدولي وصندوق

---

* منظمة شانغهاي: تأسست عام ١٩٩٦ من الصين، روسيا، قرغيزستان، طاجكستان، وانضمت اوزباكستان عام ٢٠٠١.

[٣٧٠] ناديا مصطفى الصالح، **"التحولات في النظام العالمي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي"**، اشراف الدكتور عادل خليفة، الجامعة اللبنانية المعهد العالي الدكتوراه في الحقوق والعلوم السياسية والإدارية والاقتصادية، اطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانية في العلوم السياسية والإدارية، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٨٥

[٣٧١] جمال واكيم، م.س.، ص ١٩٦

[٣٧٢] موقع قناة الجزيرة الالكتروني، **"لماذا تخشى اميركا من مبادرة الحزام والطريق الصينية؟"**، م.س.

النقد الدولي، الى تعميق اعتماد اقتصادات الدول عليها عبر الهيكيلات الاقتصادية والشروط المفروضة لقاء القروض التي غالباً ما يكون لها ثمن سياسي، وبالتالي زيادة النفوذ الاميركي فيها، وتجربة مصر مع البنك الدولي بعد كامب دايفيد نموذج واضح في هذا الاطار.

وفي مقابل هذه المؤسسات التي تستخدمها الولايات المتحدة لزيادة نفوذها، ظهرت مؤسسات اقتصادية عالمية في مواجهة الهيمنة الأمريكية على العالم لاعطاء القوى الصاعدة عالمياً وعلى رأسها روسيا والصين "القدرة على الإفلات من المحاولات الأمريكية لحصرها في البر الآسيوي ومنعها من الوصول إلى طرق المواصلات البحرية".[٣٧٣] **وتأتي منظمة البريكس*** **على رأس هذه المؤسسات، كمنظمة مالية عالمية مواجهة للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي.** فقد حددت هدفها بإقامة نظام متعدد الأقطاب، في سعي منها لتأمين الامن والاستقرار السياسي وانجاز التقدم الاجتماعي لها ولشعوب الدول النامية، وكسر الهيمنة الاحتكارية للدول الغربية الكبرى. [٣٧٤] من هنا اعلنت مجموعة البريكس في العام ٢٠١٤ عن قيام بنك التنمية الجديد براس مال ١٠٠ مليار دولار، لاستخدامها لدعم اقتصادات الدول النامية في مواجهة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وذلك تزامناً مع اعلان البرازيل والهند والصين وجنوب أفريقيا تقليص ما تملكه من سندات اميركية.[٣٧٥]

بناء على ما تقدم، **لن تستطيع أي قوة من الحفاظ على نظام عالمي أحادي بشكل منفرد وذلك بسبب التطور التكنولوجي والعولمة التي تتيح للمنافسين الظهور على أكثر من صعيد. فيصبح اللجوء الى التحالفات العسكرية والاقتصادية والسياسية أكثر حاجة من ذي قبل.** فقد كانت التحالفات قائمة على رغبة الدول في زيادة النفوذ، لكنها قد تجد نفسها مضطرة للحفاظ على نفوذها الى الابقاء عليها وزيادتها. فعلى الرغم من "أن الاستراتيجية المتمثّلة في بناء هياكل قوية للتحالفات العسكرية ـ خصوصاً في أوروبا وآسيا ـ كانت منطقية في زمن مواجهة الاتحاد السوفياتي"[٣٧٦] تبقى اميركا تبحث عن تحالفات امنية باموال غيرها. وفي هذا السياق يشير تقرير "مركز الأمن الأميركي الجديد CNAS" في تقريره "اصوات جديدة في الاستراتيجية الكبرى"[٣٧٧] الصادر في ٢٠١٩/٤/١١، وفي معرض المقترحات لحفاظ اميركا على مكانتها الدولية، الى انه إذا كانت شبكة التحالفات والشراكات الأمنية الأميركية تمرّ بحالة من الركود، وَجَبَ إصلاحها وإعادة تشكيلها لتلبية احتياجات اليوم.

---

[٣٧٣] جمال واكيم، م.س.، ص ١٩٥

* البريكس: تأسست عام ٢٠٠٦ من البرازيل، روسيا، الهند، والصين، ثم انضمت جنوب إفريقيا عام ٢٠١٠. وهي تجمع سياسي اقتصادي عالمي، يسعى لتحقيق التعاون التجاري والسياسي والثقافي لدول المجموعة، مع إمكانية مساعدة الدول النامية، بتشجيعها ودعمها على إحراز نمو اقتصادي.

[٣٧٤] ناديا مصطفى الصالح، م.س.، ص ٤٢١

[٣٧٥] جمال واكيم، م.س.، ص ١٩٧-١٩٨

[٣٧٦] ملاك حمود، **"الاستراتيجية الكبرى (لما بعد) عصر الريادة الاميركية"**، جريدة الاخبار، ١٠ ٥ ٢٠١٩

[377] Richard Fontaine and others, **“New Voices in Grand Strategy**”, center for new American security, USA, April 11 2019, site visited on 28 December 2019 https://www.cnas.org/publications/reports/new-voices-in-grand-strategy

ج- **<u>الذكاء الاصطناعي والانترنت (الفضاء السيبراني):</u>** ان تقدم القوى المرشحة لتكون قواً عالمية كروسيا والصين في المناطق ذات الاهمية الجيوبوليتيكية كالشرق الاوسط، واسيا الوسطى والباسيفيك، ابرز **ميادين جديدة اصبح من الضروري تأكيد تفوق القوى الكبرى فيها، وفي مقدمتها ميادين التكنولوجيا والمجال (الفضاء) السيبراني.** وهو ما تسعى اليه الولايات المتحدة لحماية نفوذها، ف"استراتيجية البنتاغون للحفاظ على التفوق الدائم على النطاق العالمي ستدفع نحو سباق جديد للتسلح في ميادين الحرب النووية والتقليدية وغير التقليدية والسيبرانية وفي الفضاء."[٣٧٨]

وتُظهر ضخامة ميزانية القوى الطامحة للنفوذ العالمي للابحاث التكنولوجية والذكاء الاصطناعي، اهمية هذه الاداة في الصراع الدولي. حيث "خصصت الصين، خلال الاعوام الماضية، ميزانية ٢٠٠ مليار دولار سنوياً للابحاث في حقل التكنولوجيا المتقدمة، كعلم الآليات المبرمجة والذكاء الاصطناعي، بينما اكتفت وزارة الدفاع الاميركية، في ميزانيتها لسنة ٢٠٢٠، بالمطالبة بـ ١٠٤ مليارات دولار تخصص للحقل اياه."[٣٧٩] من هنا **برز مفهوم الحرب الالكترونية كجانب هام من جوانب الحروب الحديثة**، حيث تعرّف بأنها "استخدام أساليب الحرب وطرقه التي تشمل عمليات إلكترونية ترقى الى مستوى نزاع مسلح أو تستخدم في سياقه حسب تعريف القانون الدولي الإنساني... (مما دفع الرئيس الاميركي اوباما الى التحذير) من أن الهجمات السيبرية تعد شكلا من أشكال العدوان الحربي على بلاده ما يفسح المجال أمام رد عسكري بالمثل"[٣٨٠]، ومن بعده الرئيس ترامب الذي اعتبر ان هذه الهجمات تهدد الأمن الأمريكي.[٣٨١]

وفي هذا السياق تظهر اهمية السيطرة التكنولوجية والسيبرانية فيما ورد في تقرير بعنوان "وزارة الدفاع بدأت للتو إدراك مدى نقاط الضعف"، أعده مكتب التدقيق الحكومي الأمريكي، "إن انظمة التسلح الاميركية تعاني من الهشاشة أمام هجمات قد يشنها قراصنة... التجهيزات العسكرية الأمريكية باتت متصلة أكثر فأكثر بالأنترنت مثل الطائرات المقاتلة المليئة بالبرامج والأجهزة الإلكترونية إضافة إلى ان تحديد مواقع الجنود على الأرض يتم عبر نظام تحديد المواقع الجغرافية والسفن الحربية باتت إلكترونية... صحيح أن البرامج والأجهزة الإلكترونية تجعل العسكريين اكثر قوة لكنهم سيكونون اكثر ضعفا أمام هجمات القراصنة المحتملة"[٣٨٢].

---

[٣٧٨] لينا كنوش، **"استراتيجية استعادة التفوق الاميركي"**، جريدة الاخبار، ٢٤ ١٠ ٢٠١٩

[٣٧٩] م.ن.

[380] طارق المجذوب، **"الفضاء الخارجي مجال متباعد لحرب ماحقة قادمة"**، الدفاع الوطني اللبناني، ع١٠٧، اليرزة، كانون الثاني ٢٠١٩، ص١١،١٤

[381] م.ن.، ١٢-١٥

[382] **"البنتاغون يحذر...الاسلحة الأميركية في مرمى القراصنة"**، موقع سكاي نيوز عربيه، ٢٠١٨/١٠/١٠، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢ ١ ٢٠١٩ www.skynewsarabia.com

لذلك يمكن القول ان **الانترنت هي الاداة الاحدث التي دخلت الصراع**، وذلك عبر خلق "نظام عالمي غير رسمي ملائم في طبيعته للمزيد من التعاون العالمي الممأسس الشامل"[٣٨٣] استفادت منه الشركات المتعددة الجنسيات والسياسيون والجمعيات غير الحكومية من خلال خلق واقع في المجتمعات يناسب داعميها من القوى. فمن ناحية تلعب مواقع التواصل الاجتماعي، في مجال العالم افتراضي، دورا كبيرا في جمع البيانات المعلومات حول البيئة المستهدفة، مما يسهل العمل على توجيهها نحو اهداف محددة بطريقة تبدو عفوية، دون ادراك هذا التوجيه من قبل الشعوب. وهو ما يبرر استخدام مصطلح "الجيش الالكتروني" كدلالة على مدى فعالية هذا التوجيه، وعلى حقيقة استعماله كأداة لتمرير ودعم سياسات القوة التي تشغله. لذلك يمكن القول انه بامكان الصراع الجيوبوليتيكي استغلال هذا النوع من التقانية في الحروب الحديثة، **كأحد الادوات من خلال التحكم بالحروب المحلية والاقليمية على صعيد توجيه الرأي العام من خلال برمجيات المواقع الالكترونية من جهة، وامكانية ادارة هذه الحروب عن بعد من جهة اخرى.**

اما بالنسبة للسياسيين، فمن الملاحظ ان الرئيس ترامب قد ارسى بالفعل، وعبر الاستخدام المتكرر، **وسيلة مواقع التواصل الاجتماعي كأداة لتوجيه الرسائل السياسية والتعبير عن المواقف الرسمية.** حتى بات ما يُكتب على هذه المواقع من قبل السياسيين، مثل تويتر، يتمتع بالصفة شبه الرسمية تُبنى على اساسها مواقف وسياسات. ولم يقتصر الامر على الرئيس ترامب حيث اصبح للوزارات والمؤسسات الوطنية والدولية والمنظمات الحكومية وغير الحكومية والسياسيين، حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي تُطلق عبرها مواقف تستخدم لدعم سياساتها.

د- **التدخلات الخارجية (الدبلوماسية والقضائية والقومية):** وقد بدت التدخلات غير العسكرية اكثر وضوحاً في الصراع المعاصر، وأخذت اشكالاً عديدة بغية تمكين مطلقها من تثبيت نفوذه. وقد تفرعت هذه التدخلات عن فكرة عليا تسعى الولايات المتحدة الى تثبيتها، يمكن تسميتها **بالقانون فوق القومي**. حيث يُنظر الى الازمات ومناطق الصراع على انها ضمن سيادة عالمية، وبالتالي لا بد من تطبيق "المعايير الدولية" المعاصرة على المجتمعات والا كانت عرضة للنبذ او المحاربة بكافة اشكالها. ومن هذا المنطلق، فُعّل حق التدخل ومسؤولية الحماية "حيث يتم تهميش دور الأمم المتحدة ليكون دورها داعما وليس رياديا أو حتى رادعا"[٣٨٤]، فتتصرف الدولة القادرة وفق ما تراه مناسباً لتثبيت هذا القانون. كما فتح الباب امام تدخلات اخرى ابرزها التدخل الدبلوماسي عبر السفارات والمؤتمرات، التدخل لنشر الديمقراطية، التدخل القضائي عبر المحاكم الدولية، وصولاً الى الثورات.

---

[٣٨٣] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ٢٦٣
[٣٨٤] ناديا مصطفى الصالح، م.س.، ص ٢٦٧

وفي هذا السياق يظهر تفعيل الاداة الدبلوماسية، من خلال عمل السفارات التي تهتم باعداد التقارير لتقدير الموقف بغية رسم السياسات الخارجية لدولها وفق ما يمكّنها من توجيه البلد مع مصالحها من جهة، والتأثير المباشر على العمل السياسي لخدمة هذه المصالح من جهة اخرى. فلقد وصلت مهمات الدبلوماسيين الاميركيين في السفارات، على سبيل المثال، "الى التدخل المباشر في حياة الدول المضيفة، لتنفيذ عملية التحول الديمقراطي، وتدريب مواطني الدول على امور من نوع حكم القانون، أو مباشرة إنشاء الأعمال، واصلاح التعليم عن طريق **الدبلوماسية التغييرية**. وقد نظمت الولايات المتحدة عدد من المؤتمرات، في ظل ما يعرف بفعاليات منتدى المستقبل، التي تم عقدها في إطار مبادرة الشرق الاوسط الأوسع منتدى المنامة الدولي، وملتقى الاقتصاد العربي، بالإضافة إلى تحفيز بعض الدول على الإصلاح الدمقراطي، من خلال عقد اتفاقيات التجارة الحرة مع الولايات المتحدة وهذا مع توظيفه كدافع لتعزيز عملية التحول الديمقراطي في تلك الدول." [٣٨٥]

كما تظهر الادوات الدبلوماسية من خلال **المؤتمرات الدولية التي تعقدها الدول، والتي تستهدف ملفاً معيناً لاظهاره في خانة الاجماع الدولي.** وهو ما حصل في مؤتمر وارسو عام ٢٠١٩ بحضور ٦٠ دولة من أجل بحث شؤون الشرق الاوسط والمواجهة مع إيران بدعوة من الولايات المتحدة. وكما هو الحال في مسار مؤتمرات استانة المعنية بالازمة السورية بين روسيا وتركيا وايران، الذي يستخدمه هذا المحور بموازاة مسار جنيف المعني بالازمة ذاتها برعاية الامم المتحدة. و يشكل تعامل روسيا مع الأزمات الإقليمية من خلال "خطوات فجائية ومحدودة مصممة لمفاجأة الخصم وكسر إرادته، لتكون في موقع أقرب مع كل المتحاربين في الصراع مما هم فيما بينهم، لكي تكون في مركز الاتفاقات النهائية"[٣٨٦] دليلاً آخر على اهمية الاداة الدبلوماسية في فرض المصالح ومد النفوذ.

اما **التدخل القضائي، فيتم من خلال استخدام النفوذ السياسي من اجل فرض محاكم دولية، يمكن من خلالها توجيه الامور لما يخدم مصالح داعمها**، من اجل فرض القيم فوق القومية التي تحدثنا عنها سابقاً. وهو ما حصل في قضية المحكمة الخاصة بلبنان، على سبيل المثال، اضافة الى المطالبات بمحاكم دولية خاصة بسوريا واليمن وغيرها من مناطق الصراع.

وفي سياق آخر، وعلى الرغم من ان **الاكثرية العظمى من الثورات قائم على مطالب اجتماعية معيشية واقتصادية، الا ان دعمها من القوى الكبرى غالباً ما يؤدي الى استعمالها في خدمة مصالح الاخيرة السياسية والاقتصادية.** فالهدف الأساسي من الربيع العربي، مثلاً، هو تثبيت الانقسام العربي، ترسيخ عدم ثقة الشعوب العربية بأنظمتها، استبدال الأنظمة باخرى أسوأ منها، وادخال البلدان في حالة فوضى و فراغ للاهتمام بالشؤون الداخلية وتسيير أمور الحكم لا أكثر، وهو ما يمكن استنتاجه من خلال قراءة الاوضاع السياسية والاقتصادية

---

[٣٨٥] ناديا مصطفى الصالح، م.س.، ص ٢٧٥

[386] Vance Serchuk, opcit.

والاجتماعية في هذه الدول. فمن شأن سياسة التقسيم والتي اشار اليها بريجنسكي بفرق تسد، ان تخلق فراغاً تمكّن القوى الكبرى من ملئه. كما ان الثورات الملونة في اوروبا وآخرها في جورجيا واوكرانيا، استُغلت من الولايات المتحدة لزيادة نفوذها في تلك المنطقة.

في المقابل، واجهت روسيا هذه الثورات بالتدخل لحماية السكان الروس. فكانت احد ركائز الحملة الروسية **حماية الاوكرانيين الروس** ورغبتهم بالانضمام لروسيا التي تعد اصلهم. حيث ان روسيا تقوم بـ"حماية المواطنين الروس في الخارج عبر استخدام الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية"[٣٨٧]، وهو ما يوفر اساساً مبدئياً للتدخل في شؤون البلدان التي تحوي مواطنين للقوى الكبرى اذا وجدت مصلحة في ذلك، من خلال ما يمكن تسميته **بالتدخل القومي**.

ه- <u>**محاربة الارهاب:**</u> **ولا زالت محاربة الارهاب احد الادوات والمبررات التي تتيح للدول الكبرى توسعة نفوذها.** فقد استعملته الولايات المتحدة في معظم تدخلاتها في افغانستان والعراق والصومال وسوريا. وفي هذا السياق كتب "رجل صحيفة الغارديان في وزارة الخارجية ان هجوماً امريكياً على الصومال يوفر فرصة لتسوية حساب قديم اذ قتل هناك في سنة ١٩٩٣ ثمانية عشر جندياً امريكياً بصورة وحشية."[٣٨٨] ان مقاربة التدخل الاميركي في الصومال واعطائه غطاء الانتقام لسبعة عشر جندياً مقابل الاف الضحايا الصوماليين الذين سقطوا عام ١٩٩٣، يظهر ان هذه المسألة لا تعدو كونها اداة لتبرير التدخلات وزيادة النفوذ. من هذا المنطلق تكلم نعوم تشومسكي عن البراغماتية الاميركية والسبل التي تعتمدها هذه الادارة للتدخل في شؤون الدول.[٣٨٩] كما استخدمتها الولايات المتحدة وروسيا في الحرب السورية لتبرير تدخلهما العسكري.

و- <u>**القوة الناعمة والذكية:**</u> الى ذلك يتبين ان **القوة الناعمة والذكية باتت ادوات اساسية في الصراع الجيوبوليتيكي الحديث.** والقوة الناعمة بحسب جوزيف ناي* "تعني قدرة دولة معينة على التأثير في دول أخرى وتوجيه خياراتها العامة، وذلك استنادا إلى جاذبية نظامها الاجتماعي والثقافي ومنظومة قيمها ومؤسساتها، بدلا من الاعتماد على الإكراه أو التهديد"[٣٩٠]، وتقوم بشكل اساسي على الثقافة والقيم السياسية والسياسات الخارجية.

تهتم الولايات المتحدة بشكل كبير في هذا النوع من القيم والثقافة، وهو ما اتبعته منذ الحرب الباردة عبر "الحلم الاميركي" وقيم الحرية والليبرالية والديمقراطية. حيث **تسعى الولايات المتحدة عبر الاعلام وسياساتها الخارجية الى تثبيت الديمقراطيات ونشر الحرية وفق ما يتطابق مع مصالحها الخارجية.** كما تعمل القوى

---

[٣٨٧] محمد الحموي، **"السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة: نموذج الشرق الاوسط"**، اشراف الكتور غسان العزي، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، رسالة لنيل دبلوم في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٣

[٣٨٨] فل سكراتون، **ما وراء ١١ سبتمبر**، ترجمة ابراهيم يحيى الشهابي، جون بيغلر، "تهديد غير معقول للانسانية"، الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٤، ص٦٤

[٣٨٩] م.ن. ص ١٤٤

* جوزيف ناي Joseph Nye (١٩٣٧-٠٠٠): باحث سياسي أميركي من مؤسسي الفكر النيوليبرالي، ويعد من ابرز الباحثين في مجال القوة الناعمة في السياسة الدولية.

[٣٩٠] ليلى نقولا، **العلاقات الدولية من تأثير القوة الى قوة التأثير**، ط١، cedar river production، بيروت، ٢٠١٩، ص ٢٠٠

المنافسة على النفوذ العالمي على ابراز هذه القوة كذلك، ففي في تشرين الأول ٢٠١١ خصصت اللجنة المركزية السابعة عشرة للحزب الشيوعي الصيني جلسة عامة كامله لقضية الثقافة، حيث اكد البيان الختامي ان "هناك هدفا وطنيا وهو بناء قوة عظمى ثقافية اشتراكية"[٣٩١]. وهو ما يُظهر توجه الصين الى استخدام القوة الناعمة كأحد الادوات لمد نفوذها.

كما نجد أن الروس في عهد الرئيس بوتين يستخدمون معايير القوة الناعمة من خلال مجموعة من الطرق. فمن ناحية هناك محاولات لاظهار قوة وانسانية الروس التي تستقطب المزاج العام، ومن ناحية اخرى هناك توجه إلى استخدام عامل الدين من خلال الكنيسة التي كانت تربط أوروبا بروسيا. يظهر ذلك من خلال الاعلام عبر الصور "المسرّبة" المتعددة للرئيس بوتين، تارة في الطبيعة الصعبة والبرد القارس او في رحلات الصيد الشاقة، أو في اجتماع مع كبار مدراء المصانع وهو "يوبخهم" ويملي عليهم ما يجب فعله، وطوراً في برامج الغناء كمواطن عادي يُظهر مشاعره ويشارك النشاطات الترفيهية.

اما **القوة الذكية** فقد عرّفتها وزيرة الخارجية السابقة للولايات المتحدة الأمريكية هيلاري كلينتون بأنها "تسخير كل الأدوات التي تتوفر لدى الولايات المتحدة سواء الاقتصادية والعسكرية والسياسية والقانونية والثقافية والإعلامية والبحث عن الأداة الملائمة من بين هذه الأدوات بما يتناسب مع كل وضع دولي"[٣٩٢]. وفي هذا السياق، تسعى الولايات المتحدة الى التأكيد على تطوير واستعمال كل من الوسائل العسكرية وغير العسكرية من أجل الوصول الى تأمين مصالحها.[٣٩٣] كما ادركت روسيا ضرورة استخدامها، وهو ما انعكس في اجتماع لمجلس الامن الروسي في تموز عام ٢٠١٥، حين دعا الرئيس بوتين الى تعديل استراتيجية الامن القومي الروسي "لتشمل السياسة والاقتصاد والاعلام الى جانب القوة العسكرية"[٣٩٤].

ز- <u>**الفضاء الخارجي**</u>: **وقد دخل مجال الفضاء الصراع العالمي المعاصر**، وهو يعد من احدث واهم ادوات الصراع الجيوبوليتيكي نظراً لما يقدمه من افضلية للقوة المتفوقة في هذا المجال على صعيد امكانية التحكم بمقومات القوة العسكرية والتكنولوجية. فالانترنت ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة تعتمد بشكل اساسي على الاقمار الاصطناعية، وبالتالي **يتحكم الفضاء بشكل كبير بوسائل القوة الناعمة**. كما يساهم مجال الفضاء في توفير المعلومات الاستخباراتية في الأزمات وتوفير معلومات تحديد المواقع، والتي توفر معطيات تعكس التوجهات السياسية للمجتمعات، مما يسمح باستخدامها في السياسات الخارجية للتأثير على البلدان الاخرى،

---

[٣٩١] م.ن.، ص ٢٠١

[٣٩٢] ليلى نقولا، **العلاقات الدولية من تأثير القوة الى قوة التأثير**، م.س.، ص ٢٠٣

[393] Alan J. Vick and others, **Air power in the new counterinsurgency era**, Rand corporation, USA, 2006, p 62

[٣٩٤] نصر المجالي، **"بوتين يقر الاستراتيجية الجديدة للامن القومي الروسي"**، الموقع الالكتروني لصحيفة ايلاف، ٣١ ١٢ ٢٠١٥، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٩ ١١ ٢٠١٩

www.elaph.com>web>news>2015/12

كمراقبة الالتزام المعاهدات المتعلقة بالحد من التسلح ونزع السلاح او توجيه المجتمعات نحو مسار سياسي معين.

وفي مجال **عسكرة الفضاء**، اعلن الرئيس ترامب في ١٨ حزيران ٢٠١٨ إنشاء فرع سادس للجيش هو القوة الفضائية او القوات المسلحة الفضائية. وفي هذا السياق تسعى روسيا لبناء الأقمار الانتحارية، في مقابل تصنيع الصواريخ المضادة للأقمار المعادية الذي اعلنته وكالة الفضاء الأمريكية في العام ٢٠٠١.[٣٩٥] ومن بين حوالي ١٤٠٠ قمر صناعي يعمل حاليا في مدارات حول الأرض، ٤٠٪ منها تخص الولايات المتحدة، أي نحو ضعف ما تملك كل من روسيا والصين مجتمعتين، منها حوالي ١٥٠ قمرا صناعيا اميركيا يستخدم في تطبيقات عسكرية.[٣٩٦] لذلك يمكن القول ان **الدول الكبرى بدأت فعلاً باستغلال الفضاء عسكرياً، مما ينذر بسباق تسلح فضائي يُذكّر بحرب النجوم خلال الحرب الباردة.**

وبعد اعلان الرئيس ترامب أن "استراتجيته تحتوي على ان الفضاء الخارجي "مجال للمنافسة."[٣٩٧] وفي مسعاً منه لشرعنة عسكرة الفضاء، فسّر المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة، والفصل الثالث من معاهدة الفضاء الخارجي الذي ينص على أن القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة يتيحان استكشاف الفضاء الخارجي واستخدامه بما يبرر مساعي أي دولة لتطبيق القوة الفضائية لحماية أمنها ومصالحها[٣٩٨]. الا ان التوجه الاميركي نحو الفضاء ليس جديداً، فضمن الاستراتيجية التي حددها دونالد رامسفيلد*، اشار الى ضرورة حماية الولايات المتحدة لقواعدها البعيدة، وحماية شبكة المعلومات من اي هجوم، والسيطرة غير المقيدة على الفضاء.[٣٩٩] وبالتالي تصبح **حرب الفضاء الخارجي او السيبراني احد الادوات المتاحة للدول الكبرى لفرض سياساتها**، وبات "الاشتعال العسكري الأكثر إثارة القلق في العالم ...لكي تراه انظر فقط إلى سماء صافية، للفضاء المحيط بمدار الأرض حيث يتكشف أمامك صراع وسباق التسلح لا ينقصه سوى الاسم."[٤٠٠]

يظهر لنا من خلال ما تقدم ان ادوات الصراع الجيوبوليتيكي قد تكيفت مع التقدم التقاني والتكنولوجي، فاضافة الى تكريس الوسائل الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية، برزت مجموعة من الادوات الحديثة يأتي في

---

[395] طارق المجذوب، م.س.، ص ١٥-٢٠

[٣٩٦] جوناثان مارشل، **"خطط اميركية ل"حرب الفضاء""**، صحيفة الخليج الإماراتية، ٢٩ ٧ ٢٠١٧

[٣٩٧] **"ترامب يعلن الاستراتيجية الجديدة للامن القومي الاميركي: السلام بالقوة"**، موقع قناة روسيا اليوم بالعربية، ١٨ ١٢ ٢٠١٧، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٦ ٦ ٢٠١٩

www.arabic.rt.com

[٣٩٨] بشير عبد الفتاح، **"ترامب يواصل المساعي الأمريكية لعسكرة الفضاء"**، صحيفة الحياة، ١٨ ٨ ٢٠١٨

* دونالد رامسفيلد Donald Rumsfeld (١٩٣٢-٠٠٠): سياسي أميركي، شغل منصب وزير دفاع الولايات المتحدة بين اعوام ١٩٧٥-١٩٧٧، وبين ٢٠٠١-٢٠٠٦.

[٣٩٩] سمير مرقس، م.س.، ص ١٢٠

[400] لي بيلينجز، **"الحرب في الفضاء قد تكون أقرب من أي وقت مضى"**، مجلة سينتفك أمريكان، ٢٠١٧/٣/٢٢

مقدمها الذكاء الاصطناعي والانترنت والفضاء. انعكس هذا التعديل على الوسائل المتاحة ، بطبيعة الحال، على صورة الصراع الجيوبوليتيكي العالمي من حيث القوى القادرة على خوضه ومناطق هذا الصراع.

ثانياً: الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر

لم تعد الولايات المتحدة القوة الدولية الوحيدة التي تمتلك وسائل لفرض مصالحها على الساحة الدولية. فتفاوت ادوات الصراع وتعددها كما اشرنا في النبذة السابقة، اضافة الى التطورات الكبيرة التي شهدها العالم منذ بداية القرن الحالي على صعيد امتلاك دول اخرى مقومات القوة الكبرى، افرزت مجموعة من اللاعبين الجيوبوليتيكيين القادرين على المنافسة على النفوذ العالمي.

يُعرّف بريجينسكي اللاعبين الجيوبوليتيكيين بأنها تلك "الدول التي تمتلك القوة والإرادة الوطنية اللازمة لممارسة النفوذ وراء حدودها إلى الحد الذي يؤثر على مصالح اميركا."[٤٠١] بناء على هذا التعريف، يمكن لنا القول ان هناك شرطين لوصف قوة معينة باللاعب الجيوبوليتيكي: الاول ان تمتلك مقومات القوة التي يمكن استخدامها في الصراع على النفوذ، والثاني ارادة ذاتية لمد النفوذ والسعي نحو السيطرة. من هنا اصبح بالامكان الاشارة الى اللاعبين الجيوبوليتيكيين في الصراع المعاصر.

وقد اشار الرئيس ترامب الى وجود قواً منافسة على الصعيد العالمي عند عرض استراتيجية الامن القومي عام ٢٠١٧، حيث قال "إن الاستراتيجية الجديدة تتضمن الاعتراف، وسواء طاب لنا ذلك أم لا، بأننا دخلنا عصرا جديدا من التنافس."[٤٠٢] كما اشارت الاستراتيجية الى ان التهديدات الرئيسية على الامن الاميركي هي "طموحات روسيا والصين، والدولتان المارقتان إيران وكوريا الشمالية، والجماعات الإرهابية الدولية الهادفة إلى العمل النشط ضد الولايات المتحدة."[٤٠٣] يشير هذا التوجه للامن القومي الاميركي الى المنافسين بشكل واضح. فقد فندت **الصين وروسيا على انهما قوتين منافستين، في الوقت الذي اشارت الى ايران وكوريا الشمالية بالدول المارقة، ثم اتبعتها بالجماعات الارهابية وهو مدخل السياسة الخارجية الاميركية الى الكثير من الازمات من خلال محاربة الارهاب.**

لكن ايران وكوريا الشمالية لا تعدوان كونهما لاعبين اقليميين، ولا يمكن لهما، على الاقل في الوقت الراهن والمعطيات الحالية، ان تكونا لاعبين جيوبوليتيكيين. ان مرد عدم اعتبارهما من اللاعبين الجيوبوليتكيين يعود الى الحصار السياسي والاقتصادي المفروض عليهما، اضافة الى عدم قدرتهما على مجابهة الولايات

---

[٤٠١] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ٥٨

[٤٠٢] ترامب يعلن الاستراتيجية الجديدة للامن القومي الاميركي: السلام بالقوة، م.س.

[403] 2017 National Security Strategy of the united states, opcit.

المتحدة مباشرة وبشكل منفرد. لكن دورهما الاقليمي وموقعهما، اعطاهما دوراً في المعادلة الجيوبوليتيكية الدولية في ظل التحالفات الدولية القائمة.

بناء على ما تقدم، اضافة الى المنطلقات الفكرية للمدرستين الجيوبوليتيكيتين الروسية والصينية اللتان اشرنا اليهما في الفصل الاول من بحثنا، فاننا نرى ان **روسيا والصين هما الدولتان اللتان يمكن ان تقودا اي قوة قد تشكل منافسة حقيقية للسيادة الاميركية في العالم.** فالمصلحة الروسية القصوى هي في تحقيق اتحاد أوراسي مواجه للأطلسية. وفي سبيل هذا الاتحاد تقوم روسيا بمحاولات بناء الاحلاف الاقتصادية والعسكرية شرقاً مع الصين والتوسع غرباً وجنوباً نحو اوروبا والشرق الاوسط، مستغلة اي فرصة تباعد اميركي اوروبي، خاصة مع "اللاعبين الاساسيين في اوروبا الغربية فرنسا والمانيا (اللتان) تحرك كل منهما رؤية لاوروبا موحدة"[٤٠٤]. فـ"الاكثرية في فرنسا والمانيا يفضلون روسيا والصين على الولايات المتحدة، والرؤى المؤيدة للولايات المتحدة في اوروبا انخفضت الى النصف."[٤٠٥] في المقابل تعتمد الصين على نموها الاقتصادي الذي يشكل ٣٥٪ من النمو الاقتصادي العالمي، والذي يبلغ ثلاثة اضعاف حصة النمو الاميركي من النمو الاقتصادي العالمي[٤٠٦]، ويظهر استغلال ذلك جيوبوليتيكياً في مبادرة الطريق والحزام.

اما القوة الاوراسية الابرز التي ترى فيها الولايات المتحدة تهديداً استراتيجياً لها، فهي تلك القائمة على روسيا والصين والهند مجتمعين، وهو مشروع قديم يعود الى المثلث الاستراتيجي الذي طرحه بريماكوف في سياق تحركه نحو الصين والهند، والذي يعد "اول محاولة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي لبناء محور عالمي وازن في مواجهة القطب الدولي الواحد."[٤٠٧] من هنا تبرز اهمية البريكس لضمها الى جانب الدول الثلاثة، البرازيل وجنوب افريقيا ما يعطيها اهمية جيوبوليتيكية الى جانب اهميتها الاقتصادية. فقد توقع مصرف جولدمان ساكس عام ٢٠٠١ إن اقتصاديات البرازيل وروسيا والهند والصين سوف تتفوق على اقتصاديات اميركا والدول السبع الكبرى في منتصف القرن. ومنذ ذلك الحين حتى اندلاع الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨، والدول الخمسة تسلك مسارا اقتصاديا وسياسيا متصاعدا، وسط تحديات يطرحها الخارج والداخل على السواء.[٤٠٨]

من هنا يمكن القول ان اللاعبين الجيوبوليتيكيين في الصراع الدولي المعاصر تنحصر في القوى التالية:

أ- الولايات المتحدة الاميركية، الصين، وروسيا كدول تمتلك مقومات وادوات السيطرة وبسط النفوذ.

---

[٤٠٤] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ٦٠

[405] Philip H. Gordon and Jeremy Shapiro, opcit.

[٤٠٦] فرجينيا هاريسون ودانييل بالمبو، **"كيف اصبحت الصين معجزة اقتصادية؟"**، موقع بي بي سي، ١ تشرين الاول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع في ٧ ١١ ٢٠١٩

https://www.bbc.com/arabic/world-49891360

[٤٠٧] عبد الاله بلقزيز، م.س.، ص ٥٤

[٤٠٨] هيفاء زعيتر، **"مجموعة البريكس قوة صاعدة ترعب الشمال العجوز"**، جريدة السفير، ٢٨ ٣ ٢٠١٣

ب–قوة اوراسية قائمة على تحالفات استراتيجية بين روسيا وأوروبا وتركيا وايران، او تحالف دولي مرتكز على قواً لها امتداد اوراسي كالصين او روسيا او اثنيهما، على غرار البريكس.

ج– تحالف صيني شرق آسيوي يسمح للصين بالوصول الى المحيط الهادئ ومنه الى المحيط الهندي ثم البحر المتوسط.

د– الاتحاد الاوروبي اذا ما استطاع بناء اتحاد مستقل عن الارادة الاميركية بشكل فعلي، وهو الامر المستبعد خاصة مع الازمات الاقتصادية التي عانت منها بعض اعضائه مثل اليونان وايطاليا، اضافة الى التفاوت في القوة الاقتصادية وغياب رؤية استراتيجية لاتحاد فعلي، لا سيما على الصعيد السياسي، وهو ما يظهر في المفاوضات مع بريطانيا بشأن الخروج من الاتحاد.

بناء على هذه القوى السابقة الذكر، يمكن لنا ان نستشرف مناطق الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر. **فاضافة الى بقاء اوروبا والشرق الاوسط في جوهر الصراع، دخلت افريقيا وشرق اسيا الى سباق النفوذ العالمي بشكل أكثر حدية من ذي قبل،** واخذت منحاً واضحاً حول أهميتها في وصول القوة الاوراسية المرشحة للعب دور عالمي، الى البحر المتوسط وأوروبا، عبر تجنب مناطق نفوذ الولايات المتحدة في اوروبا والشرق الاوسط كما اشرنا سابقاً.

ان الاهمية الجيوبوليتيكية للمناطق الانفة الذكر، جعلت تركيز القوة العسكرية للدول في مناطق محدودة غير فعال. حيث يؤكد فوكوياما ان القوة يجب ان تكون قادرة على الحركة والانتشار بشكل سريع.[٤٠٩] ان تطبيق هذه المقولة يظهر في قول وزير الدفاع السابق للولايات المتحدة دونالد رامسفيلد ان "استراتيجية موقعين حربيين كبيرين والتي تمكّن القوة العسكرية الاميركية من خوض حربين في موقعين مختلفين... لا تفي بمواجهة التحدي في القرن الجديد."[٤١٠] وهو ما دفع الى العدول عنها من استراتيجية عسكرية مبنية على الخطر THREAT BASED نحو استراتيجية قائمة على القدرات CAPABILITIES BASED تمكن القوات الاميركية من مواجهة اي خطر في اي مكان.[٤١١]

ولا تزال اوروبا محوراً جيوبوليتيكياً هاماً، فعلى الرغم من غياب اتحاد اوروبي فعال يمكن ان يشكّل قوة كبرى، لا تزال اوروبا تشكل نقطة مفصلية في صراع القوى العالمية. فمن خلال اوروبا تتحكم الولايات المتحدة بالاطراف الروسية، وتشكل نقطة انطلاق لتوسع النفوذ شرقاً نحو أوروبا الشرقية والحدود الروسية الغربية بغية ايجاد "نظام أوروبي أطلسي أوسع يمكن عندئذ لروسيا أن ترتبط به على نحو مستقر وامن"[٤١٢]،

---

[٤٠٩] فرانسيس فوكوياما، **امريكا على مفترق طرق**، ترجمة محمد محمود التوبة، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٧، ص ١٧-١٨

[٤١٠] سارة ابو راشد، م.س.، ص٤١

[٤١١] سمير مرقس، م.س.، ص ١١٩

[٤١٢] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ١١٥

تكون فيه روسيا "محطمة يستغلها جيرانها"[413]. بالمقابل تشكل اوروبا مجال الامتداد الطبيعي للقوة الاوراسية التي تطمح روسيا والصين لايجادها، اضافة الى سوق طاقة وتجارة كبير **في زمن تكاد تكون فيه الاداة الاقتصادية والنفطية الاكثر تأثيراً.**

ولا يبدو ان الصراع العسكري بين القوى الكبرى في اوروبا شارف على النهاية. فلا زالت الدرع الصاروخي وامتداد الناتو في شرق اوروبا احد اهم الازمات التي تتصارع فيها روسيا والولايات المتحدة، وهو ما يُنذر بامكانية ازمات مشابهة للازمة الجورجية او الاوكرانية في اي من دول شرق اوروبا، لا سيما بيلاروسيا وبولونيا. وهو ما يظهر في "تصريح مسؤولون في وزارة الدفاع الروسية أن من بين الاحتمالات الواردة لمواجهة هذا المشروع توجيه ضربات جوية إلى مواقع في أوروبا".[٤١٤] اما الصين، فان السوق الاوروبي يشكل غاية اساسية كونها المحطة الاخيرة في مشروع طريق الحرير الجديد، اضافة الى الاهمية في قيام القوة الاوراسية المنافسة عالمياً.

على صعيد الشرق الاوسط، لا تزال الازمات المندلعة فيه تحمل الطابع الجيوبوليتيكي الساعي الى زيادة النفوذ فيه، من خلال اهتمام القوى الكبرى في التواجد في مناطقه وادارة هذه الازمات وفق مصالحها. فبعد هجمات ١١ ايلول ٢٠٠١، دخلت الولايات المتحدة الى الشرق الاوسط بناء على تصنيف جديد لتهديدات امنها القومي القائمة على مجموعات وافراد بدل الدول[٤١٥]، وهو ما اعطاها هامشاً اكبراً بالتحرك وفق تصنيفاتها للجماعات والافراد الارهابية. كما استطاعت الدخول الى المنطقة عبر استراتيجية قيادة تحالفات دولية، كما حصل في غزو العراق والتحالف الدولي لمحاربة الارهاب في الازمة السورية. فـ"الولايات المتحدة لن تقحم نفسها في حروب احادية في الشرق الاوسط"[٤١٦] بل عبر التحالفات التي تبرر تدخلاتها والتي تعطيها الطابع الدولي ولو من خارج الامم المتحدة. **وهدفت الولايات المتحدة الى تحقيق "تراجع (في) الحروب بين دول المنطقة والتي كانت تهدد المصالح الأمريكية حيث تحولت هذه الصراعات إلى تهديدات أمنية داخل الدول نفسها"**[٤١٧]، من خلال العمل على التجزئة والتفريق وفق مبدأ فرق تسد كما سبق وأشرنا سابقاً في فقرة السياسات الخارجية الاميركية في المنطقة.

اما فيما عُرف بالربيع العربي، فلم تتدخل الولايات المتحدة مباشرة الا في سوريا، لكنها استغلت مآل الامور في هذه الدول عبر علاقات تسمح لها بالابقاء على نفوذها كما حصل في الجزائر وتونس وليبيا، كما

---

[413] جنان العلي، م.س.

[414] محمد سيف الدين، م.س.، ص ٨٦

[٤١٥] خليل حسين، **النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية**، ط١، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٩، ص٤٠٢-٤٠٣

[416] Robert Kaplan, Monsoon, opcit, p 329

[٤١٧] نزار عبد القادر، م.س.، ص ٣٢

ساهمت في التلاعب ببعض المتغيرات الأخرى لإيصال من يؤكد الحفاظ على مصالحها كما حصل في مصر ودعم الرئيس السيسي لتسلم الحكم بعد الرئيس مرسي.

كما رأت الصين ان الازمات في الشرق الاوسط اصبحت تهدد امنها القومي مباشرة من خلال اقلية الويغور المسلمة. فقد ابدت الصين قلقها من مشاركة مجموعات من الويغور في القتال في سوريا ضد النظام، مما قد يؤدي الى تشدد هذه المجموعات ويزيد من قدرتها القتالية وحماسها في اقامة نظام اسلامي في مناطقها. وهو ما يبرر اعلان الصين نيتها في المشاركة في العمليات العسكرية ضد داعش في تشرين الثاني ٢٠١٥، و"هذا التطور الفريد من نوعه والذي يحصل للمرة الأولى في تاريخ الصين يشكل علامة فارقة في تاريخ العلاقات الدولية وتدخلا صينيا في منطقة الشرق المتوسط للمرة الأولى."[٤١٨]

كذلك الامر بالنسبة لروسيا، حيث ان احد الاهداف الروسية من المشاركة في محاربة الإرهاب، اضافة الى زيادة النفوذ في مناطق الازمات كسوريا، هو التخلص من الحركة الانفصالية الشيشانية والتخلص من نظام طالبان في افغانستان. وهو ما دفع روسيا لمساعدة الولايات المتحدة على غزو أفغانستان، لكن عادت عن السكوت عن هذا الدعم بعد ازدياد النفوذ الاميركي على حدودها. فصعود الاسلام الراديكالي يعد خطراً على الامن القومي الروسي وهو الذي حاربته روسيا في "الأقاليم المجاورة مثل داغستان وإنغوشيا، (والذي) كان يتأثر تدريجيا بالثقافة الراديكالية، حيث كانت المنظمات المتطرفة السرية تدعو الى الجهاد في الأراضي الروسية."[٤١٩] بالمقابل، **تسعى الولايات المتحدة حالياً لاعادة إطلاق القاعدة وطالبان ضد النفوذ الروسي في منطقة الجوار، من خلال المفاوضات التي تجريها مع طالبان.**

يعد الشرق الاوسط بالنسبة لروسيا البوابة التي قد تمكن روسيا من لعب الدور الدولي المؤثر خاصة في مرحلة ما يشار اليه بصفقة القرن، والربيع العربي. فقد كانت روسيا خلال الحرب الباردة تشكل القوة الدولية المناوئة للولايات المتحدة فيما خص الصراع العربي "الاسرائيلي"، وفي ظل الانحياز الواضح للولايات المتحدة لصالح "اسرائيل"، والذي ظهر في نقل السفارة الاميركية الى القدس والاعتراف بها عاصمة "للدولة الاسرائيلية" خلافاً للقانون الدولي، والاعتراف بسيادتها على اراضي الجولان المحتل واجزاء محتلة من الاردن، اضافة الى دعم خطط التوسع الاستيطاني، قد تشكل فرصة لروسيا للظهور كقوة دولية على مسافة واحدة من اطراف اكثر الازمات الدولية تعقيداً.

اما الربيع العربي، فبعد خسارة ليبيا اصبحت "تشكل القاعدة البحرية في سوريا (طرطوس)، القاعدة الوحيدة لروسيا على شواطئ البحر المتوسط، وهي موجودة عملا باتفاقية قديمة بين البلدين تعود الى عام

---

[٤١٨] جمال واكيم، م.س.، ص ١٢٧

[419] محمد سيف الدين، م.س.، ص ٧٧

١٩٧١، ولكن استمرارها كلف روسيا اعفاء لسوريا من ديون بلغت ٩.٨ مليار دولار عام ٢٠٠٦." [٤٢٠] ان هذا الاصرار الروسي على ابقاء تواجد له على شاطئ المتوسط من خلال سوريا، وفي الشرق الاوسط من خلال العلاقات مع ايران وتركيا، ولو بكلفة عالية، مرده الى ضرورة ابقاء طرق ملاحتها نحو المياه الدافئة متاحة ما يجعلها قادرة على التأثير في المشاريع والازمات التي ترتبط بمصالحها الاستراتيجية وعلى رأسها ابقاء قدرتها على التوسع والوصول الى الشرق الاوسط والبحر المتوسط الذي يحد اوروبا جنوباً، والحفاظ على الاعتماد الاوروبي على غازها.

في سياق آخر، **ان توجه السياسة الخارجية الاميركية نحو اسيا (بالاخص شرق آسيا) وافريقيا ينذر بأن المناطق المذكورة يمكن ان تشهد احداثاً وازمات من شأنها اظهار صراع مصالح الدول الكبرى فيها.** فقد اعتمدت الصين وروسيا على هذه المناطق من اجل ربط آسيا بالمتوسط بدلاً من التوجه غرباً اتجاه اوروبا بشكل مباشر حيث النفوذ الاميركي الكبير. فمبادرة الطريق والحزام الصينية، اضافة الى سياسات مجموعة البريكس ومنظمة شنغهاي، تُظهر التصميم الروسي والصيني على اعتماد طرق بديلة تمر عبر بحر الصين الجنوبي ودول شرق آسيا، مروراً بالهند والساحل الشرقي لافريقيا وصولاً لاوروبا، مع المسطحات المائية المرافقة لها كمضيق ملقا والمحيط الهندي مروراً بمضيق باب المندب وقناة السويس وصولاً الى البحر الابيض المتوسط. وبالتالي **تصبح مناطق شرق آسيا وغرب افريقيا من المناطق التي تقع في صلب الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر.**

آسيوياً تسعى الولايات المتحدة الى استيعاب الصعود الصيني واحتوائه، فمن جهة يشكل النفوذ الاميركي في الشرق الاسيوي ضرورة لمواجهة امتداد النفوذ الصيني، لكن كما اشار بريجينسكي الى ان علاقة تعاونية مع الصين البرية حتمية بالنسبة لجيواستراتيجية اميركا الأوراسية. فمن خلال هذه العلاقة يمكن استيعاب الصين عبر ادخالها في منظومة سياسية قائمة على وجود توازن ثلاثي مستقر للقوة في شرق آسيا بين اليابان الصين واميركا. بهذه الطريقة تستطيع اميركا ان تشكل على البر الشرقي لأوراسيا كيانا جيوبوليتيكياً موازياً لأوروبا من خلال القوة الإقليمية القائمة على المصالح المشتركة المبنية على جسر ديمقراطي في البر الشرقي. [٤٢١]

لذلك فعلاقة وثيقة باليابان البحرية تعتبر ضرورية للسياسة أمريكا العالمية في مواجهة الصين في بحر الصين الشرقي. اما في بحر الصين الجنوبي فالازمة القائمة يمكن ان تشهد مزيداً من الاهتمام الاميركي لزيادة النفوذ في دولها مثل اندونيسيا والفيليبين وتايلاند. لذلك فان مناطق الشرق الاسيوي من المناطق الجيوبوليتيكية الهامة التي تؤثر في مقومات القوة للقوى الكبرى، خاصة مع اهميتها في مبادرة الطريق والحزام الصينية التي

---

[٤٢٠] ناديا مصطفى الصالح، م.س.، ص ٤١٨

[٤٢١] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س.، ص ١٨٩-٢٢٨

من شأنها وصل آسيا بأوروبا مروراً بافريقيا وبالتالي تعطي الصين نفوذاً في مناطق تساعدها للوصول الى العالمية.

فتسعى الصين من خلال هذه المبادرة الى توثيق علاقاتها بدول الشرق الاسيوي وبالتالي زيادة نفوذها في مجالها الحيوي وخاصة دول اسيان. وهو ما اكده نائب رئيس الوزراء الكمبودي هور نام هونغ في تصريحه بان مبادرة الحزام والطريق "توفر قوة دافعة للتكامل الاقتصادي والارتباطية على المستوى الإقليمي، ما يساعد الصين وآسيان في صياغة مجتمع مصير مشترك أوثق."[٤٢٢] فالمبادرة تقوم على مساهمات صينية في البنى التحتية والمساعدات الاقتصادية، مما يزيد من تأثيرها في هذه الدول.

اما روسيا، فتشكل آسيا الوسطى جزءً من مجالها الحيوي، حيث ترتبط مع جمهورياتها بمعاهدة الأمن الجماعي، و"لديها فيها قواعد عسكرية، ومواقع استراتيجية، مثل فرقة الحدود الروسية ٢٠١ في طاجكستان، والمطار الفضائي في بايكونور في كازاخستان، والممر الجوي الحيوي في أوزبكستان الذي يربط بين روسيا وقواتها في طاجكستان وغيرها." [٤٢٣] كما **ان اي تراجع للنفوذ الروسي في مناطق آسيا الوسطى والشرقية سيكون عرضة لزيادة النفوذ الصيني اتجاه كازاخستان وسيبيريا على حسابها، او النفوذ الاميركي في منطقة بحر قزوين وشبه الجزيرة الكورية حيث يبقى النفوذ الروسي في كوريا الشمالية مهدداً للنفوذ الاميركي**. من هنا اعتبر وزير الخارجية الاميركي مايك بومبيو كوريا الشمالية من اهم مصادر التهديد للمصالح الامريكية،[٤٢٤] وهو ما يفسر محاولات السيطرة واحتواء كوريا الشمالية والتي وصلت إلى حدود التهديد بالحرب النووية.

لذلك تقوم السياسة الخارجية الروسية على اعتبار أن **الشرق الاوسط وأوروبا الشرقية والجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى وجنوبي القوقاز، ضمن المجال الحيوي للمصالح الروسية**. وعمدت الى اتباع سياسة خارجية مبنية على أهداف تطالها مباشرة يمكن اختصارها بالحفاظ على وحدة الاراضي الروسية، مكافحة الارهاب، الحفاظ على المصالح الاقتصادية وخاصة النفطية مع أوروبا، اضافة الى السعي لشراكة حقيقية مع اوروبا لمواجهة نفوذ الولايات المتحدة في هذه المناطق وصولاً الى كسر الهيمنة الاحادية الاميركية على المفاصل الدولية.

وقد شكلت افريقيا مناطق هامة للمستعمرات القديمة نظراً لتوفيرها العدد الكافي من الايدي العاملة والمواد الاولية اللازمة اثناء الثورة الصناعية. **وفي الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر عادت افريقيا لتأخذ دوراً**

---

[٤٢٢] **"مبادرة الحزام والطريق"**، موقع الاخبارية الصينية،٢٥ ايلول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ٢٠١٩
http://www.xinhuanet.com/silkroad/arabic/mobile/index.htm

[٤٢٣] ناديا مصطفى الصالح، م.س.، ص ٢٨٠

[424] Michael Pompeo, "**confronting Iran the Trump administration strategy**", foreign affairs, November/December issue
www.state.gov/secretary/remarks/2018/10/286757.HTM 2018

استراتيجياً هاماً في استراتيجيات الدول الكبرى، فالى جانب المخزون الكبير من المواد الاولية، تشكل افريقيا منطقة جيوبوليتيكية هامة تخدم الخطط الاستراتيجية المرتبط بالنفوذ العالمي للدول الكبرى.

ان الاهمية الجيوبوليتيكية للقارة الافريقية تكمن في كونها مصدر تأثير على اهم المناطق الاستراتيجية. فشمال افريقيا يطل على المتوسط، وشرقها يتحكم بالبحر الاحمر والممرات المائية فيه (السويس وباب المندب) التي تصل المحيط الهندي بالمتوسط وعبره باوروبا. لذلك نرى ان اهتمام الدول الكبرى فيها بدأ يزداد. والاهتمام الاميركي بافريقيا ليس جديداً على السياسة الخارجية الاميركية، كما ان البعد الجيوبوليتيكي للقارة المتمثل في تأكيد وابقاء الهيمنة الاميركية على العالم يؤكد على دخول القارة محور الصراع الجيوبوليتيكي بين الدول الكبرى.

وتؤكد تقارير صادرة عن وزارتي الدفاع والخارجية والبيت الابيض ومجلس الامن الاميركي المركزي، منها تقرير "بول وولفو فيتز" مساعد وزير الدفاع للشؤون السياسية عام ١٩٩٢، و تقرير "جيريما" الذي صاغه فريق من الخبراء العسكريين، برئاسة الأميرال جيريما، ان الهدف الاساسي للولايات المتحدة هو الحفاظ على الهيمنة ومنع الخصوم والحلفاء من التمدد مشيرة الى اهمية افريقيا في تحقيق هذا الهدف. وهو ما يبرر زيارة وزير الخارجية الأميركية وارن كريستوفر، بجولة إفريقية لا سابق لها في تشرين الاول ١٩٩٦ حيث تم البحث في مشروع شراكة جديدة سياسية عسكرية ومدنية في مجال الامن القومي قائمة على المساعدات الاميركية.[٤٢٥]

كما تلعب افريقيا دوراً هاماً في مبادرة الطريق والحزام الذي أُدخل في الدستور الصيني في تشرين الاول عام ٢٠١٧ نظراً لدوره في زيادة النفوذ الصيني وتمكينها من لعب دور عالمي فعال، اضافة الى تدشين صندوق طريق الحرير في تشرين الثاني ٢٠١٤ وإنشاء البنك الآسيوي للاستثمار في تشرين الثاني ٢٠١٥[٤٢٦] الذي يقدم اكثر من ١٦٠ مليار دولار من الاستثمارات قيد الدراسة او التنفيذ بتمويل من البنك في اسيا وافريقيا[٤٢٧]. كما تحتاج هذه المبادرة الى توفير حماية السفن والناقلات الصينية التي تمر قرب السواحل الصومالية حيث عمليات القرصنة، وبحاجة الى بناء وتأمين الطرق اللازمة لربط المناطق.[٤٢٨]

اما روسيا، فاهتمامها بافريقيا يرتبط بان وقوعها تحت النفوذ الاميركي بالكامل، من شأنه ان يقطع تأثيرها على المتوسط وخسارتها سوقاً كبيراً للسلاح بلغت الخسارة فيه حوالي ١٧٪ من اجمالي الواردات الروسية بين ٢٠١٤ و٢٠١٨. ويقول الرئيس بوتين ان تقوية العلاقات مع البلدان الافريقية يعد احد اولويات السياسة الخارجية الروسية. لذلك تعمد روسيا انطلاقاً من علاقاتها الافريقية منذ زمن الاتحاد السوفياتي على تعزيز

---

[٤٢٥] ناديا مصطفى الصالح، م.س.، ص ٢٧٦-٢٧٧

[٤٢٦] شريف عيسى، م.س.

[٤٢٧] **"مشروع طريق الحرير الصيني"**، موقع بي بي سي الالكتروني، ١٥ ايار ٢٠١٧، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١١ ١١ ٢٠١٩ https://www.bbc.com/arabic/business-39922326

[٤٢٨] عمار شرعان وآخرون، م.س.، ص ٨١

وجودها في افريقيا عبر الدعم السياسي والدبلوماسي، والمساعدات الامنية والاقتصادية اضافة الى التدريب المدني والعسكري وفق ما صرح به الرئيس بوتين لوكالة تاس في تشرين الاول عام ٢٠١٩.[٤٢٩]

من هنا نرى ان افريقيا تأخذ حيزاً هاماً في الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر بين الولايات المتحدة وروسيا والصين. ومن المرشح ان تدخل هذه القارة في الصراع العالمي على النفوذ الدولي بين الدول الكبرى خاصة بعد ان اعلن جون بولتون، المستشار السابق للرئيس الاميركي ترامب للامن القومي، في عام ٢٠١٨ عن خطة اميركية جديدة في افريقيا لمحاربة نفوذ روسيا والصين، بعد ان ربط النفوذ الاميركي في القارة بالامن القومي الاميركي.[٤٣٠]

بناء على ما تقدم، يمكن لنا القول ان الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر لا يزال يتمحور حول الوصول الى اوروبا من قبل اي قوة اوراسية او عدمه. فمقياس تحديد المناطق الجيوبوليتيكية الهامة، كما تبين لنا، يتحدد من خلال اهمية هذه المناطق في وصل الصين او روسيا بالشرق الاوسط واوروبا، كون الثانية تشكل سوقاً تجارياً كبيراً وحليفاً محتملاً لبناء القوة الاوراسية التي من شأنها المنافسة على النفوذ العالمي. في حين ان الاولى تمتاز بالموقع الاستراتيجي المسيطر على طرق المواصلات البرية والبحرية واكبر مصادر الطاقة في العالم. من هنا يظهر ان الصراع سوف يبقى ضمن هذا الاطار الجيوبوليتيكي ومن المرجح ان يتمحور في مناطق اوروبا الشرقية، شرق آسيا، المحيط الهندي، البحر الاحمر وقارة افريقيا.

---

[٤٢٩] **"روسيا في افريقيا: هل باتت الان قوة عظمى في القارة؟"**، موقع قناة بي بي سي نيوز الالكتروني، ٢٣ تشرين الاول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٢ كانون الاول ٢٠١٩،

https://www.bbc.com/arabic/amp/world-50151093

[٤٣٠] **"بولتون: امريكا ستتصدى لنفوذ الصين وروسيا في افريقيا"**، وكالة رويترز، ١٤ كانون الاول ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٢ كانون الاول ٢٠١٩

https://ara.reuters.com/article/worldNews/idARAKBN1OD0ZC

خلاصة المبحث الثاني

ان انهيار الاتحاد السوفياتي، وبروز الولايات المتحدة كقطب عالمي وحيد بعد الحرب الباردة، يُظهر ان السيطرة على منطقة القلب لا تضمن السيطرة العالمية، بل حتى انها لا تضمن الاستمرارية للكيان السياسي المسيطر. فمن جهة سيطر الاتحاد السوفياتي على معظم منطقة القلب، مع نفوذ واسع في منطقة الهلال الداخلي، لكن ذلك لم يمنع الانهيار. ومن جهة ثانية، فعلى الرغم من ان سيطرة الولايات المتحدة على معظم منطقة الهلال الداخلي لم تكن مطلقة، بل نافسها عليها النفوذ السوفياتي بشكل ملحوظ، الا انها خرجت من الحرب الباردة كقطب دولي وحيد يتحكم بمسار الازمات والعلاقات الدولية. اضافة الى ان الاسباب الاساسية لانهيار الاتحاد السوفياتي لم تكن جيوبوليتيكية، انما داخلية تمثّلت بشكل اساسي بالنظام الاقتصادي والنموذج السياسي الحاكم. وبالتالي **لا يمكن الجزم بأن السيطرة على هذه منطقتي قلب العالم والهلال الداخلي هو سبب السيطرة العالمية للولايات المتحدة بعد الحرب الباردة، على الرغم من مقومات القوة التي اكتسبتها نتيجة هذا النفوذ.**

لكن الملاحظ ان الخطط الاستراتيجية الجديدة للقوى العالمية تقوم بشكل اساسي على اوراسيا، وان كانت تمر عبر مناطق اخرى بعيدة عنها. فمبادرة الحزام والطريق الصينية، هدفها الاساسي هو ربط اسيا بأوروبا عبر المتوسط. وعلى الرغم من مرورها عبر الشرق الاسيوي والمحيط الهندي والبحر الاحمر، فان غاية المشروع النهائية هو الوصول الى اوروبا.

كما ان السياسة الخارجية الاميركية المعاصرة والتي تركز بشكل اساسي على اوروبا الشرقية وافريقيا وشرق اسيا، هدفها الاخير هو تأمين الممرات البرية والبحرية التي تشرف على المتوسط او التي تزيد من النفوذ في اوراسيا. فهي تقوم على إغلاق الطرق البحرية على روسيا عبر أوروبا والشرق الأوسط، لتقليص القدرة الروسية على الوصول الى المياه الدافئة وبالتالي التقليل من امكانيتها لزيادة نفوذها وتوسعها. اضافة الى عرقلة امداداتها الطاقية لاوروبا وتخفيف الاعتماد الاوروبي على الغاز الروسي من خلال قطع طرق الوصل بين روسيا واوربا عبر زيادة النفوذ في اوروبا الشرقية. كما تقوم على مواجهة الامتداد الصيني من خلال زيادة نفوذها في اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وفيليبين وإندونيسيا وماليزيا وفيتنام وباقي الشرق الاسيوي لحرمانها من الوصول الى اوروبا عبر المحيط الهندي.

اما روسيا، فان هدفها الدائم هو قيام قوة اوراسية تحت قيادتها تحقق لها مجابهة نفوذ الولايات المتحدة عالمياً. لذلك تقوم سياساتها الخارجية على ابقاء طرق ملاحتها مؤمنة اتجاه المياه الدافئة، وتحرص على توسيع سيطرتها على شاطئ المتوسط وتأمين مكانتها في افريقيا لابقاء البحر الاحمر متاحاً لملاحة أسطولها العسكري والتجاري.

نتيجة لما تقدم في هذا المبحث، يمكن لنا القول ان اسس نظرية البر في الجيوبوليتيك والقائمة على الاهمية القصوى للسيطرة على منطقة ارواسيا لتأمين السيادة العالمية لا زالت فعالة مع تغير في الآليات. فالتوجه الروسي والصيني نحو الشرق الاسيوي وافريقيا الى جانب التوجه المباشر نحو منطقة اوراسيا، تُظهر ان هدف السياسات الخارجية لروسيا والصين لا زال زيادة النفوذ فيها عبر الالتفاف على مناطق النفوذ الاميركي. كما يبقى الهدف الاميركي عدم السماح لهذه القوى تحقيق اي اتحاد او تحالف يستطيع ربط اسيا باوروبا لامتلاك القوة القادرة على تشكيل منافساً للسيادة العالمية للولايات المتحدة.

اما ادوات السيطرة في الجيوبوليتيك المعاصر فقد تأثرت كثيراً بالتطور التقاني. فعلى الرغم من بقاء ابرز ادوات الجيوبوليتيك ثابتاً كحال الاحلاف السياسية والعسكرية والاقتصادية، برزت مجالات جديدة كالفضاء والاسلحة الذكية، والانترنت وما يتبعها من مواقع التواصل الاجتماعي، والذكاء الاصطناعي والحروب السيبرانية. فبقيت الولايات المتحدة تعتمد على "مجموعة تحالفات وحلفاء تشبه به الامبراطوريات القديمة"[431] للحفاظ على مكانتها القطبية العالمية، وذلك من خلال الهيمنة على ابرز تحالفاتها الدولية وعلى المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية. وتواجهها روسيا والصين عبر تحالفات اقتصادية وعسكرية مثل البريكس مقابل التكتلات والمؤسسات الاقتصادية التي تهيمن عليها الولايات المتحدة كمجموعة الدول الثماني والدول العشرين و البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة شنغهاي في مواجهة الناتو. في حين ان الصراع بالادوات الجديدة قد بدأ بالفعل من خلال اطلاق عسكرة الفضاء وتكريس الاستراتيجيات والخطط للاستعمال العسكري للفضاء السيبراني والانترنت مع الذكاء الاصطناعي، الى جانب استخدام الانترنت كوسيلة للحصول على المعلومات، والاهم لتوجيه الشعوب لغايات سياسية للدول الكبرى.

لذلك يمكن لنا القول ان لمنطقتي قلب العالم والهلال الداخلي، واللتان تشكلان الجزء الاهم من اوراسيا وفق نظريات البر في الجيوبوليتيك، دوراً بارزاً في السيطرة العالمية. فصراع القوى الكبرى على النفوذ فيها، خلال وبعد الحرب الباردة، مؤشر على اهميتها الجيوبوليتيكية بما تحويه من ممرات مائية وبرية وجوية، اضافة الى مخزون الطاقة الكبير الذي تحويه. لكن بناء على تجربة الحرب الباردة والانتشار السوفياتي والاميركي خلالها ونتائجها، فانها ليست العامل الحاسم في تحقيق السيادة العالمية.

ان خروج الولايات المتحدة من الحرب الباردة كقوة عظمى وحيدة كان بسبب التفوق الذي استطاعت ان تُبقي عليه في كافة مجالات الصراع الاقتصادية والسياسية والعسكرية والايديولوجية. اما عوامل نجاح اي قوة عالمية جديدة في منافسة السيادة العالمية الاميركية في الصراع المعاصر يبقى رهناً بقدرة هذه القوى على منافسة قوة الولايات المتحدة في مجالات الصراع الحديث والذي يقوم على البُعد التكنولوجي بشكل اساسي

[431] Robert Kaplan, **Monsoon**, opcit, p 326

اضافة الى المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية في ظل غياب الصراع الايديولوجي الذي كان سائداً خلال الحرب الباردة.

الخاتمة

تشكل اوراسيا المنطقة الاهم للسيطرة العالمية وفقاً لنظريات البر في الجيوبوليتيك. فالتعبير الاوضح لنظرية البر يكمن في عبارة ماكندر الشهيرة "من يحكم أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم، ومن يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم، ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم". لذلك فوفق هذه النظرية، ان وقوع اوراسيا تحت نفوذ قوة واحدة تنتهي بها حكماً الى النفوذ العالمي. لكن الحرب الباردة اظهرت ان تسلسل السيطرة للوصول الى النفوذ العالمي ليس قائماً وفق هذه الاطر فحسب.

سيطر الاتحاد السوفياتي على معظم اوروبا الشرقية، ان كان من خلال جمهوريات هذا الاتحاد او من خلال المعسكر الشيوعي. وقد كان النفوذ السوفياتي قد امتد الى المانيا، حيث جسد جدار برلين حقيقة انقسام النفوذ في كامل اوروبا بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي. اضافة الى هذا النفوذ السوفياتي في اوروبا وخاصة الشرقية، فان جغرافيا الاتحاد السوفياتي تطابقت الى حد بعيد مع حدود قلب العالم. كما تقاسم الاتحاد السوفياتي النفوذ في الشرق الاوسط والبحر المتوسط مع الولايات المتحدة، حتى وصل نفوذه الى البحر الاحمر في مصر خلال الحرب الباردة.

من هنا، يمكن القول ان النفوذ السوفياتي قد امتد خلال الحرب الباردة في اوروبا الشرقية وحكماً في قلب العالم لكن ذلك لم يمكنه من فرض نفوذه على كامل اوراسيا ومن بعده على العالم. في المقابل خرجت الولايات المتحدة من الحرب الباردة كقطب عالمي وحيد يتحكم بمفاصل العلاقات الدولية، وبالتالي تمكنت من فرض نفوذها العالمي على الرغم من عدم سيطرتها الكاملة على اوروبا والشرق الاوسط. من هنا نخلص الى ان النفوذ العالمي يحتاج الى مجموعة من الوسائل والمقدرات التي تتيح للقوة الكبرى امكانية فرض نفوذها، الى جانب السيطرة على المناطق ذات الاهمية الجيوبوليتيكية.

وقد استعمل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة مجموعة من الادوات في سياساتهما الخارجية بغية تحقيق الاهداف الجيوبوليتيكية. وقد تنوعت هذه الوسائل بين عسكرية وثقافية واقتصادية. فعسكرياً سعت كل من القوتين الكبرتين الى ايجاد الاحلاف التي تزيد من قوة معسكرها في وجه الآخر، فبرزت مجموعة من الاحلاف العسكرية كان ابرزها حلف الاطلسي. وفي السياق العسكري ايضاً سعت كل منهما الى تعزيز قوتها العسكرية في مواجهة عدوها، وكانت ابرز مظاهر هذه الخطوات سباق التسلح الذي انهك اقتصاد السوفياتي وكان من اهم عوامل انهياره، وتوازن الرعب والردع الذي ساد الحرب الباردة نتيجة السلاح النووي الموجود لدى الطرفين وصولاً الى عسكرة الفضاء.

اقتصادياً انقسمت الدول بين انظمة رأسمالية سعت من خلالها الولايات المتحدة لابراز نفوذها فيها، واشتراكية كان النفوذ الاكبر فيها للاتحاد السوفياتي. وهو ما يتشابه مع الادوات الثقافية التي برزت خلال الحرب

الباردة حيث اخذت هذه الحرب سمة الحرب بين مفهومين ايديولوجيين هما الشيوعية والرأسمالية، مما ادى الى تقسيم الدول بين هذين المعسكرين.

اما بعد الحرب الباردة، فقد تكرّست الادوات الاقتصادية والعسكرية والثقافية التي كانت سائدة وان تغيرت بعض الشيء بطبيعتها، اضافة الى ظهور مجموعة من الادوات الجديدة التي أصبحت تستخدم لتحقيق الاهداف الجيوبوليتيكية للدول الساعية للنفوذ العالمي خاصة مع التطور التقاني الكبير الذي شهده العالم وبوتيرة متسارعة. يمكن ربط هذه الوسائل والادوات الجديدة بمجالات الفضاء والفضاء الافتراضي او السيبراني (الانترنت)، القانون فوق القومي، والتدخلات الدبلوماسية والقضائية.

فمن جهة لا زالت الولايات المتحدة تسعى لتعميق تحالفاتها العسكرية وتعزيزها على غرار حلف شمال الاطلسي مع ابقاء هذه التحالفات تحت هيمنتها. في المقابل نرى ظهور تحالفات جديدة مناوئة للاحلاف الغربية على غرار منظمة شنغهاي. اقتصادياً لازالت الولايات المتحدة تسيطر على اهم المؤسسات المالية والنقدية الدولية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وتسعى بشكل دائم الى اعادة هيكلة اقتصادات الدول وفق ما يتناسب مع هذه المؤسسات لتبقى مرتبطة باقتصادها. لكن ظهرت بالمقابل محاولات لايجاد مؤسسات بديلة كبنك التنمية التابع للبريكس، حيث يسعى الاخير الى مواجهة ارتباط الدول بالاقتصاد الاميركي.

اما الفضاء والفضاء الافتراضي او السيبراني فهو من اهم الادوات الجديدة في الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر. حيث امسى العالم مرتبطاً ببعضه مما سهل عملية توجيه الرأي العام والتأثير عليه. اضافة الى الذكاء الاصطناعي الذي بات يدخل في كل المجالات المدنية والعسكرية والذي يمكن توظيفه لتحقيق التفوق العسكري والتكنولوجي. كما ان التطور الذي دخل الى عالم الطيران العسكري والصواريخ، والربط بين هذا السلاح والقوات الفضائية للدول الكبرى أدى الى اختزال المسافات وتسهيل مهمات المراقبة الاستخباراتية وربط المناطق البعيدة ببعضها.

وقد دخل المجال السيبراني بقوة في مجال ادوات الصراع الحديثة، حيث شكل اطاراً يتم من خلاله ايصال الرسائل السياسية من جهة، وسلاحاً هاماً لتوجيه الرأي العام المحلي الاقليمي والعالمي نحو اهداف محددة دون ادراك الشعوب ان ثمة من يوجههم من جهة أخرى. فقد أمسى العالم الافتراضي منصة تُطلق من خلالها البيانات الرسمية، كما برزت الجيوش الالكترونية التي تمتلك قدرة عالية على توجيه الشعوب نحو اهداف موحدة، او التسويق لمشاريع مشغليها السياسية.

اما فيما خص القوانين ما فوق القومية، فانها تدخل ضمن الادوات الثقافية حيث أخذ محاربة الارهاب العنوان الابرز للتدخلات الاجنبية الى جانب حماية حقوق الانسان ونشر الديمقراطية. وفي حين تستخدم الولايات المتحدة هذه العناوين اسباباً تبرر من خلالها تدخلاتها في الازمات، تستخدم روسيا عنوان محاربة الارهاب الى

جانب ذريعة حماية المواطنين الروس في الاطار نفسه. اما الادوات الدبلوماسية فهي تتراوح بين جمع المعلومات في السفارات مروراً بوضع الخطط والاستراتيجيات لحرف المسار السياسي للدول بما يتناسب ومصالحها، وصولاً الى برامج التدريب المدنية والعسكرية ودعم المنظمات غير الحكومية لتحقيق الغايات نفسها.

ان مجموع الادوات التي تستخدم في الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر أنتجت ثلاثة أطر يمكن تصنيف القوة من خلالها هي القوة الصلبة والناعمة والذكية. فتدخل ضمن القوة الصلبة مجموع الجيوش والاسلحة والتقانيات الحديثة التي تدخل مباشرة في العمليات العسكرية التقليدية وغير التقليدية. في حين تقوم القوة الناعمة على السبل غير العسكرية كالادوات الثقافية والاعلامية والحروب الالكترونية والاقتصادية. بينما تبرز القوة الذكية كمزج بين المفهومين، حيث يتم اللجوء لاستخدام اي نوع من انواع الوسائل المتاحة وفق الحاجة لتحقيق الاهداف.

وافرزت الادوات المعاصرة في الصراع الجيوبوليتيكي مجموعة من اللاعبين الجيوبوليتيكيين الجدد. فبعد ان كان الصراع الجيوبوليتيكي العالمي خلال الحرب الباردة محصوراً بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، اصبحت كل من الصين وروسيا الى جانب الولايات المتحدة من ابرز اللاعبين الجيوبوليتيكيين كدول. أما على صعيد القوى الاخرى، فيبقى احتمال ظهور قوة اوراسية بقيادة الصين او روسيا او كليهما، او بروز اتحاد اوروبي مستقل عن النفوذ الاميركي كقوى مرشحة للعب دور على الصعيد العالمي.

ويُظهر الصراع المعاصر بين القوى الكبرى الاهداف الجيوبوليتيكية من سياساتها الخارجية، ويشير الى المناطق ذات الاهمية الجيوبوليتيكية لتحقيق اهداف توسيع نفوذها. فالولايات المتحدة تسعى الى ابقاء الشرق الاوسط واوروبا تحت نفوذها، وتضييق مجال التحرك البحري والبري على اي قوة اوراسية او اوروبية صاعدة. لذلك تحرص على ابقاء اوروبا تحت نفوذها عسكرياً من خلال الناتو وعدم وجود جيش اوروبي مستقل عن ادارتها، وسياسياً واقتصادياً عبر مجموعة المنظمات والمؤسسات الدولية التي تتحكم بها الولايات المتحدة. كما تسعى الى ابقاء نفوذها في الممرات المائية الاستراتيجية التي من شأنها ان تزيد احتمالية توسع القوى المنافسة لها على الصعيد العالمي.

في المقابل تسعى كل من روسيا والصين الى التمدد نحو الغرب لربط آسيا بأوروبا. فتحرص روسيا على ابقاء طرق ملاحتها مفتوحة نحو المياه الدافئة، وابقاء نفوذها على المتوسط. كما تسعى الى ابقاء اعتماد الغاز الاوروبي عليها من جهة وتعزيز الروابط مع اوروبا من جهة اخرى. اما الصين، فتعد مبادرة الحزام والطريق الخطة الاستراتيجية التي تظهر الاهداف الصينية. فعلى الرغم من ان الطرق البرية والبحرية المرصودة في هذه المبادرة تنطلق شرقاً عبر دول شرق وجنوب شرق آسيا وجنوباً عبر الهند والمحيط الهندي، الا ان غايتها النهائية وصل الصين بأوروبا من خلال البحر الاحمر والمتوسط.

بناء على ما تقدم، لا زالت اوروبا منطقة جيوبوليتيكية هامة لبناء القوة الاوراسية التي تسعى لها روسيا من جهة، وحاجة اميركية لابقائها تحت نفوذها لاستخدامها سياسياً وعسكرياً في ازمات الشرق الاوسط وافريقيا. اما الشرق الاوسط فليس من المنظور خروجه من دائرة الاهتمام الجيوبوليتيكي لما يملكه من مخزون طاقة كبير، وعمق استراتيجي. في حين ان شرق وجنوب شرق آسيا وافريقيا دخلت في صلب المناطق ذات الاهمية الجيوبوليتيكية الكبرى لما تعطيه من تأثير وسيطرة على اهم الممرات الاستراتيجية التي من شأنها وصل آسيا بأوروبا.

يعطي مسار السياسة الخارجية الاميركية فكرة عن سبب وصولها الى السيادة العالمية. فمن الملاحظ انها استفادت من النظريات الجيوبوليتيكية مجتمعة. حيث طورت اسطولها البحري وزودته بحاملات الطائرات والغواصات النووية وعملت على تأمين الحركة السريعة للقوة البحرية عبر قواعد بحرية في كل المسطحات المائية. ثم حرصت على عدم تمكين اوروبا من وحدتها وابقائها تحت السيطرة الاميركية سياسيا واقتصاديا وعسكريا من خلال مشروع مارشال وقيادتها الكاملة للناتو، وهكذا اكدت على عدم قيام القوة الاوروبية او الاوراسية التي تهدد السيطرة العالمية وفق ماكيندر. ثم طبقت نظرية سبيكمان عبر استكمال الاحتواء والحصار والسيطرة على الممرات المائية والبرية الحيوية التي من شأنها ان تفرض سيطرتها على حركة الملاحة التجارية والعسكرية العالمية، مع الحفاظ على تفوقها الجوي ونشر القواعد الجوية في المناطق الاستراتيجية.

كما ان التطور التقاني الكبير في المجال السيبراني والتكنولوجي والذي تجاوز المسافات، ومع بروز القوى الجديدة المرشحة للعب دور عالمي، لا يمكن لنا التسليم بأن تحقيق اسس نظرية البر في الجيوبوليتيك وحدها كافية لايصال اي قوة الى العالمية. فعلى الرغم من احتفاظ منطقة القلب والهلال الداخلي التي تحدثت عنها نظريات البر على اهميتها الجيوبوليتيكية، ظهرت مناطق جديدة لا بد من ايلائها الاهمية ذاتها كونها تؤدي الغاية ذاتها. كما ان دعوة نظريات البر الى الاعتماد الاساسي على العمق البري والقوى العسكرية البرية قد سقط بفعل التطور التقاني. وتشكل تجربة الحرب الباردة ومسار السياسات الخارجية للدول والقوى الكبرى بعدها، اضافة الى نموذج الريادة العالمية الاميركية ان الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر يكاد يكون مزيجاً بين نظريات البر والبحر والجو في الجيوبوليتيك.

من هنا يمكن لنا القول انه بناء على سياق العلاقات الدولية خلال وبعد الحرب الباردة ان نظريات البر في الجيوبوليتيك ليست كفيلة بايصال قوة معينة الى السيادة العالمية للاسباب التالية:

أ. ان انهيار الاتحاد السوفياتي بعد تمكنه من فرض سيطرته بشكل كامل على منطقة قلب العالم وجزء كبير من منطقة الهلال الداخلي، يُظهر ان مجرد السيطرة على هذه المناطق لا يؤدي حتماً الى

السيادة العالمية. فانهياره لم يكن مرتبطاً بعدم اكمال السيطرة على منطقتي الهلال الداخلي وقلب العالم، بل كان بسبب العوامل الاقتصادية والسياسية.

ب. ان خروج الولايات المتحدة من الحرب الباردة كقطب عالمي وحيد يتحكم بالعلاقات الدولية لم يكن بسبب تمكنها من فرض سيطرتها على منطقة القلب والهلال الداخلي، حيث كان النفوذ السوفياتي في هذه المناطق اكبر فيها. لكن تفوق الولايات المتحدة على الاتحاد السوفياتي في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية واعتمادها على تنويع قدراتها البحرية والجوية الى جانب البرية كانت العوامل المرجحة لسيطرتها العالمية.

ج. على الرغم من ان معظم مناطق الهلال الداخلي بقيت في صلب اهتمام السياسات الخارجية واستراتيجيات الدول الكبرى بعد الحرب الباردة، الا ان ظهور مناطق نزاع جيوبوليتيكي جديدة تُظهر ان السيادة العالمية في الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر لا تقتصر على مناطق الهلال الداخلي وقلب العالم، بل تتعداها لتشمل مناطق وممرات مائية في افريقيا وشرق وجنوب شرق آسيا.

د. لعب التطور التكنولوجي والعولمة ودخول المجال السيبراني والذكاء الاصطناعي الى الميادين المدنية والعسكرية دوراً هاماً في اختزال المسافات وتقليل الاعتماد على القوة التقليدية. وهو ما دفع ويدفع نحو ظهور ادوات جديدة في الصراع الجيوبوليتيكي، مما يؤدي الى تبدل مستمر في الاهمية الجيوبوليتيكية للمناطق.

لذلك يمكن القول ان نظريات البر في الجيوبوليتيك لا يمكن ان تقود اي دولة أو قوة الى السيادة العالمية بالأسس التي تقوم عليها هذه النظريات. بل تدخل في حسابات المعادلة الجيوبوليتيكية المعاصرة مجموعة من الاعتبارات تجعل السلوك الجيوبوليتيكي للدول، والذي يضمن لها المنافسة على السيادة الدولية، مكوّن من مقدرات القوة في الجو والبحر والبر والاهم في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والذكاء الاصطناعي. كما انه لم يعد مفيداً الحديث عن مناطق محددة من العالم من شأنها ايصال اي قوة الى السيادة العالمية، بقدر ما ان الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر بات يعتمد على تراكمات القوة والنفوذ في النزاعات الممتدة في المناطق الاستراتيجية التي تتيح لصاحب النفوذ فيها التمدد والتوسع.

ان من شأن اندلاع او خلق ازمات في المناطق ذات الاهمية الجيوبوليتيكية ان يفتح المجال امام اللاعبين الجيوبوليتيكيين لادارتها تمهيداً لتدخلها واستثمارها. لكن الازمات التي تديرها القوى الكبرى غالباً ما تخلق فراغاً وفوضى دون تنظيم دولي قد يؤدي الى صراعات غير محسوبة النتائج مما قد يدفع الى فوضى دولية دون اي ضوابط. فهل سيبقى الصراع الجيوبوليتيكي المعاصر والصراع على النفوذ بين القوى الكبرى ضمن اطر الازمات المحلية والاقليمية؟ أم اننا مقبلون على حرب كبرى بين اللاعبين الجيوبوليتيكيين لفرض الهيمنة

العالمية وعودة الانتظام العام للعلاقات الدولية تحت قيادة قطب واحد مجدداً فتصح مقولة بريجينسكي بان "اللحظة الراهنة من السلام العالمي قد تكون قصيرة نسبياً"[٤٣٢]؟ ومن سيكون القطب الدولي الجديد؟ أم ان العالم على مشارف نظام دولي متعدد الاقطاب يتسم بتقاسم النفوذ بين مجموعة من القوى الكبرى؟

[٤٣٢] زبغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، م.س. ص ٢٦١

لائحة المراجع

الكتب العربية والمترجمة:

1. اسماعيل (وائل) محمد، **التغيير في النظام الدولي**، ط١، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٦
2. اغوان (علي) بشار بكر، **الفوضى الخلاقة: العصف الرمزي لحرائق الشرق الاوسط**، ط١، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٣
3. اوتكن (اناتولي)، **الاستراتيجية الاميركية للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة انور محمد ابراهيم ومحمد ناصر الدين الجبالي، ط١، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣
4. بريجينسكي (زبيغنيو)، **رؤية استراتيجية: امريكا والسلطة العالمية**، ترجمة فاضل حبتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢
5. بريجنسكي (زبغنيو)، **رقعة الشطرنج الكبرى**، ط ٣، ترجمة امل الشرقي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢
6. بلقزيز (عبد الاله)، **ماذا تبقى من الامم المتحدة في العدوان على العراق والمجتمع الدولي**، افريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٩
7. بهاء الدين (عمار)، **مستقبل التنافس الروسي الاميركي في الشرق الاوسط: دراسة في الابعاد الاقتصادية والسياسية**، ط١، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٦
8. جاد الرب (حسام الدين)، **الجغرافيا السياسية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٩
9. جاريكي (ايوجين)، **الطريقة الأمريكية في الحرب قذائف موجهة ورجال مضللون وجمهورية في خطر**، ترجمة عبد المنعم عبيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤
10. حسين (خليل)، **تاريخ الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى**، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٠
11. حسين (خليل)، **الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيك**، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ٢٠١٣
12. حسين (خليل)، **النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية**، ط١، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٩
13. حماد (كمال)، **ادارة الأزمات الدولية من الأزمة الكوبية الى الأزمة الجورجية**، ل.ن.، بيروت، ٢٠١٠
14. خانا (باراج)، **العالم الثاني السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد**، ترجمة دار الترجمة، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩

١٥. دوغين (الكسندر)، **أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي**، ط١، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، ٢٠٠٤

١٦. ديب (كمال)، **لعنة قايين حروب الغاز من روسيا وقطر الى سورية ولبنان**، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٨

١٧. رياض (محمد)، **الاصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ١٩٧٤

١٨. زكريا (فريد)، **عالم ما بعد اميركا**، ط١، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩

١٩. زورغيب (شارل)، **الجيولوليتيكا المعاصرة مناطق الصدام**، ترجمة عاطف علبي، ط١، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٣

٢٠. سايكس (كريستوفر)، **مفارق الطرق الى اسرائيل**، ترجمة خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦

٢١. سبيتان (فتحي) ذيات، **قضايا عالمية معاصرة**، الجنادرية للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١١

٢٢. سكراتون (فل)، **ما وراء ١١ سبتمبر**، ترجمة ابراهيم يحيى الشهابي، جون بيغلر، "تهديد غير معقول للانسانية"، الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٤

٢٣. سيد حسين (احمد)، **دور القيادة السياسية في اعادة بناء الدولة (روسيا في عهد بوتين)**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٥

٢٤. السيد حسين (عدنان)، **الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر**، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٦

٢٥. السيد حسين (عدنان)، **التوسع الاطلسي**، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩

٢٦. شرعان (عمار) وآخرون، **مبادرة الحزام والطريق الصينية: مشروع القرن الاقتصادي في العالم**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ٢٠١٩

٢٧. شكري (محمد عزيز)، **السياسة الأميركية في الخليج العربي**، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٢

٢٨. صبح (علي)، **الصراع الدولي في نصف قرن ١٩٤٥-١٩٩٥**، ط٢، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٦

٢٩. الصمد (رياض)، **العلاقات الدولية في القرن العشرين**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦

٣٠. ضاهر (حسين)، **معجم المصطلحات السياسية والدولية**، مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠١١

٣١. عبد (حيدر) سامي، **القوة الذكية في السياسة الخارجية الاميركية بعد عام ٢٠٠٨**، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٧

٣٢. العيسوي (فايز) محمد، **الجغرافيا السياسية المعاصرة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٣

٣٣. غولدشتاين (افيري)، صعود الصين، ط١، ترجمة مصطفى قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠

٣٤. فوكوياما (فرانسيس)، **امريكا على مفترق طرق**، ترجمة محمد محمود التوبة، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٧

٣٥. قلعجية (وسيم) خليل، **روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين**، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦

٣٦. كالينيكوس (اليكس)، **الاستراتيجية الكبرى للامبراطورية الامريكية**، مركز الدراسات الاشتراكية، ل.م.، ل.ت.

٣٧. كيسنجر (هنري)، **الدبلوماسية**، ترجمة مالك فاضل البديري، الأهلية للتوزيع، عمان، ١٩٩٥

٣٨. مراد (محمد)، السياسة الأميركية تجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي، ط١، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٩

٣٩. مردان (باهر)، **الاستراتيجية الامريكية الاهداف والوسائل والمؤسسات**، ل.ن.،بكين، ٢٠١٤

٤٠. مرقس (سمير)، **الامبراطورية الاميريكية ثلاثية الثروة الدين القوة من الحرب الاهلية الى ما بعد ١١ سبتمبر**، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٣

٤١. مقلد (اسماعيل) صبري، **الاستراتيجية والسياسة الدولية**، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥

٤٢. نعمة (كاظم) هاشم، **روسيا والشرق الاوسط بعد الحرب الباردة**، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، لبنان، ٢٠١٦

٤٣. نقولا (ليلى)، **العلاقات الدولية من تأثير القوة الى قوة التأثير**، ط١، cedar river production، بيروت، ٢٠١٩

٤٤. نوفل (احمد) سعيد وآخرون، **التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية**، ط١، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٦

٤٥. الهيتي (صبري) فارس، **الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبوليتيكية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠

٤٦. واكيم (جمال)، **أوراسيا والغرب والهيمنة على الشرق الاوسط**، ط١، دار ابعاد، بيروت، ٢٠١٦

الدوريات والمجلات والدراسات:

١. ابو راشد (سارة)، "**تغيرات النظام العالمي منذ العام ٢٠٠١ وحتى العام ٢٠١٧**"، اشراف الدكتور علي محمود شكر، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، رسالة لنيل ماستر بحثي في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠١٨

٢. ابو شقرا (نغم)، "**تفكك الاتحاد السوفياتي بين المؤثرات الخارجية والتفاعلات الداخلية**"، اشراف الدكتور محمد منذر، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادراية، رسالة لنيل ماستر في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠١٣

٣. اسماء عواد، "**مشاريع النفط العراقية–الاردنية: مخطط اميركي لعزل سوريا؟**"، جريدة الاخبار، ١٣ ٩ ٢٠١٩

٤. الاعور (هشام)، "**مفهوم الحرب الاستباقية الاميركية في اطار العولمة الامنية**"، اشراف الدكتور غسان العزي، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، رسالة لنيل دبلوم في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠٠٤/٢٠٠٥

٥. أمين (نظير) محمود، "**التداعيات الاقليمية والدولية لازمة القرم بين شواهد التاريخ وجدال النازع الروسي – الامريكي على مناطق النفوذ**"، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، المجلد ٣، الاصدار ١٠، كركوك، ٢٠١٤

٦. بيلينجز (لي)، "**الحرب في الفضاء قد تكون أقرب من أي وقت مضى**"، مجلة سينتفك أمريكان، ٢٠١٧/٣/٢٢

٧. الحموي (محمد)، "**السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة: نموذج الشرق الاوسط**"، اشراف الدكتور غسان العزي، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، رسالة لنيل دبلوم في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠٠٨

٨. حسيني (يوسف)، "**دور الكنائس في الصراع الروسي–الأوروبي (جيوبوليتيك الدين)**"، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٣، مؤسسة الأهرام، مصر، ٢٠١٦

٩. خليل (فادي)، "**السياسة الخارجية الروسية في الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة**"، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية–سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد ٣٧، ع١، سوريا، ٢٠١٥

١٠. الخوري (جورج)، "**السياسة الخارجية الجديدة لروسيا وتأثيرها على دول الشرق الأوسط ولبنان**"، الدفاع الوطني اللبناني، ع ١٠٥، اليرزة، تموز ٢٠١٨

١١. زعيتر (هيفاء)، "**مجموعة البريكس قوة صاعدة ترعب الشمال العجوز**"، جريدة السفير، ٢٨ ٣ ٢٠١٣
١٢. سافين (ليونيد)، "**الاوراسية في سياق القرن الحادي والعشرين**"، ترجمة جلة سماعين، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٦٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٧
١٣. سيف الدين (محمد)، "**توسع الاطلسي والامن الروسي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي**"، اشراف الدكتور محمد منذر، الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، ٢٠١١
١٤. شاكر (ابراهيم)، "**جيوبوليتيك الشرق الاوسط والنظام الاقليمي الجديد**"، مجلة الحقوق والعلوم، عدد ١٣، كلية الحقوق العلوم السياسية والادارية بيروت، ٢٠١٧
١٥. شلق (نادين)، "**محفزات الاستدارة وكوابحها**"، جريدة الاخبار، ٢٣ ٨ ٢٠١٩
١٦. صالح (سماح) مهدي، "**مستقبل الشرق الأوسط وملامح نظام عالمي جديد**"، اشراف الدكتور أمين حطيط، الجامعة الاسلامية في لبنان، اطروحة دكتوراه في العلاقات والدبلوماسية، بيروت، ٢٠١٨
١٧. الصالح (ناديا) مصطفى، "**التحولات في النظام العالمي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي**"، اشراف الدكتور عادل خليفة، الجامعة اللبنانية المعهد العالي الدكتوراه في الحقوق والعلوم السياسية والإدارية والاقتصادية، اطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانية في العلوم السياسية والإدارية، بيروت، ٢٠١٤
١٨. عبد الفتاح (بشير)، "**ترامب يواصل المساعي الأمريكية لعسكرة الفضاء**"، صحيفة الحياة، ١٨ ٨ ٢٠١٨
١٩. عبد القادر (نزار)، "**الاستراتيجية الاميركية وعقيدة ترامب في الشرق الاوسط**"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، ع ١٠٨، اليرزة، نيسان ٢٠١٩
٢٠. العريبي (خديجة)، "**السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط بعد احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١**"، اشراف الدكتور عبد الناصر جندلي، جامعة محمد خيضر، رسالة ماستر، بسكرة، ٢٠١٤.
٢١. العريس (ابراهيم)، "**ذاكرة القرن العشرين-٢٨ حزيران يونيو ١٩٩١: نهاية "الكوميكون" بعد ٤٢ عاماً من تأسيسها**"، جريدة الحياة، ٢٨ حزيران ١٩٩٩، تم الدخول الى الموقع في ٢٥ ٦ ٢٠١٩
٢٢. فرقاني (فتيحة)، "**الصراع الامريكي الروسي حول منطقة جنوب القوقاز دراسة حالة جورجيا**"، جامعة دالي ابراهيم كلية العلوم السياسية والاعلام، رسالة ماجيستير، الجزائر، ٢٠١٠
٢٣. كنوش (لينا)، "**استراتيجية استعادة التفوق الاميركي**"، جريدة الاخبار، ٢٤ ١٠ ٢٠١٩

٢٤. كول (جوان)، "**السياسة الاميركية في الشرق الاوسط في الفترة الرئاسية الثانية لباراك اوباما**"، ط١، سلسلة محاضرات الامارات ١٦٧، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ٢٠١٤، ص ٣-٢٤

٢٥. مارشل (جوناثان)، "**خطط اميركية ل"حرب الفضاء""**، صحيفة الخليج الإماراتية، ٢٩ ٧ ٢٠١٧

٢٦. المجذوب (طارق)، "**الفضاء الخارجي مجال متباعد لحرب ماحقة قادمة**"، الدفاع الوطني اللبناني، ع١٠٧، اليرزة، كانون الثاني ٢٠١٩

٢٧. مدوخ (نجاة)، "**السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة**"، اشراف الدكتور عمر فرحاتي، جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، رسالة لنيل الماجيتير في العلوم السياسية، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥،

٢٨. المصري (شفيق)، "**العالم في ظل السلم الأميركي**"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، عدد ٨، نيسان ١٩٩٤

٢٩. مطر (حسام)، "**الخيار الأوراسي وسؤال الأمن والهوية في غرب آسيا**"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٦٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٧

٣٠. ملاك حمود، "**الاستراتيجية الكبرى (لما بعد) عصر الريادة الاميركية**"، جريدة الاخبار، ١٠ ٥ ٢٠١٩

٣١. موسى (فاطمة)، "**التنافس الروسي-الأميركي بعد الحرب الباردة القوقاز/جورجيا (نموذجاً)**"، اشراف الدكتور علي محمود شكر، الجامعة الاسلامية في لبنان، رسالة لنيل الماجيستر في العلاقات الدولية والدبلوماسية، خلدة، ٢٠١٨

٣٢. النمر (علي)، "**ايران تواجه الحظر عبر بوابة الاتحاد الاوراسي**"، جريدة الاخبار، بيروت، الاربعاء ١١ كانون الاول ٢٠١٩

٣٣. وليد شرارة، "**من الانضباط الاطلسي الى تعدد الشراكات**"، جريدة الاخبار، ٢٣ ٨ ٢٠١٩

٣٤. وهبة (مرلين)، "**الاميركان... الى البترون در؟**"، جريدة الجمهورية، بيروت، ١٢ ٣ ٢٠١٩

المواقع الالكترونية:

١. الصياحي (محمد)، "**فريدريك راتزل**"، منتديات الحوارالجامعية السياسية، ٢٦ أيار ٢٠١٢، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٦ آب ٢٠١٨
http://ahmedwahban.com/aforum/viewtopic.php?f=3&t=26704

٢. "**مضيق ملقا**"، موقع المعرفة الاكتروني، تم الدخول الى الموقع في ١٧ آب ٢٠١٨
Hhttps://m.marefa.org/مضيق ملقا

٣. "**النظرية الجيوبوليتيكية**"، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١١ حزيران ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع تاريخ ٢٣ ايلول ٢٠١٩
https://www.politics-dz.com/community/threads/alnzri-algiubulitiki.187/

٤. باكير (علي) حسين، "**خط باكو جيهان النفطي في ظل الازمة الروسية الجورجية**"، موقع العصر الالكتروني، ٢٣ اب ٢٠٠٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٩ ايلول ٢٠١٩
http://alasr.ws/articles/view/10290

٥. "**ميدفيديف: انضمام جورجيا لحلف الناتو قد يشعل فتيل صراعات مخيفة**"، موقع Rudaw الكردي الاخباري تاريخ ٦ اب ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع في ١٠ ايلول ٢٠١٩
https://www.rudaw.net/arabic/world/060820183

٦. انبيعة (يارا)، "**جورجيا وأوكرانيا... الى الناتو؟**"، موقع مركز سيتا للدراسات السياسية والاستراتيجية الكتروني، ايار ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٠ ايلول ٢٠١٩
https://sitainstitute.com/?p=2812

٧. "**قمة لشبونة: اتفاق بين روسيا والناتو وجدول زمني لانهاء القتال في افغانستان**"، موقع قناة بي بي سي الالكتروني، ٢٠ ١١ ٢٠١٠، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣ تشرين الثاني ٢٠١٩
http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2010/11/101120_nato_afganistan.shtml

٨. نورالدين (ساطع)، "١٢ **فيتو روسي... "لحماية وحش**""، جريدة المدن الالكترونية، بيروت، ١١ ٤ ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣٠ ٧ ٢٠١٩
www.almodon.com

٩. فحص (مصطفى)، "**روسيا وعقدة المياه الدافئة**"، موقع الحرة الالكتروني، ٤ ٥ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٩ ٩ ٢٠١٩
www.alhurra.com

١٠. "**لبنان يوقع مع روسنفت الروسية عقد تطوير منشآت لتخزين النفط**"، موقع جريدة العربي الجديد الالكتروني، ٢٥ كانون الثاني ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٧ آذار ٢٠١٩.
www.alaraby.co.uk

١١. كارتر (مارك)، "**السياسة الروسية في الشرق الاوسط الكبير او فن اقامة علاقات الصداقة مع كل دول العالم**"، ترجمة عبد الحميد العيد الموساوي، موقع الكتروني، نيسان ٢٠١٠، تم الدخول الى الموقع في ٥ آذار ٢٠١٧
http://www.ifri.org/downloads/ifrirussiamiddleeastkatzengapril2010.pdf

١٢. عطوان (عبد الباري)، "**مع اقتراب اعلان هزيمة داعش النهائية من هو العدو الجديد**"، موقع رأي اليوم، ٧ ٣ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٩ ٨ ٢٠١٩
www.raialyoum.com

١٣. موقع روسيا اليوم بالعربية، ٩ تشرين الثاني ٢٠١٨، تاريخ الدخول الى الموقع ٣٠ ٩ ٢٠١٩
www.arabic.rt.com

١٤. الحمصي (عوني)، "**اهم القواعد الامريكية في تركيا**"، موقع دام برس الاعلامي، ٧ ٩ ٢٠١٣، تم الدخول الى الموقع في ١٩ ايار ٢٠١٨
http://www.dampress.net/?page=show_det&category_id=48&id=31653&lang=ar

١٥. نقولا (ليلى)، "**الشمال السوري...منطقة آمنة أم خطة لتقسيم سوريا؟**"، موقع الثبات، ٢٥ ٢ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٧ ٢ ٢٠١٩
http://athabat.net/article/125649

١٦. "**طهران و"تراسيكا" تدرسان توسيع التعاون الثنائي في مجال النقل**"، موقع الوفاق اونلاين الاخباري، ٢٩ ٨ ٢٠١٦، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٠ ١٠ ٢٠١٨
http://www.al-vefagh.com/News/163938.html

١٧. غنايم (محمد) السيد، "**القواعد العسكرية الاميركية في العالم العربي**"، ل.ت..، موقع قناة الجزيرة الالكتروني، تم الدخول الى الموقع في ١٧ كانون الاول ٢٠١٩
https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/577162f9-7b5a-4f8d-9fbf-b31a0216fe00

١٨. المنشاوي (محمد)، "**مشروع الناتو العربي ... ماذا ينتظره في ٢٠١٩**"، موقع قناة الجزيرة الالكتروني، واشنطن، ٢٠ كانون الثاني ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٩
www.aljazeera.net

١٩. "**ترامب يعلن بقاء عدد "محدود" من القوات الأمريكية بسوريا قرب حدود الأردن وإسرائيل وحقول النفط**"، موقع فرنس ٢٤ الالكتروني، تاريخ ٦ تشرين الاول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٩ تشرين الاول ٢٠١٩
www.france24.com

٢٠. اليوسفي (هالة)، "**سيادة يوتوبية للدول العربية**"، موقع الهدف، بيروت،٣ اذار ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٥ ايار ٢٠١٩
www.hadfnews.ps

٢١. الامير (يحيى)، "**نسخة مختلفة للشرق الاوسط الجديد**"، موقع قناة العربية الالكتروني، ٣٠ اذار ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣٠ تشرين الاول ٢٠١٩
www.alarabiya.net

٢٢. العلي (جنان)، "**الاوراسية الروسية والاوراسية المريكية استراتيجية جديدة للهيمنة على العالم**"، موقع الوحدة الاسلامية الالكتروني، شباط ٢٠١٣، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣ تشرين الثاني ٢٠١٩
https://www.wahdaislamyia.org/issues/134/jali.htm

٢٣. "**لماذا تخشى اميركا من مبادرة الحزام والطريق الصينية؟**"، موقع قناة الجزيرة الالكتروني، ٢١ آب ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٣ تشرين الثاني ٢٠١٩
www.aljazeera.net

٢٤. عيسى (شريف)، "**محطات تاريخية في مادردة الطريق والحزام**"، موقع جريدة المال الالكتروني، القاهرة، ٥ ايلول ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢٧ كاونو الاول ٢٠١٨
https://almalnews.com/خريطة-زمنية-محطات-تاريخية-فى-مبادرة-ال/

٢٥. "**المناورات العسكرية الصينية الروسية تدخل مرحلة تنفيذ العملية البحرية المشتركة**"، موقع CGTN الاخباري، ٤ ٥ ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٤ ٥ ٢٠١٩

https://newsar.cgtn.com/news/3d497a5835417a4d78457a6333566d54/p.html

٢٦. "**البنتاغون يحذر...الاسلحة الأميركية في مرمى القراصنة**"، موقع سكاي نيوز عربيه، ١٠/١٠/٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٢ ١ ٢٠١٩
www.skynewsarabia.com

٢٧. المجالي (نصر)، "**بوتين يقر الاستراتيجية الجديدة للامن القومي الروسي**"، الموقع الالكتروني لصحيفة ايلاف، ٣١ ١٢ ٢٠١٥، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٩ ١١ ٢٠١٩
www.elaph.com>web>news>2015/12

٢٨. "**ترامب يعلن الاستراتيجية الجديدة للامن القومي الاميركي: السلام بالقوة**"، موقع قناة روسيا اليوم بالعربية، ١٨ ١٢ ٢٠١٧، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٦ ٦ ٢٠١٩
www.arabic.rt.com

٢٩. هاريسون (فرجينيا) ودانييل بالمبو، "**كيف اصبحت الصين معجزة اقتصادية؟**"، موقع بي بي سي، ١ تشرين الاول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ٧ تشرين الثاني ٢٠١٩
https://www.bbc.com/arabic/world-49891360

٣٠. "**مبادرة الحزام والطريق**"، موقع الاخبارية الصينية، ٢٥ ايلول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ٢٠١٩
http://www.xinhuanet.com/silkroad/arabic/mobile/index.htm

٣١. "**مشروع طريق الحرير الصيني**"، موقع بي بي سي الالكتروني، ١٥ ايار ٢٠١٧، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١١ ١١ ٢٠١٩
https://www.bbc.com/arabic/business-39922326

٣٢. "**روسيا في افريقيا: هل باتت الان قوة عظمى في القارة؟**"، موقع قناة بي بي سي نيوز الالكتروني، ٢٣ تشرين الاول ٢٠١٩، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٢ كانون الاول ٢٠١٩،
https://www.bbc.com/arabic/amp/world-50151093

٣٣. "بولتون: امريكا ستتصدى لنفوذ الصين وروسيا في افريقيا"، وكالة رويترز، ١٤ كانون الاول ٢٠١٨، تم الدخول الى الموقع بتاريخ ١٢ كانون الاول ٢٠١٩
https://ara.reuters.com/article/worldNews/idARAKBN1OD0ZC

المراجع الاجنبية:

١. Agnew (John), **Geopolitics**, Routledge, New York & London,1987
٢. Alexander (Lewis M.), **world political patterns**, second eiditon, Rand Mcnally company, Chicago, 1963
٣. Buchanan (Elizabeth) and Mathieu Boulegue, "**russia's military exercises in the arctic have more bark than bite**", 20 5 2019, site visited on 25 6 2019 https://foreignpolicy.com/2019/05/20/russias-miltary-excercises-in-the-arctic-have-more-bark-than-bite/
٤. Clinton (Hillary), "**America's Pacific Century**", foreign policy, 11 10 2011, site visited in 15 December 2019 https://foreignpolicy.com/2011/10/11/americas-pacific-century/
٥. Cohen (Saul Bernard), **Geopolitics of the world system**, Rowman + Littlefield publishers Inc., U.K., 2003
٦. Conclusion of the "Sino-Soviet Treaty of Friendship, Alliance and Mutual Assistance", site of ministry of foreign affairs of PRC, 1998, site visited on September 16 2018 https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/ziliao_665539/3602_665543/3604_665547/t18011.shtml
٧. Dodds (Klaus), **Geopolitics very short introduction**, Oxford university press inc., New York,2007
٨. Fontaine (Richard) and others, "**New Voices in Grand Strategy**", center for new American security, USA, April 11 2019, site visited in 28 December 2019 https://www.cnas.org/publications/reports/new-voices-in-grand-strategy
٩. Gordon (Philip) H. and Jeremy Shapiro, "**how Trump killed the Atlantic alliance**", foreign affairs, 26 2 2019, site visited on 28 2 2019 www.foreignaffairs.com
١٠. Gray (Colin), **Geopolitics of the nuclear Era: Heartland, Rimlands and the technological revolution**,1977
١١. Hart (Gary), T**he Fourth Power: A Grand Strategy For The United States In The Twenty First Century**, Oxford University Press, New York, 2004
١٢. Kaplan (Robert), **Monsoon**, random house trade paperbacks, USA, 2011

١٣. Kaplan (Robert), **the revenge of geography**, random house, New York, 2012

١٤. Kendall-Taylor (Andrea) and David Shullman, "**can Washington act before it's too late**?", foreign affairs, 14 5 2019

١٥. Leech (Garry), **Crude Interventions:** The United States, Oil and the New World (dis)order, Palgrave Macmillan, New York, 2006

١٦. Machinnon (Amy), "L**ukashenko is selling Belarus, piece by piece, to Russia**", foreign policy, 20 5 2019 www.foreignpolicy.com

١٧. Pompeo (Michael), "**confronting Iran the Trump administration strategy**", foreign affairs, November/December issue www.state.gov/secretary/remarks/2018/10/286757.HTM 2018

١٨. Posen (Barry), **the rise of illiberal hegemony trump's surprising grand strategy**, foreign affairs, 13 2 2018

١٩. Rosati (Jerel) A. and james M.scott, **the politics of united states foreign policy**, fifth edition, wadsworth cengage learning, USA

٢٠. Serchuk (Vance), "**Russia's Middle East Power play**", National Review, September 12 2019, site visited in 9 December 2019 https://www.nationalreview.com/magazine/2019/09/30/russias-middle-east-power-play/

٢١. "The world before world war II re-emerges", geopolitical futures, 8 sep 2016, site visited in 14 march 2019 https://geopoliticalfutures.com/the-world-before-world-war-ii-re-emerges/

٢٢. Vick (Alan) J. and others, **Air power in the new counterinsurgency era**, Rand corporation, USA, 2006

٢٣. Wright (Steven), **the united states and Persian gulf security**, first edition, Ithaca press, UK, 2007

Treaties and Pacts:

١. Inter-American Treaty of Reciprocal Assistance (Rio pact of 1947), U.S. Ministry of State website, site visited on 10 Feb 2019 https://www.state.gov/p/wha/rls/70681.htm

Documents:

١. 2017 National Security Strategy of the united states, December 2017 WWW.WHITEHOUSE.GOV>2017/12>NSS-FINAL-12-18-2017-0905

مقابلات:

١- مقابلة تلفزيونية لتلفزيون روسيا اليوم وسكاي نيوز والعربية مع الرئيس بوتين عُرضت بتاريخ ١٣ ١٠ ٢٠١٩

فهرس المحتويات